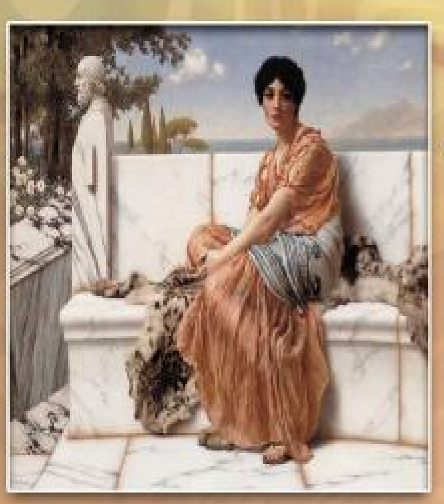
وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

أشهر شاعرات الحب في بلاد الشرق والغرب

(تراجم ومختارات شعرية)



القسم الأول



د. إحسان هندي

أشهر شاعرات الحب
في بلاد الشرق والغرب
القسم الأول

آفاق ثقافية

أشهر شاعرات الحب

في بلاد الشرق والغرب

(تراجم ومختارات شعرّيـة)

القسم الأول

د. إحسان هندي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م

آفــاق ثقافيــة

العــدد (١١٢)

آب ٢٠١٢م

أشهر شاعرات الحب في بلاد الشرق والغرب: تـــراجم ومختارات شعرية / إحسان هندي - القـــسم الأول .- دمشق : الهيئة العامة الـــسورية للكتـــاب، ٢٠١٢م .- ٢٤٠ ص؛ ٢٠ سم.

(آفاق ثقافية؛ ١١٢)

١- ٨٠٨,٨١ هــ ن د أ ٢- ٩٨٢ هــ ن د أ

٣- العنوان ٤- هندي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الإهداء

إلى روح الشاعر المصري المُجدّد علي محمود طه، الذي فَتَحتْ أشعارُهُ وكتاباتُهُ عينيَّ لأول مرة على أهمية الحب في حياة البشر، وخاصة الأدباءِ والفنانين منهم.

إحسان هندي

مقدمة الكتاب

يؤكد الفلاسفة أنّ الإنسان، أيَّ إنسان، مفطور على حبّ ثلاثة أقانيم هامة وضرورية للحياة، وهي الحقّ، والخير، والجمال.

وإذا قَصرْنا حديثنا على هذا الأخير نجد أن المؤرخين والآثاريين قد أكدوا على وجوده لدى الكائنات البشرية منذ أن وجدت الخليقة، وإن تعدَّدَتْ المظاهر التي تُعبر عنه.

ولهذا فلا غرابة بأن نجد في الحضارات القديمة، وبخاصّةً الحضارات المشرقية، تماثيل أو لوحات تدل على حب الجمال مثل تمثال «أفروديت خارجة من البحر» عند اليونان، وتمثال «فينوس ده ميلو» عند الرومان، ومئات اللوحات من الفسيفساء المتناثرة بين روما وبلاد المشرق، والتي تحتفظ بروعتها وجمالها الأخاذ حتى أيامنا هذه.

وإلى جانب اللوحات والتماثيل التي تدل على حبّ الجمال ظهرت نصوص نثرية وشعرية تدل على الأمر نفسه.

وهذه النصوص ليست كلها من إبداع الشعراء الذكور، حيث إن بعضها من نّظْم شاعرات خلدهنَّ التاريخ منذ أقدم العصور مثل

«بيتوحا» المصرية، و«بُلبالة» السومرية، و«عناة» الأوغاريتية، و«سافو» الإغريقية، و«إيرينا» الهلنستية، وغيرهن كثيرات!

ولم تقتصر موضوعات الشعر على المواضيع المتعلقة بالعلاقات بين الرجل والمرأة (التعارف، الحب، الخطبة، الزفاف، العلاقات الحميمة... إلخ)، بل كان هناك مواضيع أخرى طبعاً، ولكننا سنقصر بحثنا هنا على شعر الحب لأنه هو الموضوع الذي اخترناه لهذا الكتاب.

وعموماً اهتم الفلاسفة والأدباء الأقدمون بموضوع الحب وأعطوه مكان الصدارة، بل إن بعضهم حاول «التنظير» في هذا الأمر مثل الشاعر الروماني أوفيد Ovide في كتابه «فن الحب: Ars Amatoria»، حيث حاول فيه أن يبحث في ماهية الحب وأسبابه والعلاقة بين المحب والمحبوب.

ولم يقصِّر شعراء العربية في بحث هذا الموضوع، بل كان منهم من كرّس الجانب الأكبر من شعره للحب والحبيب مثل عمرو بن كلثوم، وقيس بن الملوح، وجميل بثينة، وكثير عزة، وديك الجن... من الشعراء.

كما ظهرت شاعرات على منتهى الصراحة والجرأة في التعبير عمّا في قلوبهن، مثل ولادة بنت المستكفي التي قالت:

أُمكِّن عاشــقي مــن صــحن خــدّي

وأعطـــي قبلتـــي مـــن يـــشتهيها

ويظهر أن الأمر لم يقف مع ولادة عند حدود القُبل حيث نجد شاعرة أندلسية أخرى، من شواعر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) اسمها (مُهجة بنت التّياني القرطبية)، تقول:

ولاّدة قــــــــــد صِــــــــرْتِ ولاّدةً

مـــن غيـــر بعـــلٍ فُـــضِحَ الكَـــاتمُ!

ومن المؤكد أن سكان الأندلس كانوا أكثر تحرراً من غيرهم في بقية الأقطار الإسلامية، حيث نجد شاعراً وفيلسوفاً أندلسياً هو «ابن حزم» قد كرّس كتاباً بكامله، وهو «طوق الحمامة»، للبحث في شؤون الحب والمحبين وكل ما يتعلق بالحب أو يتفرع عنه، علماً بأنه فيلسوف ذو نزعة إسلامية، وله نظرية مُعتمدة في الفقه الإسلامي (النظرية الظاهرية)!

وقد حاول ابن حزم في كتابه هذا تحليل عاطفة الحب، وفسّرها على أساس أنها نوع من التشابه الكيماوي في التركيبة الجسدية لكلا العاشقين، مما يخلق التجاذب بينهما، وهو يقول في هذا المجال:

«زعم بعض المتفلسفين أنَّ الله جلّ ثناؤه خلق كل روح مدورّة الشكل على هيئة الكرة، ثم قطعّها أيضاً فجعل كل جسد نصفاً، وكل جسد لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قُطع من النصف الذي معه، كان بينهما عشق للمناسبة القديمة، وتتفاوت أحوال الناس في ذلك حسب رقة طبائعهم».

- نقول كل هذا لإثبات أن البحث في أدب العشق وشعر العشق ليس أمراً خارجاً عن أعرافنا وتقاليدنا نحن العرب سواء في العصور القديمة أو المتوسطة أو الحديثة.

وإذا شعر أحد القراء أن قصيدة شاعرة ما أو سيرتها الشخصية ليستا على الشكل الذي يقبل به فيجب أن يتذكر أمرين:

١- دفاعاً عن نفسنا نقول بالحكمة المعروفة: «ناقل الكفر ليس بكافر».

٢- ودفاعاً عن الشاعرة المعنية نرجو أن يكون الحكم عليها أو لها حسب درجة شاعريتها، وليس بحسب قناعاتنا الأخلاقية!

* * *

خطّة الكتاب

سنذكر فيما يلي ترجمة حوالي مئةٍ شاعرة عالمية من الأسماء الأكثر شهرة في ميدان الشعر الغزلي والعاطفي من مختلف بلدان العالم، في الشرق والغرب، وعلى مرّ العصور، بدءاً من مصر الفرعونية، وحتى الشاعرات المعاصرات، بمن في ذلك الشاعرات العربيات.

وسنورد لكل واحدة من هؤلاء عدداً من القصائد يتراوح بين الاثنتين والخمس، بحسب درجة أهميتها، وبحسب النصوص المتوفرة لدينا لكل شاعرة بالإنجليزية والفرنسية أو العربية.

وسنقسم دراستنا هذه حسب المعيار الزمني (تاريخ ميلاد الشاعرة صاحبة العلاقة) إلى أربعة فصول:

١- شاعرات ما قبل الميلاد وحتى عام ٥٠٠ ميلادي.

٢- شاعرات العصور الوسطى (من ٥٠١ وحتى ١٥٠٠م).

٣- شاعرات العصور الحديثة (من ٥٠١ وحتى ١٨٠٠م).

٤- شاعرات العصر الحاضر (١٨٠١ وحتى ٢٠٠٠م).

وقد قسمنا الفصل الأخير إلى فرعين:

- **الفرع الأول**: عن شاعرات الغَرْب بما في ذلك أُستراليا واليابان.

- **والفرع الثاني**: عن شاعرات العَرَب.

* * *

الفصل الأول

شاعرات ما قبل الميلاد
وحتى عام ٥٠٠م

أولاً - الشاعرة بلبالة السومرية (بلاد الرافدين):

امتدت الحضارة السومرية حوالي ١٥٠٠ عام، بين ٣٢٠٠ و١٧٠٠ ق.م وكانت عاصمة الدولة السومرية مدينة «أور» في جنوب العراق، وهي المدينة التي يقال إن النبي إبراهيم عليه السلام قد عاش فيها قبل انتقاله إلى فلسطين.

ولا نعرف الكثير عن «بلبالة» هذه سوى أنها كانت تعمل مع فرقة «إنانا»، التي كانت تغني في البلاط السومري أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، أي حوالي ٢١٠٠ ق.م.

ومن الجدير بالذكر أنه تم اكتشاف هذه القصيدة منقوشة على لوحة مزخرفة في متحف استنبول عام ١٩٥١م، وقد ترجمها

من السومرية إلى الإنجليزية المؤرخ والآثاري المعروف «صامويل كرومر»، ثم ترجمها المؤرخ العراقي طه باقر من الإنجليزية إلى العربية بالصيغة التالية التي تذكرنا بالقصيدة التوراتية المعروفة: «نشيد الإنشاد La cantique des cantiques»

وفي هذه الحالة يكون نشيد الإنشاد هو المقتبس عنها وليس العكس لأنها أقدم منه في الظهور.

ومن المحتمل أن يكون العبرانيون قد اقتبسوا قصيدة بلبالة هذه أثناء فترة سبيهم في بابل، ثم أدخلوها في «تَوْراتهم» تحت اسم «نشيد الإنشاد»، وهذا الكلام ليس فيه أي مساس بقدسية «التوراة الأصلية» الموحى بها من الله، والتي تحدث عنها القرآن الكريم ولم تعد موجودة اليوم.

بقيت نقطة أخرى يجب الكلام فيها وهي بتُّ مسألة أسبقية قصيدة «بُلبالة السومرية» هذه على قصيدة «بيتوحا الفرعونية» التي سنتحدث عنها في الفقرة التالية أم العكس؟

الحقيقة هي أنه ليس هناك من دليل آثاري يساعدنا على بتِّ هذه النقطة، ولكننا رأينـــا من تحليل كلمات كلٍّ من هاتين القصيدتين أن القصيدة المصرية فيها كلمات أَحْدَث، فاعتبرنا قصيدة بُلبالة هي الأقدم، وبهذا تكون أقدم قصيدة حب مكتوبة في التاريخ، ولهذا ذكرناها قبل غيرها.

نصُّ القصيدة :

تقول بلبالة السومرية في قصيدتها هذه، التي يظهر أنها كانت تُغنى ضمن فرقة «إنانا» في البلاط السومري، مخاطبة حبيبها:

«أيها العريس الحبيب إلى قلبي

جَمُالك باهر حلوٌ كالشهد

أيها الأسد الحبيب إلى قلبي

جمالك باهٍ حلو كالشهد!

لقد أسرْتَ قلبي فدعني

أقف بحضرتك وأنا خائفة مرتعشة.

أيها العريس! سيأخذونني إلى غرفة النوم

لقد أسرْتَ قلبي فدعني

أقفْ بحضرتكَ وأنا خائفة مرتعشة

أيها الأسد ستأخذني إلى غرفة نومك،

أيها العريس

دعني أدللك

فإنّ تدليلي طَعِمٌ وشهي

وفي حجرة النوم الملأى بالشهد

دعنا نستمتع بجمالك الفاتن.

أيها الأسد، دعني أدللك

فإن تدليلي أطعم وأشهى من الشهد!

أيها العريس! لقد قضيتَ وطر لذتك مني

فأبلغ أمي وستعطيكْ الأطايب

أما أبي فسيغدق عليك الهبات

وروحكَ، أنا أعرف كيف أبهج روحك،

وقلبك، أنا أعرف كيف أدخل السرور إلى قلبك!

أيها العريس، نَمْ في بيتنا حتى انبلاج الفجر،

أيها الأسد، نم في بيتنا حتى انبلاج الفجر،

وإنك لأنك شهواني

هبني بحقك شيئاً من تدليلك وملاطفتك.

يا مولاي الإله، ويا سيدي الحامي

موضعك جميل حلو كالشهد فضعْ يدك عليه

قرِّب يدك عليه كرداء الجشبان

إنها قصيدة غناء بُلبالة

من قصائد إنانا»

ثانياً - بيتوحا الفرعونية (مصر):

لا نعرف عن حياة هذه الشاعرة سوى أنها عاشت في القسم الشمالي من مصر (الدلتا) أوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

وقد حفظ لنا التاريخ قصيدتين، أهمهما وأشهرهما هي القصيدة رقم (١) من حيث ترتيب البحث والتي نعرف عنها أكثر من القصيدة الثانية:

القصيدة الأولى:

تبدأ قصة اكتشاف هذه القصيدة عندما عثر عالم الآثار الألماني المعروف «شبيجلبرغ»، في متحف الآثار القديمة بالقاهرة، على قصيدة شعرية مرقومة بالأحرف الهيروغليفية، وعندما قام بفك رموزها وجد فيها قصيدة حب عذبة تختلط فيها المشاعر العاطفية بالتلميحات الإيروتيكية (الجنسية)، وكان أن بهرته هذه القصيدة بجمالها ونعومتها، فقام بترجمتها إلى الألمانية ونشرها في مطلع القرن العشرين تحت عنوان «أحلامُ عاشقة»، وظهرت بعد ذلك فوراً ترجمتها إلى الفرنسية التي كانت – ولا زالت – لغة الثقافة العامة والحب والغزل!

وفي عام ١٩٣٨ قام الأديب المعروف إبراهيم المصري بترجمة هذا النص الفرنسي إلى العربية تحت عنوان «تمنيات عاشقة»، وقد نشره في كتابه الموسوم «مختارات عالمية من الشعر الغرامي» ضمن الصيغة التالية:

«آه يا أخي
يا للعذوبة التي أجدها
حين أهبط النهر معكَ
وأستحم فيه أمامك!
إني لأودّ أن أكشف لكَ عن محاسني كلها
عندما أكون في النهر
(لا) تسترُ بدني (إلا) غلالة رقيقة
يبللها الماء!
أودّ أن أهبط إلى الماء معك
وأخرج من الماء معك
حاملة سمكة حمراء
تبدو رائعة الجمال
وهي بين أصابعي
فَتَعال، تعالَ وانظر إليّ».

* * *

وكان أن قرأ الشاعر المصري المبدع علي محمود طه نص هذه الترجمة فأخذه وصاغه شعراً على الشكل التالي:

«يا للسعادة يا حبيبي حين أهبطُ للنهر

كي أستحم وأنتَ تُمعن في مفاتني النظرْ

* * *

أشتاق أن أجلو أمامك – يا حبيبُ – محاسني

بغلالةٍ مبتلة كشفت جميع مفاتني!

* * *

أهوى إلى الماء الهبوطَ، وأشتهي أن أتبعك

وأشدُّ ما أهواه منه صعودنا وأنا معك.

* * *

بيديّ من سمكاته حمراء رائعة الجمال

فتعال لي أنظر إليك، تعال وانظر إليّ، تعال»

* * *

وقد عثر زميلنا الشاعر محمد منذر لطفي على هذا النص الشعري لعلي محمود طه فأورده نثراً في مقالة له نشرها في مجلة «المعرفة» السورية، وذلك في الصيغة التالية:

«إنه لمبهج حقاً يا حبيبي الذهاب إلى الغدير

هناك سأستحم بحضورك

وسأتيح لك أن ترى جمالي، وتتمتع بمفاتني

سوف أنزل معك إلى الماء

وأعود ومعي سمكة مذهبة جميلة وحمراء

تستريح بنشوة على أصابعي

تعال يا حبيب فأنا أدعوك

تعال لأنظر لك كثيراً

تعال وانظر لي كثيراً»

القصيدة الثانية:

أما قصيدة بيتوحا الثانية فهي - على حد علمنا الشخصي المتواضع - غير منشورة بالعربية، وقد عثرنا على نصّها بالفرنسية ضمن المرجع المذكور أدناه، وهي كما القصيدة الأولى - تحوي بعض الرموز الأيروتيكية:

«أنا صديقتك الأولى

انظر فأنا كما البستان

الذي زرعت فيه شتى الأزاهير

وكل الأعشاب الطيبة الرائحة!

كم هو جميل حوضه

الذي حفرته أنتَ بيديك

على طراوة ريح الشمال!

* * *

كم هو جميل المكان الذي أتنزه فيه،

عندما تضع يدك على يدي

يرتعش بدني بالسرور، ويسعد قلبي!

دعنا نمشِ سوياً

إنّه لترياق مسكر أن أسمع صوتك

فأنا أحيا بهذا الصوت!

عندما أنظر إليك

فإنّ كل نظرة تكونُ لي أفضل من أي طعام

وخيراً من أي شراب»

* * *

ثالثاً ـ سافو الإغريقية (٦٣٠ ق.م – ٥٥٩ ق.م):

(Sappho or psappha (630 – 559 B.C)

حيـــاتها:

ولدت سافو في بلدة «إيريزوس Eresus» التي تقع على الجزء الجنوبي من جزيرة «ليسبوس Lesbos»، وهي إحدى الجزر اليونانية الواقعة في بحر إيجه، شمالي شرق مدينة أثينا.

وتقول موسوعة «السودا Souda» إن سافو قد شاركت في الأعياد الأولمبية الثانية والأربعين التي جرت بين ٦١٢ ق.م و ٦٠٨ ق.م، وإذا كانت هذه المعلومة صحيحة يكون تاريخ ميلاد سافو حوالي عام ٦٣٠ ق.م.

ويدّعي سترابون Strabon أنها كانت معاصرة للشاعر اليوناني آلكايوس Alkaeus، الذي ولد عام ٦٣٠ ق.م أيضاً.

أما المؤرخ اليوناني القديم «آتيناوس Athenaus» فيجعلها معاصرة لملك مقاطعة ميديا «آلياتيس Alyattes»، الذي حكم بين ٦١٠ ق.م و ٥٩٠ ق.م.

وهذا لا يمنع من اعتماد الرواية الأولى، أي أن تكون ولادتها عام ٦٣٠ ق.م، وأما وفاتها فكانت على الأرجح عام ٥٥٩ ق.م، أي في أواسط القرن السادس قبل الميلاد.

كان والد سافو من التجار واسمه «سكاماندرونيموس Scamandronymus»، وأما والدتها فكانت سيدة يونانية اسمها «كليبيس Cléis».

وقد رُزقت العائلة بثلاثة أولاد ذكور إلى جانب سافو، وأسماؤهم حسب ترتيب أعمارهم: «خاراكسوس Charaxus، إيريجيوس Erigius، لاريخوس Larichus».

وكانت سافو قصيرة القامة سمراء البشرة، ولا تتمتع بقدر كبير من الجمال، ولكن جميع المصادر تصر على أنها كانت ذات شخصية محبوبة من جميع من يعرفونها!

توفي والد سافو عندما كانت في السادسة من عمرها، فبقيت مع إخوتها الثلاثة تعيش في كنف الأم (كليبيس).

وعندما بلغت العشرين من عمرها كان أخوها الأكبر خاراكسوس يملك متجراً صغيراً، ويعمل في التجارة مع مصر وصقلية وكريت، ويظهر أنه كان يعمل في السياسة أيضاً، ولذا أصدر حاكم ميتيلين مرسوماً بنفيه إلى جزيرة صقلية مع أخيه لاريخوس، وعندما احتجت سافو على هذا الإجراء حكم بنفيها هي أيضاً إلى مدينة سيراكوزا في الجزيرة نفسها، وهكذا قضت

سافو ثمان سنوات من حياتها في النفي، ويقال إنَّ هذه السنوات كانت بين ٦٠٣ ق.م إلى ٥٩٥ ق.م، ولم تعُدْ إلى ليسبوس إلا بعد توقعيها على تعهد بألا تعمل في السياسة بعدئذ!

وبعد عودتها من المنفى قامت سافو بافتتاح «أكاديمية Thiasus» لتعليم بنات العائلات الراقية فنون الحياة الاجتماعية، التي يجب معرفتها وإجادتها من قبل زوجات المستقبل، من شعر وغناء ورقص ونقر على الدف...

ويتهمها بعض المؤرخين بأنها لم تكن تعلمهن ذلك فقط، وإنما كانت تعلمهن أيضاً فنون الحب المثلي بين النساء Homosexualité!

ويستدل هؤلاء على صحة رأيهم بأن أشعارها التي تم اكتشافها حديثاً وجدوا بينها قصيدة كاملة تتغزل فيها سافو بتلميذة من تلميذاتها اسمها «آتيس Atthis» وأنها عنونت هذه القصيدة بالصيغة التالية: «إلى فتاة حبيبة A une Bien Aimee».

كما أن بقية شعر سافو الذي لا يزيد في جملته على ١٥٠٠ بيت، طافح بأسماء طالبات لها مثل «آماكتورا، ميغارا، ليتو، تيليسيبا، آناغورا، غونجيلا، أونيكا، غورغو.. إلخ»!

ولهذا لم يكن غريباً أن يحمل هذا النوع من الحب المثلي بين النساء اسم «Saphisme» نسبة إلى سافو، أو «Lesbianisme» نسبة إلى جزيرة ليسبوس، حتى الآن.

والحقيقة أن ارتباط هذا النوع من الحب باسم سافو لا يحمل برهاناً قاطعاً بأن هذه الشاعرة هي التي ابتدعته أو أنها كانت تعلمه لتلميذاتها.

إنّ سبب هذا المزج المؤسف ينبع من شعر سافو نفسها: إن شعرها يختلف عن شعر زملائها من الشعراء الذكور (ألكايوس مثلاً) بأنه ليس هناك فيه أية حدود واضحة بين «المُحبّ Lover» و«المحبوب Beloved»، ولهذا لم يكن لديها مانع من التغزل بطالباتها لأنها كانت بذلك تتغزل بنفسها وبنجاح مشروعها في الوقت نفسه!

- وإذا كانت سافو قد تغزلت بواحدة من طالباتها فإن هذا لم يمنعها من نظم قصيدة أخرى تتغزل فيها صراحة بأحد الشباب، وعنوان هذه القصيدة «لا جدوى من المقاومة Its no use» وفيها تقول:

«يا أمي العزيزة

ليس بوسعي أن أحقق وعودي وتمنياتي،

يمكن أن تلومي الربّة أفروديت على ذلك

لأنها بالرغم من رقتها

قتلتني بالحب

الحب الذي أشعر به تجاه هذا الشاب»

ولعل هذا الشاب الذي ذكرته في نهاية هذه القصيدة هو الفتى «فاون phaon» الذي قيل أنها أحبته حتى الهيام، وحاولَ الانتحار من أجلها برمي نفسه من أعلى جبل «لوكاد» إلى البحر، ولكنها لم تنجح في ذلك.

فمن المؤكد أن المُصابات بالحب المثلي لا يُقدمن على الانتحار من أجل شاب من الذكور!

- هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن سافو تزوجت وعاشت حياة طبيعية مع زوجها المدعو «سيرسيلاس Cercylas»، وأنجبت منه ابنتها «كلييس Cleis»، وقد أحبت ابنتها هذه حتى العبادة وقالت فيها قصيدة رائعة التعبير:

«لي طفلة جميلة شبيهة بالورود الذهبية

كلييس هو اسمها...

حبيبتي التي لا أستبدل بها

مملكة ليديا بكاملها»

وعموماً يبقى هناك احتمال يفسر هذه الازدواجية في ميول سافو، وهو أن تكون هناك امرأتان باسم سافو عاشتا في الفترة نفسها تقريباً: الأولى هي شاعرتنا سافو، والثانية هي امرأة سيئة السلوك ومنحرفة جنسياً، وبهذا اختلط الأمر على المؤرخين

والنقاد في الفترة اللاحقة فقال الكاتب «سينيكا» عن سافو «عاهرة» وهي لا تستحق هذا الوصف بتاتاً.

- أخيراً ومهما كانت طبيعة الميول الجنسية التي كانت سافو تتصف بها، فإننا نحكم عليها هنا بصفتها الشعرية، وليس من الناحية الأخلاقية!

٢ - الملامح العامة لشعرها:

يمتاز شعر سافو بقابليته للغناء بمصاحبة القيثارة Lyre، أي أنه من قبيل ما سُمي بعدها باسم «الشعر الغنائي Lyric Poetry: Poésie Lyrique»، وقد شاركها في استخدام هذا النوع من الشعر الشاعران (آلكايوس) و(آناكريون) وهما من جيلها نفسه.

وقد استخدمت سافو مع زميلها آلكايوس «اللهجة الإيولية: Aeolis» في النظم، بعكس آناكريون وشعراء اليونان الآخرين الذين نظموا باللهجة الإيونية.

- وكانت سافو تتبع أسلوباً خاصاً في تقطيع القصيدة أخذ اسمها فيما بعد

«The Sapphic stanzas: La strophe sapphique»

وذلك بتقسيم القصيدة إلى رباعيات Quatrains، وتضم كل رباعية أربعة أبيات: الثلاثة الأولى متساوية في الطول، كل منها

يتكون من (١١) مقطعاً صوتياً pieds، وتسمى (Hendyeasyllabes)، والرابع أقصر منها بطول أربعة مقاطع صوتية فقط ويسمى (Epode)، والمثال على ذلك النص التالي:

1)- All the night sleep come not upon my eye lids.

2)- Sled not dew, nor shook nor unclose a feather.

3)- Yet with lips shut close and with eyes of iron.

4)- stood and beheld me.

وقد قلّدها في هذا الأسلوب من القدماء الشاعران الرومانيان «كاتوللوس catullus» و«هوراس Horace»، كما قلّدها في العصر الوسيط كل من البابا غريغوريوس السابع عام ١٠٧٣م، والشاعران الإيطاليان جيوفاني بوكاشيو وفرانشيسكو بترارك، ومن الفرنسيين قلدها الشاعر راسين وخاصة في مسرحيته «فيدرا phédre».

وأما في العصر الحديث، بل حتى الحاضر، فقد قلّدها الشاعر الأمريكي الشهير «إزراباوند» في قصيدته التي تحمل عنوان «Appurit».

- وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا حول ميول سافو الجنسية، وهل هي «طبيعية» تحب الذكور فقط، أم أنها «مثلية الجنس» لا تحب إلا بنات جنسها أم «مزدوجة الجنس

Bissexuelle» تحب الذكور والإناث معاً، فإن مؤرخي الأدب لم يختلفوا بتاتاً حول قيمة سافو في فن الشعر وأثرها في تقدّم هذا الفن وتطوره سواء على مستوى الأدب اليوناني أم مستوى الأدب العالمي!

قال عنها سترابون: «إننا إذا حاولنا أن نجد شاعرة في قوة سافو وإتقانها ضاعت محاولاتنا عبثاً، ووجدنا بطون كتب التاريخ خالية خلواً تاماً من شاعرة تشبهها في الشعر الغرامي».

كما أن المشرّع المعروف صولون عندما سُئل عن الأمنية التي يشتهي تحقيقها قبل موته قال: «قصيدة من ســـافو أُرَددها ثم أموت»!

وكانت سافو موضع تقدير الشعراء السوريين في العصر الهيلينيستي، حيث نجد أن كلاً من ميلياغروس الغَدري وانتيباتروس الصيداني، قد خصَّصا بضعة قصائد لمدحها والتغني بشعرها بالرغم من أنهما قد أتيا بعدها بخمسة قرون تقريباً!

وليس هذا غريباً منهما فقد سبق لأفلاطون أن سمّى سافو «ربة الشعر العاشرة Th10th Muse»، كما قال فيلسوف آخر عن شعرها:

«Few But Roses All»!

والمعنى بالعربية: «ما وصل لنا منها كان القليل، ولكنه ورود مليئة بالعطر»!

- وأما بالنسبة للفرنسيين المعاصرين فقد وصفها الكاتب والشاعر روبير برازيّاك بالكلمات التالية:

«Sappho est à jamais la merveille du lyrisme grec»!

أي: «ستبقى سافو إلى الأبد أعجوبة الشعر الغنائي اليوناني».

ووصفها ناقد فرنسي آخر بكلمات تجمع بين المدح والقدح فقال عنها: إنها «الملعونة المعبودة La Maudite Adorée».

- وقد نظم ثلاثة شعراء فرنسيين قصائد مديح كاملة باسم سافو، وتوخوا فيها تقليـــد طريقتها في النظم، وهم ألفونس ده لامارتين، بليس كارمان، ورونيه فيفيان، وها هي الترجمة العربية للقصيدة التي نظمتها رونيه فيفيان تقديراً لسافو:

«أنت يا ريحانة بافوس Paphos

أيتها الكاهنة، بل أيتها الشاعرة

علمينا سر ذلك الحزن الربّاني!

علّمينا كيف نتشوّق للعناقات المتعجلة

عندما تتأوه الرغبة وتذبل بين الزهور

ويا سحر مدينة ميتيلين

علّمينا أبيات الشعر الذهبية
التي لا يحدُّ منها إلا الموت
عندما يتوقف نَفَسكِ الموسيقي
علّمينا يا سافو».

٣ - جملة نتاجها الشعري:

تم جمع ما اكتشف من شعر سافو، منذ ١٨٩٨ وحتى اليوم، في ستة كتب بحسب بحور النظم، ولم يصلنا في هذه الكتب إلا قصيدة واحدة كاملة هي «نشيد إلى أفروديت Ode à Aphrodite»، وأما البقية الباقية من هذا الشعر الذي تحت أيدينا لها فهو جملة مقاطع وردت في كتب الآخرين عنها.

والذي نعلمه بشكل أكيد أن سافو نظمت تسعة دواوين شعرية من قبيل الشعر الغنائي، وديواناً عاشراً في شعر الرثاء.

وهذه الدواوين مختلفة الحجم حيث يضم الأول منها ١٣٢٠ بيتاً مقسمة إلى ٣٣٠ رباعية في ستين أو سبعين قصيدة، وأما كتابها الثاني فلا يضم إلا ١٣٠ – ١٥٠ سطراً في قصيدة واحدة فقط.

ومن كل هذا لم يصلنا إلا ٦٥٠ بيتاً موزعة على خمس قصائد، مع بعض المقاطع المجتزأة، والقصائد الخمس هي حسب العناوين التي عُرِفت بها بالفرنسية:

١) - نشيد للربة أفروديت 1) - Ode à Aphrodite

٢) – الحبيبة الغائبة 2)- L' Absente

٣) – لحظات الوداع 3) – Les Adieux

٤) – أناشيد الليل 4) – Nocturnes

٥) – اعترافات حميمة 5) – Confidences

وبعض هذه العنوانات يتكرّر في صيغ متعددة، فمثلاً القصيدة التي تحمل العنوان التالي بالإنكليزية: «Ode to a girl».

تحمل عنوانين مختلفين في مصادر أخرى:

١) – أشعر بأكثر من 1) – I more than envy him

٢) – يبدو لي شبيهاً 2)- peers to the Gods he seems to

ونجد لها عنوانين آخرين بالفرنسية:

١) – إلى فتاة محبوبة جداً 1) – A une fille Bien aimée

٢) – كنتُ على وشك الموت 2)- Au bord d´en mourir

وقد عثرنا في ثلة من المصادر الإنكليزية على ثبت بأسماء أكثر من مائة قصيدة لها، ولكن لا يوجد تحت أيدينا منها إلا هذه القصائد الخمس الوارد ذكرها أعلاه، والظاهر أن الكنيسة عملت على إتلاف قسم كبير من دواوينها وقصائدها في العصر الوسيط!

٤ - مختارات من شعرها:

اخترنا خمساً من قصائد سافو للتعريف بشعرها، وسنقوم فيما يلي بترجمتها إلى العربية، وهي على التوالي: إلى فتاة محبوبة جداً، إذاً سوف لن أراها ثانية، أنشودة إلى أفروديت، الصبايا، في رثاء الفتاة تيماس.

إلى فتاة محبوبة جداً À une bien – aimée:

«سيذوق سعادة ربانية

ذاك الرجل الذي بوسعه أن يجلس مقابلاً لكِ

يتأمل محاسنكِ، ويتذوّق حلاوة صوتك،

ذاك الذي بوسعه أن يتلمّس سحر ضحكتك

تلكَ الضحكة التي أعرفها جيداً

وأعرف أنها تصهرُ قلبي في داخلي!

آه، هل تعلمين؟

بمجرد أن أراكِ، ولو للحظة قصيرة

يزول المرح عن شفتي ويتلاشى فجأة

ويجف لساني وكأنه انشطر

وبغتة في أعماق جسدي

تتسلل نار خفيّة إلى داخلي

وتعْشى عيناي
وكل شيء يبدو أمام ناظري مشوشاً
وتضج أذناي بالدوار،
جسدي يتصبب عرقاً
ويرتجف بكامله
ويصبح لوني أكثر اخضراراً من العشب
ولا ينقصني عندئذ شيء كثير
لكي أشعر بأني متُّ فعلاً»

* * *

إذاً سوف لن أراها ثانية So I shall never see her:

كنت أقرب ما أكون للموت وأنا أذرف الدموع الغزيرة
عندما ودّعتني قائلة:
«كم هي مصيبة أليمة، ويا له من حزن!
سافو، إنني أقسم بأنني أفارقكِ رغماً عني».
ــ وقلت مجيبة:
«اذهبي وكوني سعيدة، وداعاً، تذكّريني
لأنكِ تعلمين كم أحببتك

وإذا كنت قد نسيتِ

فإنني سأذكّرك بأشياء كثيرة

مكّنتنا من العيش معاً بسرور!

تلك الأطواق من زهور البنفسج الجميلة

وبراعم الورود المجدولة حول شعرك

عندما تكونين بجانبي،

وكل تلك الأطواق من الزهر

التي كانت تلتف حول عنقك الغضّ

لتزّين وجهك الجميل،

وكل تلك الأدهان العطرية النادرة

التي تليق بملكة

والتي كنت تنثرينها على إهاب جسدك الشاب

عندما كنت تجلسين بقربي

كنت تجلسين على مراتب ناعمة

تتلقين اللمسات من أيدي العذارى بهدوء

وهو أمر لم تَحْظَ به أية يونانية!

ــ لم تكن هناك هضبة أو غدير في المنطقة بكاملها

دون أن تطأها أقدامنا،

ولم تكن هناك غابة في الربيع

تضج بأغاني العنادل

دون أن نكون قد تجولنا فيها، أنتِ وأنا»

* * *

أنشودة إلى أفروديت Hymn to Aphrodite:

«أأفروديت! أيتها الربة الحسناء المتوّجة

يا ابنة زيوس المرح

أنا أتوسل إليك

لا تلقيني في هوة القلق والسأم!

أنتِ أيتها المقدسة

تعالي إليّ الآن

وأنتِ في غاية لطفك

حيث لا ترى عيناي شيئاً

وأذناي لا تسمعان أيَّ صوت!

* * *

إن العرق البارد يتصبب من مسام جسدي بكامله

وتعتريني الرجفة،

بعد أن غدوت شاحبة كالعشب

وتوقفت عن التنفس

نتيجة الخوف الذي قرّبني من الموت

* * *

الصبايا Jeunes Filles:

«هُنَّ مثل تفاحة لذيذة الطعم

حمراء معلقة في غصن

بل في أعلى غصن بالشجرة

بعد أن نسيها القطافون

كلا! هم لم ينسوها

إنما لم يقدروا على الوصول إليها

* * *

ألا فليصعد القمر بكامل نوره

لأنَّ الصبايا هنّ الآن حول المعبد

* * *

هكذا كانت فتيات جزيرة كريت يرقصن حول معبد محبوب

والموسيقى ترافق الرقص».

* * *

في رثاء الفتاة تيماس Elegy for Timas:

«هذا الجرن الجنائزي

يضم رفاة واحدة

من البنات العذارى

اللواتي لم يتزوجن قبل وفاتهن

ورمزاً للحداد عليها

قامت الفتيات من رفيقاتها

باستخدام سكين حادة

قصصن بها خصلات شعورهن!

٥ - بعض المراجع عن سافو:

1) - «The songs of sappho», translated by David. M. Robinson and Marion Mills Miller, 1925.

2) - «Sappho; the poems and Fragments» -Translated by C.R.Haines,1926.

3) - « Sappho: A new Translation» - Translated by Mary Barnard, 1958.

4) - «Sappho: Poems and fragments» - translated by Guy Davenport, 1965.

5) - « Sappho love songs» - translated by paul Roche, 1966.

6) - «The poems of Sappho» - translated by Suzy. Q.Gorden,1967.

7) - « Sappho Lyre: Archaic lyric and women poets of Ancient Greece» - translated by Diane Raynor, 1991.

* * *

رابعاً - بيليتيس التراقية (القرن السادس ق.م):

Bilitis (VI ème Siècle A.C)

مقدمـــة:

هذه الشاعرة من نوعية خاصة، أي ما يُسمى باللاتينية « sui Generis»! لماذا؟

لأن كثيراً من المؤرخين، وخاصة مؤرخي الأدب اليوناني القديم، يشككون في وجود شاعرة بهذا الاسم، ويستدلون على ذلك بأن الشاعر السوري ميلياغروس Meleagros، الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، ألف كتاباً ذكر فيه أسماء حوالي خمسين شاعراً وشاعرة، وهو الكتاب الذي يحمل عنوان «الإكليل Garland: le Bouquet» ولم يرد فيه أي ذكر للشاعرة بيليتيس.

ولكن الشاعر الفرنسي بيير لويس Pierre Louys ذكر أن أحد الآثاريين الألمان وجد قبرها على الساحل الشمالي لمصر، قرب المكان الذي توجد فيه مدينة بورسعيد حالياً.

وذكر أن هذا الآثاري وجد نصباً صغيراً إلى جانب القبر وعليه جملة قصائد باليونانية، قام هو (أي بييرلويس) بترجمتها

إلى الفرنسية تحت عنوان: «أغاني بيليتيس Les chansons de Bilitis» عام ١٨٩٤.

وقد ضمت هذه الأغاني حوالي ١٥٠ قصيدة صنفها المترجم في ثلاثة أقسام حسب الأقاليم الثلاثة التي عاشت فيها بيليتيس:

أ) – أناشيد مرحى في بامفيليا Bucoliques en Bamphilie.

ب) – رثائيات في ميتيلين Elègies à Mytilène.

ج) – قصائد غرامية في قبرص Epigrammes à Chypre.

وبالرغم من أن هذه القصائد المترجمة قد نالت استحساناً كبيراً وتُرجمت إلى ما يزيد عن عشرين لغة عالمية، فإن الشك ظل يساور النقاد ومؤرخي الأدب، وبخاصة أن النص اليوناني لقصائد بيليتيس لم يُعثر عليه حتى الآن.

وكان من المفروض استناداً إلى هذا عدم إدراج اسمها بين الشاعرات اللواتي سيضمهن هذا الكتاب لولا بعض الحقائق الجديدة التي ظهرت في هذا المجال:

- إن القصائد التي ترجمها بييرلويس إلى الفرنسية فيها روح أنثوية لا يمكن لأي رجل ولو كان شاعراً أن يتخيلها ويكتب عنها، وهذا يعني أنه كانت هناك شاعرة سواء أكان اسمها بيليتيس أو غير ذلك.

- إذا لم يكن اسمها بيليتيس يقوم احتمال كبير بأن يكون اسمها «دامو فيليا Damophylia»، ونستدل على ذلك بما كتبه «فيلوستراتوس» عنها في كتابه الموسوم: «حياة أبوللونيوس التياني The life of Appolonius of Tyane» حيث يقول: «لقد سألتموني ذاك اليوم ماذا كان اسم تلك البامفيلية التي يقال إنها كانت شريكة لسافو، وأنها كانت تؤلف أناشيد باللهجة الأيولية وتقدم أزياء بامفيلية، اعتقد البعض أنها من صنع آرتميس من بلدة بيرغو pergo؟

حسناً، إن هذه المرأة هي المسماة (داموفيليا) ، وتقول إنها جمعت عدداً من البنات في حلقة دراسية في منزلها».

- ذكر لويس أنترماير، وهو أحد مؤرخي الشعر العالمي في العصر الحاضر، اسم بيليتيس كواحدة من كبار ناظمات الشعر الإيروسي في العصر اليوناني.

- قام هوراس براون، وهو واحد من كبار مترجمي الشعر من الفرنسية إلى الإنجليزية، بترجمة «أغاني بيليتيس» التي نشرها بيير لويس في باريس ١٨٩٤ إلى الإنجليزية تحت العنوان نفسه «The songs of Bilitis».

٢ ــ رواية بييرلويس عن بيليتيس:

يقول مترجم كتاب «أغاني بيليتيس Les Chansons de Bilitis»، في مقدمة الكتاب الذي نشره في باريس تحت هذا العنوان عام ١٨٩٤، إن عالم الآثار «م.ج. هايم M.G.Heim» اكتشف في أواسط القرن التاسع عشر للميلاد قبر بيليتيس في موقع كان يسمى في عهد الرومان «بالاسيوليميسو»، وآثار هذا الموقع توجد اليوم على مقربة من مدينة بورسعيد كما أسلفنا.

ويدّعي بيير لويس في مقدمة كتابه أنه تمّ العثور قرب القبر على نصب نقشت عليه ثلاثة نصوص ذُكر فيها صراحة أن ذلك القبر للشاعرة بيليتيس، وسنكتفي هنا بذكر واحد منها وهو في الصيغة التالية:

«على شواطئ ميلاّس الداكنة

في مدينة تاماسوس من مقاطعة بامفيليا

وُلدْتُ أنا بيليتيس ابنة داموفيلوس

وهأنذا أستريح بعيداً عن وطني كما ترى!

عندما كنت طفلة

سمعتُ بحب أدونيس وعشتار

وبأسرار سورية المقدسة وبالموت والحياة الأخرى!

إذا كنت غانية فما الخطأ في ذلك

أليست هي وظيفتي الأولى كامرأة؟

أيها العابر الغريب:

إن أمنا الطبيعة

هي التي تقود تصرفاتنا

وتجاهلها ليس أمراً محموداً!

وكعرفان بالجميل نحوك

أنتَ يا من وقفت أمام قبري،

أتمنى لك أمنية واحدة:

أن تكون محبوباً، لا أن تُحبّ أنت!

وداعاً، وتذكّر في شيخوختك

أنكَ رأيتَ قبـــري».

* * *

ومن نص هذه الشاهدة Epitaphe يظهر لنا بوضوح أنه كانت هناك شاعرة، وكان اسمها أو لقبها «بيليتيس»، وكانت ذات صلة بالحضارة السورية القديمة لأنها ذكرت «أفروديت» تحت اسم «عشتار»، وأضافت صفة القداسة إلى سورية حيث ذكرت «أسرار سورية المقدسة» في نص قصيدتها.

ويضيف بيير لويس في مقدمته لكتاب «أغاني بيليتيس» أن شَعْرَ بيليتيس كان عند إخراج الجثمان من القبر مصبوغاً باللون الأسود، وأن نوعاً من العطر كان يفوح من الجثة، وأنه وجد إلى جانبها مرآتها الشخصية وقلماً لتزجيج الحواجب، مما يدل على أن الجثة كانت لامرأة «مغناج coquette» وهذا من صفات بيليتيس في حياتها بالتأكيد!

وخلاصة القول إنَّ بيليتيس ظلت إلى منتصف القرن التاسع عشر للميلاد مجرد أسطورة، وإن كلاً من الآثاري الألماني م. ج. هايم، والأديب الفرنسي بييرلويس، والمؤرخ الأدبي الأمريكي لويس أنترماير قد جعلوا منها حقيقة واقعة في تاريخ الأدب اليوناني، ولذا اعتمدنا ذكرها في هذه الدراسة.

وعموماً، وحتى لو كانت القصة كلها من نسج خيال بيير لويس، فإنه لا يضيرنا في شيء ذكر اسمها بين أسماء شاعرات اليونان في مرحلة ما قبل الميلاد، لأن القصائد التي تحمل توقيعها تحت عنوان «أغاني بيليتيس Les Chansons de Bilitis»، وعددها حوالي ١٥٠ قصيدة، هي من أحلى وأنعم القصائد القديمة وأكثرها حرارة وصدقاً مهما كان الموضوع الذي تعالجه.

٣ - حياتها الشخصية:

ولدت بيليتيس في أوائل القرن السادس قبل الميلاد في مدينة «تاماسوس» عاصمة مقاطعة «بامفيليا»، الواقعة عند سفوح جبال طوروس، من أب يوناني اسمه «دامفيليوس Damphilius» وأم فينيقية – سورية.

ولم يذكر أيّ من المصادر اسم أمها، كما إنَّها لم تذكره في قصائدها.

ولكن إذا كان اسم أمها لم يرد في قصائدها فإنه ورد ذكر مناقب هذه الأم في عدد من القصائد، وكذلك في قصيدة مستقلة، وهي جميعاً تصورها كأم رؤوم تخاف على مصلحة بناتها وتربيتهن وأخلاقهن وخاصة البنت الصغرى التي تحمل اسم بيليتيس.

ويظهر أن والد الأسرة كان قد توفي، وأنه لم يكن هناك ذكور في العائلة، ولذا حملت الأم هذه المهمة على عاتقها. ورغم أن المجتمع اليوناني القديم كان متسامحاً جداً في القضايا الأخلاقية، فإن الأم لم تكن تأمن على بيليتيس، وكانت لا تكفّ عن نصحها وتوجيهها بغية الحفاظ على عفافها، وكانت توصيها بعدم تبادل الحديث مع الشبَّان، وتربط لها «زنار العفة» قبل خروجها.

ولكنّ كل هذا لم يمنع الصبية الصغيرة (بيليتيس) من الوقوع في الحب، حيث عشقت راعياً وسيماً اسمه «ليكاس Lycas»، وسرعان ما أنجبت منه غلاماً أسمته «بانيكيس»!

وبعد خطأها أو بالأحرى خطيئتها، في التفريط بعفافها، ارتكبت العاشقة الصغيرة خطأً آخر حين اعتقدت بأنها يمكن أن تُعجب حبيبها إذا تشرَّبت سلوك بنات المدينة! وهكذا أودعت طفلها الصغير لدى إحدى شقيقاتها المتزوجات (يظهر أن الأم كانت قد توفيت قبل ذلك)، وشدّتْ الرحال إلى جزيرة ليسبوس Lesbos التي كانت عاصمة الملاهي والمسرات في بلاد اليونان، وهناك قابلت الشاعرة العظيمة «سافو» التي تسميها «psappha»، وقد ذكرتها في بعض قصائدها، ويُقال إن «علاقة حب» قد ربطت بين الشاعرتين فترة من الزمن!

وفي مدينة ميتيلين، المدينة الكبرى في جزيرة ليسبوس، استقرت بيليتيس لتتعلم فنون الأدب والرقص والغناء بمصاحبة القيثارة Lyre والنقر على الدف والنفخ بالمزمار Flute.. ولكنها لم تتعلم هذه المهارات فقط وإنما تعلمت معها فنون الحب وكيفية إغواء العشاق وإرضائهم، سواء أكان هؤلاء العشاق من الرجال أو من بنات جنسها!

وهي بالحقيقة لم تكتم حبّها هذا بل تتغنى به، وخاصة حبها لخدينتها «مناسيديكا Mansidika»، حيث تُقر بعمق العلاقة

بينهما (على الأقل من ناحية بيليتيس) في قصيدة صريحة تحمل العنوان التالي بالفرنسية:

«الماضي الذي يدوم Le passé qui survit» والتي تقول فيها:

«سأترك السرير على الصورة التي غادرتهِ بها

مُشوّشاً وفي حالة فوضى

لكي أحفظ عليه بصماتِ جسدكِ

إلى جانب جسدي!

سوف لن أستحم قبل يوم غد

وسوف لن أرتدي أية ثياب

ولن أمشّط شعري

خيفة من محو آثار مداعباتك!

سوف لن أتناول طعاماً هذا الصباح

ولا هذا المساء.

وعلى شفتيّ لن أضع أية حمرة أو ذرور

لكي تبقى عليهما آثار قبلتك!

سأترك مصاريع النوافذ مغلقة

ولن أفتح الباب،

لكي لا تذهب الذكرى مع الريح»

* * *

عموماً فإن هذه القصيدة ليست هي الوحيدة التي تقر بيليتس فيها بعلاقتها بخدينتها «مناسيديكا»، حيث نجد هناك في ديوانها الذي يضم مائة وخمسين قصيدة حوالي عشرين قصيدة فيها ذكر لمثل هذه العلاقة تصريحاً أو تلميحاً.

- وبعد إقامة حوالي عشر سنوات في جزيرة ليسبوس كانت المعلمة «سافو» قد توفيت عام ٥٥٩ ق.م، وكانت «مناسيديكا» قد هجرت «بيليتيس» إثر خصام نشب بينهما، فصمَّمت هذه الأخيرة على الرحيل من ليسبوس والعودة إلى وطنها بامفيليا، ولكن القدر سدَّد لها ضربة جديدة حيث جنحت السفينة التي ركبتها إلى جزيرة قبرص ورمتها فيها دون متاع أو مال، وهذا ما أجبرها على ممارسة الحب المأجور (البغاء) لكي تعيش!

وفي قبرص حاولت بيليتيس أن تتأقلم مع حياتها الجديدة، وعندما يئست من إمكانية العودة إلى مقاطعة بامفيليا وحبيبها «ليكاس» هناك، وقعت في حب جديد، بشاب قبرصي وسيم اسمه «تيلياس Teleas»، وصاغت في حبها له «أغنية chanson» رائعة تقول فيها:

«أعطاني (المعجب) الأول عقداً من اللؤلؤ

يَعْدُلُ مدينة بأسرها

بقصورها ومعبدها وعبيدها وكنوزها.

ونظم الثاني في جمالي ديواناً من الشعر

قال فيه إنّ شَعْري يشبه الليل في سواده

وإن عينيَّ أصفى زرقة من السماء عند الصباح!

والثالث كان من الجمال

إلى الحدّ الذي يجعل وجنتي أمه تحمران خجلاً

عندما كانت تُقبّله

لِفَرْط وسامته

ولكن هذا الفتى الوسيم كان يجثو أمامي

واضعاً يده على ساقي

وشفتيه على قدمي العارية!

أما أنت، أما أنت يا حبيبي، فلم تقل لي شيئاً،

ولم تُعطني شيئاً، لأنك فقير الحال

ولست جميل الشكل

ولكنْ هو أنت، أنتَ الذي أحبُّ»

* * *

وبما أن حبيبها الجديد هذا كان فقير الحال، وعاطلاً عن العمل، فإنها كانت تمارس البغاء في مدينة «بافوس Paphos» القبرصية لكي تصرف عليه وعلى نفسها وعلى خادمتها الفريجية.

وفي هذه الفترة القبرصية من حياتها بدأت بيليتيس تعاني من مشكلتين عاطفيتين جديدتين:

- الأولى هي أنها بدأت تشعر بذبول جمالها شيئاً فشيئاً، بالرغم من أنها لم تكن قد بلغت الأربعين بعد.

- والثانية هي أن حبيبها القبرصي بدأ يتملص من وعوده لها، ويتأخر في لقاءاته بها، وقد هدّدها في ساعة غضب بأنه سيهاجر من قبرص إلى مصر!

وحاولت هي وصل ما انقطع، وإقناعه بالبقاء معها في قبرص، ضمن عدة رسائل كتبتها له، وكان منها قصيدة كتبتها تحت ذات العنوان «رسالة Une Lettre»، تستعطفه فيها وتتوسل إليه البقاء في قبرص لأن هجره لها سيدمرها، حيث أنهت الرسالة بقولها: «إنّ حياتي بكاملها تتعلق بجوابك»!

- ولكن نداء بيليتيس هذا لحبيبها القبرصي لم يلق أي استجابة، حيث نفَّذ تهديده ورحل عن جزيرة قبرص إلى مصر تاركاً صاحبته طائشة اللب مسلوبة الفؤاد حائرة كيف تفعل بحياتها المُقبلة!

وزاد في أزمتها النفسية أن عُشّاق سريرها باتوا قلائل، حيث أصبحت تقضي أمسية بكاملها انتظاراً لزيارة واحد منهم، بعد أن كانوا يتزاحمون بالعشرات على باب منزلها كل مساء، وكما وصفت هي الوضع أفضل وصف في إحدى قصائدها حين قالت:

«الشبان الصغار يمرّون بي دون أن يُعيروني أي اهتمام، والكهول قد نسوني حتماً».

وبدلاً من أن تنتظر عشاقها في منزلها أصبحت تخرج إلى الشارع بحثاً عن واحد منهم، ونلمس هذا من خلال قصيدتها التي تحمل عنواناً معبِّراً هو «العاشق الأخير Le Dernier Amant»، وهاهي ترجمتها إلى العربية:

«أيها الفتى الجميل

لاتمرّ بي دون أن تمنحني حبك

فأنا ما زلت جميلة في الليل،

وسوف ترى بنفسك أن خريفي

أدفأ من ربيع أية امرأة أخرى!

لا تفتش عن حُبّ العذارى

لأنّ الحب فنّ صعب

والفتيات الشابات لا يعرفن الكثير في هذا المجال

أما أنا فأمضيت حياتي بكاملها في تعلّم هذا الفن
لكي أقدم ذلك للعاشق الأخير
وأعلم أنه سيكون أنتَ!
هاهما شفتاي اللتان أورثتا
الرغبة الظامئة لشعب بأسره
وها هو شعري الذي تغنّت به الشاعرة العظيمة سافو
سأمنح لكَ كل هذا
وكل ما تبقى لي من شبابي الضائع».

* * *

ولكنَّ كل هذا لم ينفع في إزالة حالة الإحباط التي كانت الشاعرة العاشقة تعاني منها، فقررت أن تشد الرحال إلى مصر، لعلها تجتمع بحبيبها القبرصي «تيلياس»، وهكذا ذهبت إلى مقر إقامتها الرابع والأخير، وهو شواطئ مصر الشمالية، في الموقع الذي كان يسمى «بالاسيو – ليميسو»، على مقربة من المكان الذي تقوم فيه مدينة بورسعيد حالياً.

وعندما لم تتمكن بيليتيس من العثور على حبيبها توقفت عن كل شيء: توقفت عن المتاجرة بجسدها المتعب بعد أن أصبح عمرها خمس ثمانيات (أي أربعين عاماً)، وتوقفت عن الحب، وتوقفت عن قرض الشعر في الوقت نفسه، كما توقفت عن إرادة

العيش، لأنه لم يعد لديها أي أمل في العودة إلى حياة نظيفة وشريفة وذات معنى، وأصبحت في حكم الميتة، بل إنها نظمت في تلك الفترة، وقبل أن تعتزل النظم، قصيدة تصف فيها حالتها النفسية من جراء انصراف الأحباب والعشاق عنها، وهي بعنوان «مطر الصباح Le Pluie du Matin» وتقول فيها:

«هاهو الليل يمضي
والنجوم تبتعد (تنطفئ) شيئاً فشيئاً
وهاهي أسراب الغانيات الأخيرات
يَعُدن إلى منازلهن برفقة عُشّاقهن
بينما أكتب أنا هذه الأبيات
تحت رذاذ مطر الصباح وأحفرها على الرمل!
هاهي أوراق الشجر اللامعة المُحمّلة بالماء
وهاهي السواقي تجري في الممرات الضيقة
حاملة معها الوحل والأوراق الميتة.
قطرات المطر الهاطل
بدأت تحدث ثقوباً في أغنيتي (التي كتبتها على الرمل).
آه كم أنا حزينة ووحيدة
إن الشبان لا ينظرون إليَّ
والرجال الأكبر سناً قد نَسُوني!

حسناً، إنهم سيتعلمون أشعاري

وكذلك سيفعل أبناؤهم، وأبناء أبنائهم»

وعندما شعرت بيليتيس أنها لم تعد محبوبة ولم يعد بوسعها أن تحب كان ذلك بمثابة الموت لها، الذي عبرت عنه في القصيدة الأخيرة التي كتبتها، والتي تحمل عنوان «الموت الحقيقي: la mort véritable» وتقول فيها:

«أيْ أفروديت

أيتها الربة التي لا ترحم

لقد أردتِ ألا يدوم لي شبابي السعيد

وأن يتقصف شعري الأسود في عدة أيام

دون أن أموت تماماً!

لقد تطلعت في مرآتي فَفَقَدْتُ ابتسامتي ودموعي!

أيها الوجه الذي كانت تحبه مناسيديكا

لا أصدق اليوم أنكَ كنت وجهي

هل يمكن أن يكون كلٌّ شيء قد انتهى بالنسبة لي،

أنا التي لم أعش خمس ثمانيات بعد؟!

يخيّل لي أني ولدت البارحة

ولكن علي أن أعترف وأقول:

لم أعد امرأة محبوبة.

لقد قصصت كلَّ شعري

ولففته حوالي إزاري الأنثوي

وها أنا أهديهما لكِ يا كيبريس الأبدية

لأني لا أزال أعبدك

وهذا آخر بيت شعر تكتبه

الورعة بيليتيس»

* * *

وهكذا انتهت حياة بيليتيس «شاعرة الحب الخالدة» التي عاشت للحب وماتت من الحب، وتغنّت طيلة حياتها بالحب: حب ابنها (بانيكس)، حب أترابها في ميعة الصبا، حبّ عشيرها الأول (ليكاس)، حبّ الرجال بشكل عام، حب خَديناتها وخاصة سافو ومناسيديكا، حب مسقط رأسها، مقاطعة بامفيليا التي حاولت في آخر حياتها (القصيرة نسبياً) العودة إليها دون جدوى.

وإذا كانت ميول بيليتيس العاطفية والجنسية «غير ملتزمة» تماماً، وإذا كانت قد امتهنت البغاء في مرحلة من مراحل حياتها، فيجب أن لا ننسى أنها كانت تعيش في مكان غير مكاننا، وزمان غير زماننا، وفي ظروف معينة قد تختلف عن الظروف التي نعيش فيها نحن.

٤ - أهم المراجع عن بيليتيس:

1) – Pierre louys «les Chansous de Bilitis» - paris 1895.

2) - «Six chansoms de Bilitis» - Traduites en vers par Mme jean Bertesoy – Revue pour les jeunes filles- Armand colin – paris 1896.

3) - «The songs of Bilits» By Williamobitz – Gottingen 1896.

4) – http/www. Sacred texts. Com/cla/sob.

٥) - علي محمود طه «حب وحرب» - القاهرة – ١٩٥٠.

خامساً - إيرينا الديِّلُوسيّة (القرن الرابع قبل الميلاد)

Erinna (IVeme Siecle A.C)

مقدمـــة:

شاعرة هيلينستية (يونانية - مشرقية) مُجيدة، بدأت النظم في الخامسة عشرة من عمرها، وتوفيت شابة في التاسعة عشرة حسبما يؤكد «أوستات Eustathe»!

رثاها الشاعر آسكليبيا «Asclepiade» بقصيدة يقول فيها:

«هاهي مؤلفات إيرينا الممتعة

إنها ليست ضخمة في الحجم

لأنها نتاج فتاة في التاسعة عشرة من عمرها فقط

ولكن لها من قوة البيان ما يتفوق على الكثيرين.

تُرى من كان بوسعه

أن يصبح أكثر شهرة منها في نظم الشعر

لو لم يختطفها الموت منا بمثل هذه السرعة»؟!

ووصفها الشاعر المعاصر لها، ليونيداس التارانتي، بأنها «نحلة شابة تصنع العسل»!

ورثاها من معاصريها، ومن الشعراء الذين جاءوا بعدها، عدد من المشاهير من أمثال ميلياغروس الغَدَري، وأنتيباتروس الصيداني وغيرهما.

وهذه الشهادات ليست جميع ما قيل في إيرينا وشعرها ولكنها في المحصلة تُجمِع على أربعة أمور:

أ – إن شعرها كان حديثاً وعذباً ومؤثراً.

ب– إن نتاجها كان قليلاً من حيث الحجم.

ج– إنها ماتت في سن الشباب.

د – إنها كانت ستصبح شاعرة كبيرة لو أنها عاشت مدة أطول.

٢ - قصائدها:

لم تكتب إيرينا خلال حياتها القصيرة (١٩) عاماً إلا سبع قصائد، ولم يصلنا من هذه القصائد كاملاً إلا قصيدة واحدة هي «المغزل»، وهي قصيدة فلسفية حول عبثية الموت، إذ إنّه كلما انقطع خيط في هذا المغزل تغادرنا روح من الحياة الدنيا إلى «هاديس».

لذا وجدنا من الأفضل أن نختار قصيدة أخرى لها أقرب إلى قصائد الحب (حب الحياة على الأقل) وهي قصيدة تتحدث عن موت الفتاة «بوسيس Baucis» في ذات اليوم الذي كان من المفترض أن يتم حفل زفافها إلى عريسها، وهي إلى حد ما قصة الشاعرة إيرينا نفسها:

عنوان القصيدة «إلى عروسة شابة A Une Jeune Mariée»
وهاهو نصُّها:

«أنا قبر العروس الشابة بوسيس
إذا مررتَ أيها العابر من هنا
قربَ هذا النصبْ (الضريح)
الذي ترويه دموع غزيرة
فقل لهاديس، ربّ العالم السفلي:
(إنك غيور يا هاديس)!
وإذا نظرت إلى الرموز الجميلة،
المرسومة على قبري
فإنها ستعلمُك بالمصير المأساوي
الذي كان من نصيب بوسيس،
وكيف أن حَمَاها (والد خطيبها)
أحرق على الحطب جثمان هذه الصبية،
وهو نفس الحطب الذي كان معدّاً
ليكون مشاعل زفافها!
وأنت يا حفل الزفاف
لقد بدَّلت أغنية العرس الجميلة
إلى صرخات حزن باكية»

* * *

والجدير بالملاحظة هنا هو أن هذا النص الذي نظمته إيرينا كتبته خصيصاً لرفيقتها المتوفاة «بوسيس» لكي يُنقش على شاهدة قبرها.

حيث نجد نص قصيدة أخرى حول نفس الموضوع تقول:

«أيتها الأنصاب، وأنتنّ يا نافخات الأبواق

وأنت أيها الجرن الجنائزي

الذي لا يحوي إلا نسمة من رفاة الموتى

قدموا تحية الصداقة

إلى أولئك الذين يمرون قرب ضريحي

سواء أكانوا من أبناء وطني أو من بلد آخر.

قولوا لهم أيضاً إنَّ هذا القبر

يضمُّ رفاة عروس شابة

هي أنا بوسيس كما سمّاني أبي

وليعلموا بأني من جزيرة تينوس Tenos

وأن الشاعرة إيرينا رفيقتي

هي التي نظمت هذه الكلمات

لتكون شاهدة على قبري»

سادساً - شاعرة سنْسكريتية مجهولة :

عاشت هذه الشاعرة في الهند، خلال القرن الرابع بعد الميلاد، وكتبت باللغة السنسكريتية حول «عدم ديمومة الحب» قصيدة ترجمتها باللغة الإنكليزية كما يلي:

«In former days we´ d both agree

That I was you and you were me

What has now happened to us two

That you are you

And I am me?»

والمعنى بالعربية:

«في سالف الأيام اتفقنا كلانا

أنتَ وأنا

على أن تكون أنتَ كما أنا

وعلى أن أكون أنا كما أنت،

فماذا حدث لنا نحن الاثنين

لكي أعود أنا كما أنا

وتعود أنت كما أنت؟!»

الفصل الثاني

شاعرات العصور الوسطى

٥٠١ حتى ١٥٠٠م

مقدمـــة:

تواضعَ المؤرخون على اعتبار عام ٤٧٦م (وهو تاريخ سقوط روما تحت احتلال القبائل المغولية) نهاية للعصور القديمة وبداية للعصور الوسطى. ولكن من المعروف بالمقابل، أنّ العصور التاريخية لا يصح تحديد تاريخ بدايتها أو نهايتها بسنة معينة، ولذلك ارتأينا أن نجعل بدايتها مع بداية القرن السادس للميلاد (٥٠١م)، ونهايتها مع نهاية القرن الخامس عشر (١٥٠٠م).

وخلال مرحلة العصور الوسطى هذه تراجع تأثير روما في ميزان الحضارة، وظهر تأثير الإسلام وتنامى وبخاصّةٍ في بلاد الأندلس التي امتزجت فيها ثلاث حضارات: الحضارة العربية

الإسلامية القادمة من المشرق، والحضارة المغاربية التي قدمت من بلدان المغرب (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، وحضارة السكان المسيحيين الأصليين، فأنتج هذا المزيج تقدماً رائعاً في مختلف جوانب الحضارة ومنها الشعر في جميع صنوفه.

وسنحاول فيما يلي ذكر أسماء بعض الشواعر اللواتي عشن خلال هذه الفترة، سواء أكنَّ من الأروام أم من العرب.

أولاً - ليلى العامرية:

حبيبة قيس بن الملوح الذي أحبها لدرجة الجنون فعُرف باسم «مجنون ليلى»، بل نادته حتى هي بهذا الوصف كما يظهر من شعرها فيه.

ويظهر أن الحب بينهما لم يكن من طرف واحد، بل كان متبادلاً إلى حد يمكن به تشبيههما بعشاق العالم المعروفين مثل هيلوابيز وأبيلار في فرنسا، وروميو وجولييت، في إيطاليا وعطيل وديدمونة في بقية أقطار العالم، والدليل على ذلك هو هذه الأبيات التي نظمتها ليلى وتعترف بها صراحة بحبها لقيس كحبه لها، مع فارق واحد هو أنه جهر بحبه بينما آثرت هي – حسب طبيعة الأنثى – الكتمان:

لم يكن المجنون في حالةٍ إلا وقد كنتُ كما كانا
لكنه باحَ بسرِّ الهوى وإنني قد ذبت كتمانا

* * *

باح مجنون عامر بهواه وكتمتُ الهوى فمتُّ في وجدي
فإذا كان في القيامة نودي من قتيل الهوى؟ تقدّمتُ وحدي

وأسرار اللواحظ ليس تخفى وقد تُغري بذي الخطأ الظنون
وكيف يفوت هذي الناسَ شيءٌ وما في النفس تُظْهِره العيون!

وقالت في مخاطبة حبيبها قيس:

نفسي فداك لو نفــسي ملكــتُ ماكان غيركَ يُحزنُها ويرضيها
صبراً على ما قضاه الله فيــكَ مرارة في اصطباري عنكَ أُخفيها

* * *

كلانا مُظهــرٌ للنــاس بغـضاً وكـــلٌ عنـــد صـــاحبه مكـــينُ
تبلِّغنـــا العيـــون بمـــا أَرَدْنـــا وفي القلبين ثَمَّ هــوى مبــين

* * *

ثانياً - رابعة بنت إسماعيل العدوية:

شاعرة ومغنية بدأت حياتها ساقية في حانة بمدينة البصرة، ثم تابت في آخر حياتها وأصبحت شاعرة صوفية تتغنى بحب الله وحده.

من شعرها في الحب الحسيّ:

إنيِّ جعلتك في الفؤاد محــدّثي وأبحْـــتُ جـــسمي مـــن أراد

* * *

فالجسمُ مني للجليس مــؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

* * *

حبيب لـــيس يعدُلُـــه حبيـــب   وما لسواه في قلبي نـــصيبُ
حبيبٌ غـــاب عـــن بـــصري   ولكن في فؤادي مـــا يغيـــب

من شعرها في الحب الصوفي (الإلهي):

أحبّك حُبّـــين حُـــبَّ الهـــوى   وحبّـــاً لأنـــكَ أهـــل لـــذاكا
فأمّا الذي هو حـــبُّ الهـــوى   فشغلي بذكركَ عمّنْ ســـواكا
وأمّا الذي أنـــتَ أهـــل لـــه   فكشفَك في الحجْب حتى أراكا
فلا الحمْدُ في ذا ولا ذاكَ لي   ولكن لكَ الحمدُ في ذا وذاكا

* * *

ثالثاً - عُليَّة بنت المهدي (٧٧٦م – ٨٢٥م):

- علية بنت المهدي بن أبي جعفر المنصور:

هي حفيدة خليفة، وابنة خليفة، وشقيقة خليفة: حفيدة الخليفة أبي جعفر المنصور، وابنة الخليفة المهدي، وشقيقة الخليفة هارون الرشيد.

ولدت عام ١٦٠ هــ (٧٧٦م)، وأمها جارية اسمها مكنونة، وتوفيت عام ٢١٠ هــ (٨٢٥م) قبل أن تكمل الخمسين من عمرها.

وصفها من ترجم لها بأنها كانت من أجمل النساء، ولكن كان لها فضل سعة في جبينها (أي أن جبينها كان واسعاً قليلاً)،

فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر لِتَسْتُرَ بها هذا العيب، فأحدثت شيئاً ما رؤي فيما ابتدعته النساء أو أَحْدَثَتُهُ أحسن منه!

وكانت تكاد تجمع النقيضين في شخصها، فهي عفيفة متدينة في أيام معينة من الشهر (أيام طهرها من العادة)، وهي ميّالة إلى الشرب واللهو وقرض الشعر وتلحينه وغنائه في أيام أخرى منه (أيام العادة الشهرية).

وبالرغم من أنها كانت على ذمة رجل من أبناء عمها وهو والي الكوفة موسى بن عيسى العباسي، فإنها كانت معجبة بعدة غلمان من خدم أخيها هارون الرشيد، ولو أن هذا الإعجاب كان لا يتعدى الغزل البريء والمراسلات الشعرية!

ونغتنم هنا الفرصة لنقول إن قصة علاقتها بالوزير جعفر البرمكي هي قصة مختلفة غايتها الإيهام بأن هذه العلاقة هي التي أدّت إلى نكبة البرامكة وليس مكائدهم ودسائسهم السياسية!

ونعتقد هنا أنه إذا كان لهذه القصة من أساس فهي تنطبق على «العباسة أخت الرشيد» لا على عُليّة، وأن هذين الاسمين هما لشقيقتين للرشيد وليس الاسمان لشقيقة واحدة كما يعتقد البعض.

وكل ما في الأمر أن عليّة كانت تشكو فراغاً عاطفياً لكونها معزولة في القصر، وبعيدة عن زوجها الذي كان والياً على

الكوفة، ولهذا كانت تتسلى ببعض العلاقات العاطفية العابرة مع غلمان القصر عبر المساجلات الشعرية معهم.

والحقيقة أن الأمر كان يتعدى أحياناً حدود البراءة ويدخل في خانة «الشقاوة»، كما حدث عندما فصل الرشيد بينها وبين أحد غلمانه المدعو «طَلْ» ومنعهما من لقاء بعضهما، فصمّمت عليّة على تسلّق ميزاب البناء للدخول إلى طلْ من النافذة، فقالت بعدئذ تُذكّره بهذه المخاطرة التي قامت بها:

قد كان ما كلّفْتُهُ زمناً ... يا طلُّ من وَجْدٍ بكم يكفي

حتى أتيتك زائراً عجلاً ... أمشي على حتفٍ إلى حتفي

وحفاظاً على سمعتها الشخصية وسمعة أخيها الرشيد كانت علية تستخدم أسماء إناث للغلمان الذي تتغزل بهم في قصائدها، فهاهو أحدهم تناديه باسم «زينب» وفيه نظمت القصيدة التالية:

أضحى الفؤاد بزينبا ... صبّاً كئيباً متعباً

أصبحْتُ من كَلَفي بها ... أدعى سقيماً منصبا

ولقد كَنَيْتُ عن اسمها ... عمداً لكي لا تغضبا

فجعلت زينبَ سترةً ... وكتمتُ أمراً معجبا

قالت لقد عز الوصالُ ... ولم أجدْ لي مذهبا

والله لا نلتَ المودّة ... لو تنال الكوكبا

وكانت تكتم اسم حبيبها الحقيقي – إذا وجد – وتناديه دوماً بأسماء مستعارة (طلٌّ – رشا – زينب..)، وعندما سُئِلت عن سبب ذلك قالت:

كتمت اسم الحبيب عن العبـاد وردّت الصبابة فـي فـؤادي

فوا شوقي إلـى أيـام حلـي لعلّي باسم من أهـوى أنـادي

ومن أقوالها في الفتى (ريَبْ) مثلاً:

القلـب مـشتاق إلـى ريـب يا ربٌّ، ما هـذا مـن العيـب

لقد تيَّمتْ قلبي فلـم أسـتطع إلا البكـا، يـا عـالم الغيـب

خبَّأت في شعري اسـم الـذي أردته كالخـبء فـي الجيـب

ويظهر أن عُليّة كانت تجد بعض السلوى وإرضاء النزعة الأنثوية في هذه «الغراميات الصغيرة Les Amourettes»، التي كانت تعيشها في قصر أخيها هارون الرشيد ببغداد، حيث كانت لا تطيق البعد عن العاصمة العباسية، فعندما خرج الرشيد إلى بلاد الرّي اصطحبها معه فلما وصلت القافلة إلى موقع يقال له «المرج» - وهو على التخوم بين بلاد العرب والعجم – حَنتْ إلى العاصمة ومباهجها، فأنشدت تقول:

ومغتـرب بـالمرج يبكـي وقد غاب عنه المسعدون على الحب

إذا ما أتاه الركب من نحو أرضهم تنشَّقَ يستشفي برائحة الركـب

فلما سمع الرشيد هذين البيتين – وهما من أبدع ما قيل في شعر الحنين – أدرك أنها مشتاقة إلى بغداد وأهلها فأمر بردها إلى هناك.

- رأيها في الحب:

حسب رأي علية، الذي نستخلصه من أشعارها، أنه من النادر أن يقوم الحبّ على العدل، إذ لا بد من أن يكون هناك غالب ومغلوب، بل وظالم ومظلوم، في العلاقة العاطفية أو الزوجية، وهي تقول في ذلك:

بُني الحبُّ على الجورْ فلوْ — أنصفَ المعشوقُ فيه لسمج

ليس يستحسن في حكم الهوى — عاشق يُحسن تأليف الحجج

وقليلُ الحب صرفاً خالصاً — هو خيرٌ من كثير قد مُزج

ولها في هذا المعنى نفسه تقريباً:

تحبَّب فإن الحبَّ داعية الحب — وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

تبصَّر فإن حُدِّثتَ أنَّ أخا هوى — نجا سالماً، فادع النجاة إلى الربّ

وأطيب أيام الفتى يومهُ الذي — يروّع بالهجران فيه وبالعتب

إذا لم يكن في الحب سخط ولا — فأين حلاوات الرسائل والكُتْبِ؟!

- التلحين والغناء:

كانت عُلية لا تكتفي بنظم الشعر، بل إنها كانت تلحن قصائدها وتغنيها أحياناً، وهاهي شهادة بحقها من إحدى مطربات ذلك العصر، وهي الجارية المغنية «عريب» حيث تقول هذه في فن عُلية وصوتها:

«أحسن يوم مرّ بي في الدنيا وأطيب يوم، هو اليوم الذي اجتمعتُ مع إبراهيم بن المهدي وأخته علية ومعهما أخوهما يعقوب، وكان من أحذق الناس في نفخ الزمر، فبدأت علية وغنتهم من صنعتها في شعرها، ويعقوب يزمّر لها:

لم ينسنيك سرورٌ لا ولا حَــزَنُ وكيف لا، كيف يُنسى وجهُكَ الحسنُ

ولا خلا منك لا قلبي ولا جسدي كُلِّي بكُلِّكَ مــشغولٌ ومُــرتَهنُ

وحيدة الحزن مالي عنكَ من كلفٍ نفسي بحبك إلا الهمَّ والحــزنُ

نور توّلد من شمس ومن قمرٍ حتى تكامل فيه الروح والبــدنُ

وروي عن الحاضرين والسامعين أنهم قالوا:

«لم يُرَ في الجاهلية والإسلام أخٌ وأختٌ أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته علية».

وقبل إنهاء كلامنا عن علية يستحسن أن ننوه بأن شعرها لم يكن كله من قبيل الغزل أو الحنين، وإنما نظمت في الرثاء وفي

الهجاء أحياناً، ولعلّ أظرف ما قالته في الهجاء هو هذه الأبيات الثلاثة في هجو جارية لأم جعفر، زوجة الرشيد، اسمها «طغيان»:

لطغيان خُفٌّ مُذْ ثلاثين حجّـــة جديد فــلا يبْلـــى ولا يتمـــزّقُ

وكيف بلا خُفٌّ هو الدهر كلـــه على قدميها في الهواء معلـــق

فما أخرقت خفاً ولم تبل جورباً وأمــــا ســـــراويلها فَتمَـــزَّقُ

- الميزات العامة لشعرها:

شعر علية شعر خفيف، يتمتع بروح الدعابة وكلماته جميعاً من السهل الدارج، وكل ذلك يجعله شعراً يمكن قراءته وفهمه والاستمتاع بسماعه من قبل الجميع.

ولكن علية لم تكن تتمتع بقدرة شعرية طويلة النفس – إذا صح التعبير - فجميع قصائدها يتراوح طولها بين بيتين وسبعة أبيات لا أكثر، ونعتقد جازمين بأنها لم تكن قادرة على نظم قصائد أطول من ذلك.

وهي تذكّرنا بالقصائد اليونانية التي سادت في المرحلة الهيلينستية، أي بين القرنين الرابع والأول قبل الميلاد، التي كانت تسمى «إبيجرامات Epigrammes» والتي تشكل جانباً من جوانب «الشعر الغنائي Poésie Lyrique: Lyric Poetry».

وأخيراً نقول إنه إذا جاز تشبيه علية بشاعرة أخرى فإننا نرى كثيراً من أوجه التشابه بينها وبين الشاعرة الأندلسية ولادة بنت المستكفي من حيث عراقة الأصل، والشعر الغرامي المليء بالدعابة.

* * *

رابعاً - خديجة بنت المأمون:

بنت الخليفة العباسي المأمون، وحفيدة هارون الرشيد، عاشت في القرن الثالث الهجري (التاسع للميلاد).

كانت أديبة وشاعرة غزلية، امتزج غزلها بالظرف والرقة، وأحلى قصيدة لها هي التالية التي تتغنى فيها بخادم كان يعمل عند أبيها المأمون:

بالله قولوا لي لِمنْ ذا الرشا — المثقلُ الردف الهضيم الحشا

أظرف ما كان إذا ما صحا — وأملحُ الناس إذا ما انتشى

وقد بنى بُرْجَ حمام له — أرسل منه طائراً مُرْعِشاً

يا ليتني كنت حماماً له — أو باشقاً يفعل بي مايَشا

لو لبس القوهيَّ من رقةٍ — أوجعه القوهيُّ أو خدشا

ويروى أنَّ إحدى جواري الخليفة المتوكل غنّته هذا الشعر، فسألها عن مصدره، فترددت أولاً ثم أجابته بأنها سمعته في دار المأمون دون أن تدري لمن هو!

وصممّ المتوكل على معرفة القائل فسأل المغنية الشهيرة «مُلْحة» عن القائل فردّت: «أنا علم الناس به»، فقال: «لمن هو يا ملح»؟ فقالت: «الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه»، فأطرق المتوكل قليلاً ثم قال: «ألا لا يسمعن هذا منكِ أحد»!.

* * *

خامساً - سلمى البغدادية بنت القراطيسي:

شاعرة بغدادية من العصر العباسي الوسيط، من أكثر الشواعر نرجسية، حيث إن أغلب قصائدها - وهي قليلة - تصف فيها جمال جسدها بصورة تقرّبها من جمال عشتار أو أفروديت، وقد انتقينا من جملة قصائدها القصيدة التالية التي تتغزل فيها بنفسها:

عيون مها الصريم فداء عيني — وأجياد الظباء فداء جيدي

أُزيَّن بالعقود وإنَّ نحري — لأزينُ للعقود من العقود

ولا أشكو من الأوصاب ثقلاً — وتشكو قامتي ثقل النهود

ولو جاورتُ في بلد ثموداً — لما نزل العذاب على ثمود

ويقال إن الخليفة العباسي المقتفي لدين الله عندما سمع بأمر هذه الأبيات وتدبَّر معانيها، أرسل رسلاً من قبله إلى الجهة التي كانت

تسكن فيها سلمى وقال لهم: «اسألوا هل تصدق صنعتها»، فردوا عليه: «ما يكون أجمل منها»، فسألهم من جديد: «وماذا عن عفافها؟»، فردوا عليه: «هي أعفُ الناس»، فأرسل لها مالاً وفيراً وقال لرسله: «تستعين به على صيانة جمالها» وهذا ما كان.

* * *

سادساً - ولاّدة بنت المستكفي:

إذا استعرضنا موسوعات «شعراء العالم» الأجنبية فإننا لا نكاد نجد فيها إلا اسماً عربياً واحداً هو «ولادة بنت المستكفي» فمن هي هذه الشاعرة؟

أبوها هو الخليفة محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر لدين الله، الشهير بالمستكفي الذي بايعه أهل قرطبة خليفة عليهم بعد أن خلعوا الخليفة المستظهر عام ٤١٤ هـ (١٠٢٣م).

أما والدتها فهي «سكرى المورورية»، وهي ليست عربية قطعاً، ولكن المؤرخين اختلفوا بين نسبتها إلى البربر أو إلى الأندلسيين الأصليين!

وكان الخليفة المستكفي سكيراً وجاهلاً، وكانت أمها خبيثة شريرة، وقد وصل الأب إلى الخلافة وولادة في باكورة أيام

المراهقة (١٤ عاماً)، لذا لم يكن غريباً أن تمتلئ بالزهو والغرور.

كما أن الثورات والفتن الداخلية التي عمّت قرطبة في زمن المستكفي جعلت ابنته تميل إلى تحدّي المجتمع والاستهتار به وخرق تقاليده، ولهذا لم يكن غريباً أن يدفعها الغرور إلى أن تكتب على ردن ثوبها الأيمن:

أنـــا والله أصـــلحُ للمعـــالي وأمشي مشيتي وأتيــهُ تيهــا

وأن تكتب على الردن الأيسر بالمقابل:

وأُمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي مــن يــشتهيها!

والغريب أن يكتب عنها كثير من المؤرخين أوصافاً ثقافية وخلفية طيبة وذات عفاف، حيث قال عنها المقرّي صاحب «نفح الطيب» إنها كانت «حَسَنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة»، كما قال عنها ابن بشكوال في «الصلة» إنها «كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر، وكانت تناضل الشعراء وتفوق الأدباء».

وقال صاحب «المُغْرب» عنها «إنها في الغرب مثل عُلية في الشرق، إلا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق، وأما الأدب والشعر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها، وكانت لها صنعة في الغناء وإنشاد الشعر».

ودافع عنها صاحبها الشاعر ابن زيدون، وقال مخاطباً غريمه في حبها ابن عبدوس:

وغـــرّك مـــن عهـــد ولادة   سراب تراءى وبـــرقٌ وَمَـــضْ

هي المَا يعــزّ علـــى قـــابض   ويمنع زبدتـــه مـــن مخــضْ..

ولكن ولادة لم ترْعَ عهد ابن زيدون هذا، وقلبت له ظهر المجن، وصاحبت غريمه ابن عبدوس، حين حدثت نكبة ابن زيدون وهَرَبَ من قرطبة إلى الزهراء، ولم تشفع له قصيدته التي أرسلها إليها، والتي تبدأ بالشطر المشهور: «إني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً». وهذا ما أجبر المدافعين عنها، لتبرير غرابة سلوكها فقال هؤلاء: «إنها اطّرحت التحصيل وأوجدت إلى القول فيها السبيل بقلة لامبالاتها ومجاهرتها بلدّاتها».

- مجلسها:

كان المؤرخون مختلفين حول أخلاقيات ولاّدة بين قائل إنها «كانت شريفة عفيفة، بنت عز وكرم»، وبين نفر آخر اتهمها بالانحلال الخلقي، بل إنَّ بعضهم ألحق بها تهمة «المثلية الجنسية» بعلاقتها المشبوهة بخادمتها «مهجة»!

نقول إنه إذا كان المؤرخون مختلفين حول النقطة السالفة الذكر، فإنهم كانوا متفقين تماماً على سعة ثقافتها وانفتاحها على الآخرين، وعلى فائدة «المجلس الأدبي» الذي افتتحته في

قصرها فكان مجمعاً للشعراء والأدباء في ذلك العصر (القرن الخامس الهجري).

ومما يقوله صاحب «نفح الطيب» في وصف هذا المجلس: «كان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والشعر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غُرّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب».

وهكذا غطى «المجلس الأدبي» الذي أدارته على ما قامت به من مخالفة لبعض العادات والتقاليد الدينية والاجتماعية.

- أهم قصائدها:

في عتاب ابن زيدون على خيانته لها مع جارية سوداء:

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا   لمْ تَهْوَ جاريتي ولم تتخيّر

وتركتَ غصناً مثمراً بجماله   وجنحت للغصن الذي لمْ يثمر

ولقد علمتَ بأنني بدرُ السّما   لكن ولعتَ، لشقوتي، بالمشتري

- رسالتها إلى الأصبحي:

وعندما كتب لها الأصبحي طالباً أن تسمح له بلقائها أجابته:

ترقَّب إذا جَنَّ الظلام زيـــارتي فإني رأيت الليل أكـــتم للــسر

ولي منك ما لو للشمس لم تلّحْ وبالبدر لم يطلعْ، وبالنجم لم يسر

في وداع ابن زيدون:

ودّع الــصبر محـــبٌّ ودّعـــك ذائعٌ من سره مـــا اســـتودعك

يا أخا البـــدر ســـناء وســـنى حفــــظ الله زمانـــــاً أطلعـــك

إن يطُــل بعـــدك ليـــل فلكـــم بتُّ أشكو قِصَر الليـــل معـــك!

رسالة الوداع الأخيرة:

بعد النقمة على ابن زيدون وإزاحته عن الوزارة في قرطبة وهروبه إلى قصر الزهراء واختبائه فيه كتبت ولادة له:

ألا هل لنا من بعد هذا التفــرّق سبيل فيشكو كل صبّ بما لقي

وقد كنتُ أوقات التزاور في الشتا أبيتُ على جمر من الشوق محرق

فيكفَ وقد أمسيتُ في حال قطعه لقد عجّل المقدور ما كنت أتقي

تمر الليالي لا أرى البيْنَ ينقضي ولا الصبر مـــن رقّ التـــشوّق

سقى الله أرضاً قد غدَتْ لك منزلاً بطلٍّ سكوبٍ هاطل الوّبْل مغدق

وردّ عليها ابن زيدون ببيتين من ذات القافية والرويّ:

لحى الله يوماً لستُ فيه بمُلتقٍ محيّاك من أجل النوى والتفرّق

وكيف يطيب العيش دون مسرَّةٍ وأي سرور للكئيـــب المـــؤرّق

- **نهاية ولاّدة ووفاتها:**

قلّبت ولادة ظهر المجن لابن زيدون بعد نكبته في آخر حياته، وتنكرت له ونعتته بأقبح الصفات التي يمكن أن يُنعت بها رجل، وخانته عياناً بياناً مع غريمه السابق ابن عبدوس.

وخارج هذه العلاقة ارتبطت ولادة بعدة علاقات عاطفية عابرة حتى بلغت الستين من عمرها دون زواج.

وتتهمها خادمتها السابقة «مهجة» بتهمة خطيرة وهي إنجابها لولد غير شرعي:

ولاّدةُ قــــــد صـــــــرتِ ولاّدة   من غير بعــل فُــضِحَ الكـــاتمُ

ولكن يغلب على الظن أنَّ هذه التهمة كانت بدافع الحقد والمكيدة.

* * *

سابعاً – حفصة بنت الحاج الركونيّة:

حفصة بنت الحاج الركونيـــة (نسبة قرية «الركونة - ALrukuna» وهي من أعمال غرناطة) عام ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، وتوفيت في مدينة مراكش/ المغرب عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م.

وصفها الملاحي في تاريخه بأنها «الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال».

وقال عنها ابن دَحيْة «رخيمة الشعر، رقيقة النظم والنظر».

كما وصف لسان الدين الخطيب في «الإحاطة» جمالها وتميزها وثقافتها الواسعة وروحها السلسة.

كانت دبلوماسية وصاحبة تأثير، ويقال إنّها ذهبت في وفد تهنئة إلى السلطان الموحدي عبد المؤمن في مدينة الرباط، فارتجلت له القصيدة القصيرة التالية وقالت تخاطبه:

يـــا ســيّد النـــاس يـــا مـــن يأمــــل النــــاس رَفْــــدَهْ

امــــنُنْ علـــــيَّ بِطَـــرْسٍ يكـــــون للـــــدهر عُـــــدّة

تخـــــطُ يمنــــاك فيـــــه (الحمـــــــد لله وحــــــده)

ولكي يفهم القارئ مقدار حصافة هذه الشاعرة نذكر بأن المراسيم التي كان يصدرها سلاطين المغرب الموحدين كانت تبدأ بعبارة (الحمد لله وحده).

- حياتها العاطفية:

كانت الشاعرة حفصة تشبه ولاّدة بنت المستكفي في أغلب صفاتها وطباعها، فكما جمعت ولادة الجمال والحسب والثراء إلى جانب الموهبة الشعرية، جمعت حفصة الركونية هذه الأمور جميعاً، وكما أحبّت ولادة وزيراً هو ابن زيدون، فقد أحبّت حفصة الوزير أبا جعفر بن سعيد، وكما عاشت ولادة عزباء دون زواج عاشت حفصة بتولاً كذلك.

ولكن الفارق بين الاثنتين هو أن ولادة شمتت بابن زيدون بعد نكبته ووصفته بأبشع وأشنع الصفات، بينما حزنت حفصة على مقتل صاحبها أبي جعفر بني سعيد ولبستْ عليه الحداد، ولمّا تم تهديدها بالقتل رحلت من غرناطة إلى مراكش، حيث قضت بقية حياتها تحت حماية السلطان المغربي كمربيّة لبنات الأسرة الموحّدية هناك.

وعندما قتلوا لها حبيبها أبا جعفر بن سعيد ولبست عليه الحداد تصف مشاعرها بالقول:

هددّوني من أجل لبس الحـــداد لحبيـــب أردوه لـــي بالحــــدادِ

رَحِــمَ الله مــن يجــود بـــدمع أو بِنَوْحٍ على قتيــل الأعـــادي

- أحلى قصائدها:

قال ابن سعيد في «الطالع السعيد» إن حفصة الركونية كتبت إلى حبيبها أبي بكر:

أزوركَ أم تـــزورُ فـــإن قلبـــي إلى ما تـــشتهي أبـــداً يميـــل

فثغـــري مـــوردٌ عـــذبٌ زلال وفـــرع ذؤابتـــي ظـــلٌ ظليـــلُ

وقد أمَّلتُ أن تظمـــأ وتـــضحى إذا وافى إليـــكَ بـــي المُقيـــلُ

فعجَّل بـــالجواب فمـــا جميـــل إباؤك عن بثينـــة يـــا جميـــل

- وقالت في بطاقة دفعت بها إلى جارية أبي جعفر طالبة مقابلته وتصف فيها نفسها دون ذكر اسمها:

زائــــرٌ أتــــى بجيـــد الغـــزالِ مُطَّلع تحــت جنحــه للهـــلالِ

بِلحاظ من سحر بابل صــيغت ورُضاب يفوق بنــتَ الـــدوالي

يفضح الورقَ ما حوى منه خَدٌّ وكـــذا الثغــر فاضــحٌ للآلـــي

ما ترى في دخولـــه بعــد إذن أو تراه لعارض فـــي انفـــصال

- وكتبتْ تصف غيرتها على حبيبها:

أغارُ عليكَ من عينـــي رقيـــبٍ ومنكَ ومن زمانـــكَ والمكـــانِ

ولو أني خبأتكَ فـــي عيــوني إلى يوم القيامـــة مـــا كفـــاني

ومن شعرها في رثاء حبيبها أبي جعفر:

سلام يفتح من زهـــره الكمـــام وينطـــــق ورق الغـــــصون

على نازحٍ قد ثوى في الحـــشا وإن كان تُحرم منـــه الجفـــون

فلا تَحْسبوا البعــد يُنْــسيكمو ذلــــك والله مـــــالا يكـــــون

مراجع الاستزادة:

١) ياقوت الحموي «معجم الأدباء» - ٢١٩/١٠.

٢) لسان الدين بن الخطيب «الإحاطة في أخبار غرناطة» - طبعة القاهرة ١٣٦٩هـــ - ج١ – ص٣١٦ – ٣١٨.

٣)بشير يموت «شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام» - بيروت ١٩٣٤ – ص٢١٥ – ٢١٩.

٤) المقري «نفح الطيب» - ٥٣٩/٢.

٥) ابن الأبار «التحفة» - رقم ١٠٠.

٦) ابن سعيد «الرايات» - ص٦١.

7) Nyvie: «Hispano –Arabic Poetry» - Baltimore 1946.

8) Di Giacomo: «Une poétesse Andalouse du temps des Almohades» - in Hesp XXXIV (1947)- PP.9-107.

* * *

ثامناً - الجارية أُنس القلوب:

جارية المنصور بن أبي عامر الأندلسي، تعرّفت يوماً بفتى جميل من أفراد الحاشية فوصفته بما يلي:

قدم الليل عنـــد ســـير النهـــار وبدا البدر مثل نـــصف ســـوار

فكـــأن النهـــار صـــفحة خـــدٍّ وكـــأن الظـــلام خـــطُّ عـــذار

وكأن الكـــؤوس جامـــد مـــاء وكـــأن المُـــدام ذائـــب نـــار

نظري قد جرى علـــيّ ذنوبـــاً كيف ممّا جنته عيني اعتذاري

يا لقومي تعجبّوا مـــن غـــزال جائر في محبّتي وهو جـــاري

ليتَ لو كان لـــي إليـــه ســـبيل كنتُ أقضي من الهوى أوطاري

وعندما وصلت هذه الأبيات إلى علم المنصور بن أبي عامر استدعى إنس القلوب وأنّبها وأغلظ لها القول، وسألها أن تُصدِقَهُ وتقول له لمن هذه المعاني، فبكَتْ وطلبتْ من مولاها العفو، ولم تبح له باسم الغلام، ولكنها اعتذرت منه قائلة:

أَذْنبْـــتُ ذنبـــاً عظيمـــا فكيـــفَ منـــه اعتـــذاري

اللهُ قـــــــدَّر هــــــذا ولــــم يكُـــنْ باختيـــاري

والعفـــو أحـــسنُ منـــه يكـــون عنـــد اقتـــدارِ

فعفا المنصور عنها.

* * *

تاسعاً – آنّ دو فرانس (Anne De France):

شاعرة فرنسية عاشت على الأغلب في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر حسبما يظهر من مفردات شعرها التي تحوي كثيراً من الكلمات العتيقة Archaiques، حيث لا يمكن للقارئ غير المختص أن يفهم كلمات قصائدها إلا إذا كانت «مُدَبْلَجةً» إلى اللغة الفرنسية المعاصرة. وقد اشتهرت هذه الشاعرة خاصة بكتابة القصائد الدينية، وقصائد الفروسية Chevalrie، لذا سنكتفي بذكر قصيدة واحدة لها هنا في الحب، وهي بعنوان «أنشودة الوداع Le Chant des Adieux»:

«هل علينا أن نفترق بدون أمل،

دون أمل في العودة،

هل علينا أن نفترق بدون أمل،

دون أمل باللقاء في أحد الأيام؟!

* * *

إنّ الأمر ليس إلا أملاً بتمني العودة

إن الأمر يتخلص في عبارة (إلى اللقاء)

سنلتقي من جديد أيها الحبيب

لذا أقول لك (إلى اللقاء)!

* * *

إن الله الذي رآنا معاً

يُباركنا معاً وسيوحد مصيرنا

باتحاد أيدينا عند مغيب النهار

قيداً من الحب لا ينفصم»

* * *

عاشراً - كريستين دوبيزان (١٣٦٤ – ١٤٣١).

Christine de Pisan (1364 – 1431)

شاعرة فرنسية تُعد واحدة من أهم شاعرات أوروبا في القرون الوسطى، وقد كتبت أكثر من مائتي قصيدة باللغة الفرنسية القديمة في العلاقات الاجتماعية، وواجبات الرجل تجاه المرأة، والواجبات المتعلقة بالكياسة والذوق السليم، وعاشت تحت رعاية الدوق أورليان Duc d´orleans حسبما تدل إحدى اللوحات المحفوظة في «المكتبة الوطنية بباريس».

وقد اختارت كريستين أن تنظم قصائدها على شكل «رسائل Epitres»، وكانت تسمي كل واحدة منها بعنوان معين، وقد اخترنا لها نصاً من هذه الرسائل بعنوان:

«رسالة إلى رب الحب L´ Epitre au dieu d´ Amour»

وهذه الرسالة وردت ضمن مجموعة حملت عنوان: «Le Livre de la cite des dames»، وقد نشرته كريستين عام ١٣٩٩م وهاهو نص هذه القصيدة - الرسالة:

«رسالة إلى رب الحب»

«من هو الذي يحبط آمال الفتيات الشريفات

بغشه وخداعه؟

إنه جنون الحب!

ومن هو الذي يُنسيهن الله والقديسين والجنة

ويُنسي المرء حياته الأخرى؟

إنه جنون الحب!

* * *

من أين تحدث السرقات

للحفاظ على قدرة الصرف بإسراف؟

وما هو سبب خنق اللقطاء حديثي الولادة

وسبب موت الأزواج الشريرين بسرعة

إنه جنون الحب!

* * *

وقد نظمت كريستين دوبيزان بعد ذلك، بين ١٤٠٠ و١٤١٠ حوالي مئة قصيدة من نوع «قصائد الحب الطويلة Ballades»، تبحث في العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة إذ أسمتها «مئة أغنية للعاشق والحبيبة Cent Ballades d´ Amant et de Dame» وقد اخترنا من بينها «الأغنية رقم ١٢: Ballade XII»، وهي بعنوان «لو كنت متأكدة من أني محبوبة: Si J´étais Certaine Que L´ On m´ Aime» وهاهي ترجمتها إلى العربية:

«لو كنت متأكدة من أني محبوبة

دون أن يعني ذلك وجود أمر مشين (علاقة معيبة)

أو أن يعتقد بعض الناس بذلك،

وأن يكون الحبيب عند طلبه

صديقاً عطوفاً

فإنني لا أنكر بأن هذا الأمر

سيكون كافياً لوجود علاقة حب

تروق لجميع النساء

مهما كانت المرأة كاملة (لا غبار عليها)،

ولكني أخشى من أن يكون الحب غير ذلك؟

* * *

عندها لا يكون من العدل

أن نلوم المرأة التي ترضى باتخاذ صديق لها،

صديق طيب ومخلص يناديها (سيدتي)

طالما أنها ستبقى محافظة على شرفها

وطالما كانت تعلم بأنه سيبقى مستقيم السلوك نحوها

وستكون مجنونة لو رفضت مثل هذا الوضع

ولكني أخشى من أن يكون الحب غير ذلك!

* * *

لهذا السبب

وخيفة من أن تلوك الألسنة سمعتي

أو أن يخدعني بعض الرجال المراءين

فإني لا أجرؤ على حُبّ رجل ما

بالرغم من دعوات بعضهم لي بإلحاح

فأنا أعلم بأنه لو كان هناك رجل يُراعي الكياسة

لظفر بحبي

دون أن يمس بشرفي

ولكني أخشى من أن يكون الحب غير ذلك!»

* * *

الفصل الثالث

شاعرات العصور الحديثة
(١٥٠١ - ١٨٠٠)

أولاً – آن براد ستريت (١٦١٢ – ١٦٧٢)

Anne Bradstreet (1612 – 1672)

- حياتها الشخصية:

رائدة الشاعرات الأمريكيات وأقدمهن في الظهور، بل إنها سبقت في حياتها تاريخ الاستقلال الأمريكي عن بريطانيا عام ١٧٧٦.

ولدت آن دودلي براد ستريت في إنكلترا عام ١٦١٢ ضمن عائلة بوريتانية هاجرت إلى مقاطعة نيو إنجلند (أمريكا) في الثلث الأول من القرن السابع عشر.

كان والدها «توماس دودلي» يعمل مديراً لأملاك الإيرل أوف لينكولن في بريطانيا، الذي كان يملك في قصره مكتبة ضخمة، وهذا ما مكن آن من مرافقة والدها أحياناً إلى القصر وتصفح الكتب الأدبية الموجودة في هذه المكتبة طيلة عشر سنوات تقريباً.

وقد تزوجت آن في سن مبكرة (في السادسة عشرة من عمرها) ثم هاجرت مع زوجها وأفراد أسرتها إلى أمريكا عام ١٦٣٠، حيث استوطن الجميع في مستعمرة (ماساشوستس باي كولوني)، ثم عمل والدها وزوجها حاكمين لهذه المستعمرة، بينما انصرفت آن إلى رعاية منزلها وزوجها وأولادها الصغار، وإلى كتابة الشعر بين وقت وآخر.

وفي عام ١٦٤٧ عاد شقيق زوجها إلى بريطانيا حاملاً معه دفتراً يحوي بعضاً من قصائد امرأة أخيه (آن براد ستريت)، وعرض هذه القصائد على أحد الناشرين الذي قبل بطبعها ونشرها تحت عنوان: «ربة الشعر العاشرة The Tenth Muse»، وفي هذا تشبيه لآن براد ستريت بشاعرة اليونان القديمة «سافو» التي كانت تحمل هذا اللقب.

وقد لاقى هذا الديوان نجاحاً كبيراً في لندن، بالرغم من أنه يحوي بعض الأخطاء، ولهذا ادّعت آن أنَّ المخطوط حمل إلى لندن دون علمها، وشرعت في تصحيح أخطائه ثم أضافت إليه

بعض القصائد ونشرته ثانية عام ١٦٥٠ في أمريكا هذه المرة، تحت عنوان جديد هو: «ربة الشعر العاشرة تظهر في أمريكا The Tenth muse spring in America»، ولاقى الكتاب الجديد الرواج نفسه الذي سبق أن لاقاه في إنكلترا، مما جعل آن تتابع نشاطها في نظم الشعر، وقد نظمت عدداً من القصائد، ولكن الحريق الذي التهم منزلها عام ١٦٦٦ قضى على قسم كبير من نتاجها الشعري.

- وكانت آن براد ستريت تجمع بين صفتين متعارضتين وهما التواضع الشخصي والكبرياء، وقد قضت بقية حياتها مخلصة لأفراد عائلتها وزوجها ولأطفالها الثمانية ولربّها كذلك حيث كان قلبها يعتمر بأصدق المشاعر الدينية.

وقد توفيت يوم ١٦ أيلول ١٦٧٢ في مدينة أندوفر بولاية ماساشوستس الأمريكية.

وبعد وفاتها بست سنوات تمت مراجعة بعض قصائدها المنشورة، وإضافة نصوص القصائد الأخرى التي تم العثور عليها مجدداً، وتم نشر الجميع تحت عنوان: «قصائد متفرقة Several Poems».

هذا فيما يختص بشعرها، وأما نثرها فلم ينشر في أولى طبعاته إلا عام ١٨٦٧، وأغلب هذا النثر من قبيل المواعظ

الدينية والحكم الأخلاقية والتأملات في مجال الطبيعة والنفس البشرية.

والجدير بالذكر أن القسم الأكبر من مطبوعاتها طبع أولاً في بريطانيا، حيث لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية قد استقلت بعد.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن عدداً من مؤلفاتها يتمتع بقيمة وثائقية عن الحياة الاجتماعية الأمريكية في القرن السابع عشر.

- الملامح العامة لشعرها:

يغلب على شعر آن براد ستريت الطابع الكلاسيكي، وأحياناً الديني الأخلاقي التعليمي، ضمن المذهب البوريتاني الذي كان يسود لدى المهاجرين إلى مقاطعة «نيو إنجلند» الأمريكية في ذلك الوقت.

ولكن براد ستريت لم تكن تسيُّرها هذه المشاعر فقط، بل كانت كأي شاعر تعيش حالة صراع داخلي مع مشاعر أخرى هي التي تتعلق بحياتها الدنيوية أيضاً.

وتعبّر الناقدة الأدبية «وندي مارتن Wendy Martin» عن هذه الحقيقة بالقول: «إن أغلب أعمال براد ستريت تدل على أنها كانت تجتاز مراحل صعبة ناشئة عن الصراع بين اللذات

الحسية والمسرات العائلية من جهة، ومتطلبات الحياة السماوية من جهة ثانية.

وكمؤمنة بوريتانية كان عليها أن تُخضع ارتباطها بالعالم الذي تعيشه إلى متطلبات العالم الآخر الذي تؤمن به».

ويظهر هذا الصراع من خلال المواضيع التي طرحتها عبر ديوانها الرابع الذي يحمل عنوان:

«Several poems compiled with great variety of wit And learning» (1678).

حيث تتعرض براد ستريت في هذا الديوان لحياتها الشخصية وقلقها من المرض، وهاجس الموت، ورأيها في الحب وفي الدين والأخلاق العامة والمعاملة الزوجية...

- **أحلى قصائدها**:

1) In memory of my dear grand child Elizabith Bradstreet.

في ذكرى حفيدتي العزيزة إليزابيث براد ستريت.

2) To my dear daughter – in –law miss mercy Bradstreet.

إلى زوجة ابني العزيزة السيدة مرسي براد ستريت.

3) To my dear Loving husband.

إلى زوجي العزيز والمحب.

وهذه القصيدة تُعرف أحياناً بأول بيت فيها وهو «إذا كان هناك من اثنين يشكلان كياناً واحداً، فهو نحن».

4) Some verses upon burning of our house, july 10 th 1666.

بعض الأبيات الشعرية عن احتراق بيتنا في ١٠ تموز ١٦٦٦.

5) Contemplations

تأملات.

6) The flesh and the spirit

الجسد والروح

7) Prologue

مقدمة

8) Longing for heaven

التطلع نحو السماء.

9) Meditations: divine and moral.

تأملات في الدين والأخلاق.

- مختارات من شعرها:

نورد فيما يلي ترجمة لواحدة من أحلى قصائدها، وهي «رسالة إلى زوجي العزيز والمحب»:

«إذا كان هناك من اثنين يشكلان كياناً واحداً،

فهو نحن بالتأكيد،
وإذا كان هناك من زوج محبوب من زوجته فهو أنت،
وإذا كان هناك من زوجة سعيدة برجُلها فهي أنا.
قارن بيني وبين بقية النساء إذا استطعت.
أنا أثمّن حبك أكثر من مناجم الذهب مجتمعة
ومن كل الثروات الموجودة في الشرق.
إن حبّي مثل هذا النهر
لا يمكن أن يجف
ولا يتوقع مكافأة على هذا إلا الحب
إن حبّك لا يمكنني أن أردّ عليه بما يستحقه
ولذلك أرجو من السماوات مكافأتك عليه.
هيا دعنا نحافظ على هذا الحبّ الذي نعيشه
وبهذا عندما نكفُّ عن الحياة (عندما نموت)
يمكننا أن نعيش إلى الأبد».

- بعض المراجع عن براد ستريت:

1) john barryman: «homage to mistress Bradstreet» - 1966.

2) Elizabeth wade white: Bradstreet the tenth muse».

3) Hensley: «the works of Anne Bradstreet».

ثانياً - نينون ده لانكلو:

إحدى محظيات لويس الرابع عشر، الذي مُلّك على فرنسا في النصف الثاني من القرن السابع عشر.

وكانت هذه المحظية من هواة الثقافة والشعر، وقد أسرَّت لها واحدة من زميلاتها أن الملك كان يخونها مع أكثر من امرأة، فردّت عليها بهذه القصيدة المرتجلة التي أخذت اسم «نينون» فيما بعد، والتي تدل على مقدار التهتك الذي كان سائداً في البلاط الفرنسي ذلك العصر:

«ما أهمية الخيانات

(التي تقترفها) الشفاه التي نمتصّ

إذا كانت هذه الشفاه (تعود إلينا) جميلة ومشتعلة؟

هي يمكنها أن تستسلم لغيرنا

قدر ما تريد

على شرط أن تعود إلينا في آخر الليل حرّى وحمراء وشهية!

ما أهمية خياناتها

طالما أنها، ومهما غابت،

لابد أن تعود

وهي دوماً حمراء مشتعلة».

ثالثاً - آن هنْتَر (١٧٤٢ – ١٨٢١) :

Anne Hunter (1742 – 1821)

شاعرة سكوتلندية، ولدت في اسكوتلندا عام ١٧٤٢، وتوفيت في لندن يوم ٧ كانون الثاني ١٨٢١.

أشهر قصائدها تلك التي عنوانها «أمي عرضت علي أن تعقص لي شعري» وتقول فيها:

«أمي عرضت علي أن تعقص لي شعري

بشريط ذي لون وردي متماوج

وأن تربط لي جدائلي بشرائط نادرة

لكي أرتدي صدريتي الزرقاء.

* * *

وصرخَتْ بي: لماذا تبكين هكذا طوال الوقت

في الوقت الذي تذهب الفتيات الأخريات

إلى الرقص واللعب؟

واأسفاه! أنا يصعب عليَّ الخروج والسهر

في الوقت الذي يكون فيه حبيبي (لوبان) بعيداً عني!

* * *

من المحزن التفكير في أن الأيام تمضي بسرعة

عندما يكون أولئك الذين نحبهم بالقرب منا،

هاأنا أجلس الآن على هذه الصخرة المغطاة بالطحلب

وأتنهد حزينة في الوقت الذي لا يسمعني به أحد.

* * *

وها أنا في الوقت الذي أدير فيه مغزلي

وأنشد فيه أغنيتي الساذجة

تبدو القرية لي نائمة بل ميتة

لأن حبيبي (لوبان) بعيد عني».

* * *

رابعاً - شاعرة أيرلندية مجهولة من شعراء القرن الثامن عشر:

لدينا قصيدة واحدة متميزة لهذه الشاعرة وهي: «تذكَّر تلك الليلة Remember that night»، وهي كما يلي:

«تذكّر تلك الليلة

وأنت تدخل عليّ من النافذة

دون قبعة ولا قفازين

بل حتى دون معطف يغطي جسمك!

لقد أعطيتك يدي

تناولتها وأمسكت بها
وبقيت أنا معك حتى زقزق طيرُ الصباح!
* * *
تذكّر تلك الليلة
عندما كنا، أنتَ وأنا، نلتحف السماء الغبراء
بينما كان الليل شديد البرودة حتى الصقيع.
لقد وضعت رأسك بين نهديَّ
وغليونك اللامع يتراقص بين شفتيك
فكّرتُ عندئذ بأنَّ حبنا يمكن أن ينفصم!
أيها الحبيب إلى قلبي
تعالَ إليّ في إحدى الليالي سريعاً
عندما ينام أهلي
وسنتكلمُ معاً
سأضع ذراعي حول خصرك
وأقصُّ عليك قصتّي
وسيحملني حديثك اللطيف العذب إلى السماء.
* * *
النار لم يتم انطفاؤها بعد
والأنوار مازالت مضاءة
ومفتاح منزلنا يقبع تحت عتبة الباب.

استخدمه بخفّة

وستجدني مستيقظة

ثروتي في يدي ومستعدة للرحيل!

* * *

خامساً - ماريانا آلكوفوراندو (القرن الثامن عشر):

Marianna Alcoforando (XVIII ' – S)

شاعرة برتغالية أصبحت راهبة بعد فشلها في حبها الأول والأخير. تألقت كشاعرة في سبعينيات القرن الثامن عشر.

تقول عن الحب:

And then I know that love worth its pain

And that my heart was richer for his sake

Since lack of love is bitterest off all.

والمعنى بالعربية:

«علمتُ عندئذ أنَّ الحبّ يستحق الألم الذي نعانيه بسببه

وأن قلبي أصبح أغنى بالتجربة

طالما أن الحرمان من الحب

هو أكثر مرارة من أي ألم آخر.

* * *

سادساً - مارسيلين ديبورد فالمور (١٧٨٦ – ١٨٥٩)

Marceline Desbordes – Valmore

يقول الشاعر الفرنسي المعروف ألفريد ده موسيه في واحدة من قصائده:

«Rien ne nous rend plus grands qu´ une grande douleur»

أي: «لا شيء يجعلنا عظماء كالألم العظيم».

ويظهر أن «ده موسيه» كان، وهو ينظم هذا البيت، يفكر بزميلته الشاعرة «مارسيلين ديبورد - فالمور»، إذ إنّه نَدَرَ أن تعرضت امرأة لكل المصائب والآلام التي تعرّضت لها هذه المرأة، إلى درجة جعلت بعض النقاد يطلقون عليها لقب «السيدة آلام Mme Douleurs»، بينما أطلق عليها شاعرنا الراحل علي محمود طه لقب «سيدة الحب الخالد» لأنها أحبّت وضحّت، وظلت تحب وتضحي في سبيل الحبيب طيلة حياتها، فكيف كانت حياتها هذه؟

ولدت مارسيلين ديبورد يوم ٢٠ حزيران ١٧٨٦ في مدينة دويه Douai، على مقربة من مدينة ليل، في الشمال الفرنسي، وكان أبوها يعمل في تذهيب وتزيين عربات الأشراف والنبلاء.

ولما نشبت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ قضت هذه الثورة على طبقة النبلاء وعلى رزق «ديبورد» الأب معاً، ففكرت

الأسرة بتدبير حياتها في مكان آخر، واستقر الرأي على أن تسافر الأم مع طفلتها مارسلين إلى جزيرة جواديلوب للنزول ضيفة لدى قريب غني لها يملك ضياعاً واسعة هناك، على أن يلحق بها الأب بمجرد استقرارهما في الجزيرة.

وسافرت الأم مع طفلتها أربعين يوماً وأربعين ليلة عبر البحار، حتى وصلت إلى جزيرة جواديلوب ولجأت إلى قريبها الغني، وبدأت تدبّر أمورها هناك، ثم أرسلت بطلب زوجها للالتحاق بها.

ولكن سوء الحظ الذي كان يلازم الطفلة مارسلين قد تدخل في حياتها من جديد، حيث إنَّ رياح الثورة الفرنسية وصلت إلى جزيرة جواديلوب أيضاً، فثار العبيد والفلاحون وقضوا على عدد كبير من الملاكين النبلاء، وكان من جملة هؤلاء القريب الغني الذي نزلت العائلة فالمور في ضيافته.

كان ذلك عام ١٨٠٠ والفتاة مارسلين لم تبلغ الخامسة عشرة من عمرها بعد، وأبوها الذي وصل إلى الجزيرة لايجد العمل الذي يؤمن له ولعائلته الطعام، وأمها بدأت تعاني من المرض.

واتفق أفراد العائلة الثلاثة على توزيع الأدوار فيما بينهم، بأن يعمل الأب عملاً يدوياً في مزرعة مجاورة، وبأن تخدم مارسلين في أحد البيوت، وأن تنصرف الأم لتدبير شؤون المنزل المتواضع الذي كانوا يسكنون فيه.

وسارت الأمور بهذا الشكل، ولكن بكل صعوبة، طيلة ستة أشهر، ثم أطلّ سوء الحظ على العائلة من جديد فاختطف الأم مرض الحمى الصفراء، فلم يجد الأب وابنته بداً من العودة إلى فرنسا.

ولكن كيف السبيل للعودة وليس معهما أجرة السفينة؟

توسلت مارسلين – التي كانت قد بلغت الخامسة عشرة من العمر – إلى ربان إحدى السفن لكي يرضى بحملها عليها في مقابل اشتراكها بأعمال التنظيف فقبل منها ذلك.

ولما وصل الأب وابنته إلى مرفأ الهافر الفرنسي، في مساء يوم ماطر من أيام عام ١٨٠١. احتارا ماذا يفعلان، أو بالأحرى احتارت الصبية مارسلين ماذا تفعل لكي تعول نفسها وأباها الذي سقط مريضاً بعد رحلة البحر الطويلة.

وبالنظر لأنها تميل إلى التمثيل، ولأن صوتها لا تنقصه بعض الحلاوة، فقد عملت كممثلة متجولة في منطقة شمالي فرنسا، موطنها الأصلي، ولكن موت أبيها جعلها تهجر المنطقة وتنزل إلى باريس.

وفي باريس تعرفت إلى رجل عطوف، في سن والدها تقريباً، اسمه «جريتري»، فقدم لها مساعدة جليلة بأن سهّل لها العمل في مسرح «الأوبرا كوميك» في العاصمة.

وقد ظلت الفتاة تعمل في هذا المسرح خمس سنوات دون أن تفكر في شيء آخر سوى في إتقان مهنتها كممثلة مسرحية، وتأمين حياة مادية لائقة بها، ولكنها كانت تشعر بألم عاصف لأنها بلغت العشرين من عمرها دون أن تُحب أو أن تُحَب، هي التي تمثل أدوار الحب يومياً على المسرح.

وفي أحد الأيام فاجأتها زميلتها في التمثيل «ديلي» وهي تبكي في مقصورتها بعد أن انتهت لتوها من قراءة إحدى القصص العاطفية، ولما سألتها عن سبب حالتها هذه باحت لها وبكل براءة بأنها تحنّ عاطفياً للتعرف إلى شاب يحبها وتحبه، يخلص لها وتخلص له، لكي ترتبط به في المستقبل وإلى الأبد.

كانت «ديلي» على نقيض زميلتها «مارسلين» امرأة مجربة عاشرت العديد من الرجال منذ مطلع صباها، وانتهى بها الأمر إلى أن تصبح عشيقة لشاب وسيم من طبقة غنية اسمه «هنري ده لاتوش Henry de Latouche»!

وفيما كانت ديلي في خلوة مع عشيقها هذا تفتَّقَ ذهنها الماجن عن خطة شريرة للإيقاع بزميلتها مارسلين: ماذا لو أقنعت عشيقها الوسيم هنري بالتقرب من مارسلين وإيهامها بأنه يحبها؟

إنّ ذلك سيجعلها تشعر بكثير من التسلية بالإضافة إلى أنها ستحل «عقدة» مارسلين إذا جاز التعبير!

وتمّ ما خططت له ديلي بسرعة، حيث دعت مارسلين إلى حفلة في منزلها وهناك عرّفتها بعشيقها هنري على أساس أنه طالب في كلية الطب واسمه «أوليفييه». ولقد تمّ ما اتفقت عليه ديلي وعشيقها ده لاتوش بنجاح كامل، حيث سقطت مارسلين في فخ الحبيب الدعيّ «أوليفييه»، محترف الغرام، وأخذت تعبْ من هذا الحب بلا توقف أو تعقل، وكأنها تعوّض في لحظات الحب العابرة عن جميع ماعرفته في حياتها من مآسي وآلام وحرمان!

وهنا حدثت المعجزة، إذ إنَّ هذا الحب جعل من مارسلين واحدة من أبرز شاعرات فرنسا، وكاد يقضي على هوايتها الأساسية التي صاحبتها خلال السنوات العشر الأخيرة من حياتها، وهي هواية القراءة، فنسمعها تقول:

«آه إني لا أستطيع القراءة

كل الكلمات أمام عينيّ لا معنى لها، سوى أنَّي أراه

لا أستطيع القراءة، بل لا أستطيع الحياة»

ولما لمس منها ده لاتوش كل هذا الحب حاول أن يتراجع، وأفهمها بأنه عشيق لصديقتها وزميلتها ديلي، ولكنها لم تتراجع هي، لأنه فات بالنسبة إليها أوان التراجع.

وعندما انقطع عن لقائها ذهبت إلى صديقتها نفسها وطلبت منها التدخل لديه لوصل ما انقطع، حيث نجدها تقول:

«قولي إن ذلك غير صحيح

قولي إنه يجربني، ذلك القاسي

قولي إنه سيرجع إليّ

إنه راجع.. اخدعيني

اذهبي إليه، اركعي بين يديه

واستعطفيه من أجلي»

ولكنها في الوقت نفسه تتذكر بأن رسولتها إليه هي غريمتها فتصيح بقلب مكلوم:

«إنه أمامها، إنه ينظر إليها

إنه يصنع الآن معها كما كان يصنع معي».

وتحاول الفكاك من حبه فلا تقدر على ذلك:

«إني لا أستطيع الهرب منه، كما كنت أصنع من قبل

إن روحي كانت تهرب مني منزعجة وهي ترتعش

فتركتها – تركت روحي – على فمه الملتهب».

ولا يبقى أمامها سوى لذة التفكير به والأرق من أجله فتصرخ والهة:

«لا أريد النوم يا أرقي العزيز

فأيٌّ نوم ألذ منكَ؟!»

ويدرك ده لاتوش أن الثمرة قد أصبحت يانعة بما فيه الكفاية فلا يتورع عن قطفها، بينما تعترف مارسلين بِزَلّتِها قائلة:

«أختاه! إنه لا سند لي اليوم غير فضيلته».

وبعد أن يرتوي العشيق الخائن من جسدها الغض يصمم على هجرها فيدعي زوراً أنَّ أباه مريض ويريد زيارته، فتستعطفه مارسلين قائلة:

«تريد أن تسافر؟ تريد أن ترى أباك؟

اذهب واحمل إليه قبلات طفلة تدين بحبه

ضع على قلبه سلامي، واحترامي وخالص غرامي، إنه أبوك.

إنه أبي.. لقد وهبك الحياة التي وهبْتَها أنتَ لي»

ولما يطول الغياب، ولا يعود الحبيب، تشكو من قسوة هذا الغياب فتقول:

«أختاه لقد سافر حبيبي

إنه تركني، هجرني

لا توجد في عيني دمعة واحدة

لفرط ما بكيت، ولكنني في حاجة إلى البكاء

إنك تبكين معي.. لشدّ ما سأحبك».

ويلينُ قلبه ده لاتوش، ويعود إلى جوار مارسلين لفترة قصيرة فتنسى كبرياءها وتقول:

«يا كبريائي.. لقد أحببت قلبي أكثر منك!»

تنسى كبرياءها، وتصرخ متسائلة بعجب:

«يا إلهي. أيصبح هو سيدي مرة أخرى؟

ولكن.. هل لم يكن سيدي حتى في غيبته».

ولما يعود الحبيب إليها تنسى مارسلين أحزانها وتجثو على ركبتيها أمامه، تتوسل إليه بدلاً من أن يتوسل هو إليها، وتعاتبه قائلة:

«خذ ضحيتك... أرجع إليها أغلالها وقيودها

إني لأسلمك قلباً لا يزال يرتعش حباً»

وبالرغم من أن أوليفييه كان هو الاسم المزوّر لصاحبه هنري ده لاتوش، فلقد أحبّت مارسلين هذا الاسم، حيث نراها تناجيه قائلة:

«لقد كُتِبَ اسمُك في السماء

يوم كُتب اسمي

إنكَ لا تنادي باسمك

إلا ممتزجاً باسمي».

ولكن كل هذا الحب الملتهب، وكل هذه التضحيات التي لا تعرف قيوداً ولا حدوداً، لم تنفع في استبقاء أوليفييه إلى جانب مارسلين، أو في إقناعه بالزواج منها، لذا كان ما لابد أن يكون، فتم الفراق بين الاثنين في عام سقوط الإمبراطورية (١٨١٥).

وبعد الفراق سافر أوليفييه (هنري ده لاتوش) في رحلة دامت عامين إلى إيطاليا حيث تعرّف بأديبة فرنسية أخرى هي جورج ساند، وأما مارسلين فقد بقيت تجتر أحزانها لمدة سنتين، ثم أقدمت على الزواج من زميل لها في عام ١٨١٧، هو «فالمور لانشانتان»، وأضافت اسمه إلى اسمها فأصبحت تدعى «مارسلين ديبورد فالمور».

ولقد أحبت مارسلين زوجها وأخلصت له وأنجبت منه ثلاثة أطفال، ولكنها ظلت في غياهب نفسها مرتبطة بذلك الحب الذي قلبها من طفلة إلى امرأة. ويقال إنّها لما سافرت في صحبة زوجها إلى إيطاليا وهي في الخمسين من العمر كان أول ما قالته وهي تتملى بسحر المناظر الإيطالية:

«قبل ثلاثين عاماً مسَّت قدماه هذه الأرض»!

لقد خرجت مارسلين خاسرة في معركة الحب، ولكنها لم تكن خاسرة في جميع المجالات، حيث إنَّ حبّها هذا صهر روحها، وعمّق إحساساتها، وجعل منها شاعرة من شاعرات الصف الأول.

ويصف لنا الشاعر على محمود طه طبيعة العلاقة بين مارسلين فالمور وهنري ده لاتوش في أيامها الأخيرة فيقول:

«ورغم ما قالته فيه مارسلين من شعر ملتهب ثائر مشرق عنيف فقد كان ده لاتوش ضعيفاً جباناً، إنه هو الذي هرب من عظمة حبها، إنه لم يفهمها، أراد عشيقة فوجد حبيبة، اشتهى اللذات فأعطته حباً قوياً جارفاً، رغب في ساعات المتعة والهناء فمنحته الأبد،، لم تكن تعرف إلا الحب (...) لقد كان حبها عظيماً، وهذا ما أتعب الحبيب وأرهقه، آلمه، لقد كان أكبر وأعظم وأخطر منه فضعفَ وجَبُنَ وآثر الفرار!

أجل كان كذلك، ولكنه لعب الدور الثاني في حياتها، فكل ما صنعه أنه أخرج من أعماق نفسها ما كان مكبوتاً فيها من ذخائر ونفائس وفضائل، وأثار في أغوار روحها كنوز المواهب المتألقة النادرة (...) أجل إنها فقدت الحب ولكنها وجدت الشعر، لقد خلعت روحها فيه ما عليها من غشاء وظهرت عارية لا تخجل حتى في إظهار ما كانت تُحُسُّه من شهوات (...) هذه هي مارسلين ديبورد فالمور، شاعرة الغرام والآلام سيدة الحب الخالــد».

شعر مارسلين ديبورد فالمور:

كان أول ديوان أصدرته مارسلين هو (مراث وغراميات Elegies et Romances) عام ١٨١٩، وبعده أصدرت ديواناً آخر عنوانه «أشعار جديدة Poesies Nouvelles» عام ١٨٢٥.

واختطف منها الموت فجأة اثنين من أولادها وهما ابنتاها إينيس وأوندين على التوالي، مما جعل أشعارها تتسم بطابع الحزن بعد ذلك، ونلمس هذا في ديوانها «الدموع Les Pleurs» الصادر عام ١٨٣٣، و«الأزهار المسكينة Pauvres Fleurs» عام ١٨٣٩، وكذلك في خاتمة دواوينها الشعرية «صلوات وأكاليل من الأزهار Bouquets et Priéres» الذي أصدرته حين شارفت على الستين من عمرها عام ١٨٤٣.

وقد ألّفت مارسلين كتاباً في النثر ذكرت فيه أشياء كثيرة عن حياتها، وهو يحمل عنوان «مَشْغل الفنان Atelier du Peinter» وذلك قبل وفاتها في باريس عام ١٨٥٩.

أهم مميزات شعرها بأنه بسيط وصادق وذو موسيقى داخلية تتساب بين ثناياه إلى درجة أنها أعجبت الشاعر المعروف فيرلين فكرّس لها جانباً من كتابه المعروف «الشعراء الملعونون Les poétes maudits» عام ١٨٨٤. ولم يكن هذا غريباً فقد أعجب شعرها قبله رائد الحداثة في الشعر الفرنسي شارل

بودلير. كما أعجب شعرها الأديبة الفرنسية مدام ريكامييه، والروائي أليكسندر دوماس الأب، والناقد الفرنسي المعروف سانت بوف، وأخيراً لا آخراً الشاعر رامبو.

وستظهر لنا بعض من سمات شعرها هذا في المقطوعات التالية الثلاث، مما ترجمه لنا الشاعر علي محمود طه شعراً لها، وضمنّه في كتاب «حب وحرب» الذي صدر له بعد موته.

١ - حديقة سعدي

أردتُ يا حبيبي أن أقطف من أجلك

ورداً في هذا الصباح

أقدمه هدية مني

فرحتُ أقطف وأحشو به صدارتي

حتى ضاقت من الامتلاء

وانشقَّ عن صدري الرداء

وتبعثر الورد وطارت به الرياح إلى عرض البحر

وذهب به التيار إلى غير عودة

وقد التهبَتْ الأمواج وبدت كالشعلة المتقدة.

وها أنذا يا حبيبي هذا المساء

والعطر لا يزال يفوحُ من هذا الرداء

تنسَّم يا حبيبي ذكرى الورد الفوّاح

الذي قطفته من أجلك هذا الصباح

* * *

٢ - اسم

كنتُ قبل أن أراك مملوكة لك

وحياتي قبل وجودها كانت موهوبة لحبك

أدركتُ هذا كله عندما سمعت اسمك

يُنادى لأول مرة

فاضطربت نفسي واختلج حسي

وكأنما كانت روحك مخبوءةً في اسمك

فاستيقظت روحي على ندائك

وضاع صوتي وخفق قلبي.

نعم سمعتك، نسيتُ أن ألبي

إن جسدي كان ممتزجاً بجسدك

في غشية وسكرة

فحسبت أن اسمي

كان ينادى به لأول مرة.

* * *

لا تكتب إلي

لا تكتب إلي، إني حزينة وأكاد أموت في نفسي
إن الصيف بدونك هو الحب بغير نور
فقد طويت ذراعيَّ لأنهما أصبحا غير قادرين على أنْ يضما لك صدراً
ومن يطرق قلبي الآن فإنما يطرق قبرا
لا تكتب، لا تكتب، ولا تَسَلْ غير الله وغير قلبك إن كنت أحبك.
أمِن أعماق صمتك تقول إنك تحبني؟
لكأني أسمع ولكن يا أسفاه، فلن أستطيع إليك صعودا!
لا تكتب - لا تكتب، أخشاك وأتوقاك
وأخاف ذاكرتي التي احتفظت بصورتك وكثيراً ما تناديني
آه، لا تلوّح بالماء عذباً بروداً، لمن لا يستطيع له ورودا
لا تكتب فإن الخط الحبيب، هو صورة حية للشخص المحبوب
لا تكتب، لا تكتب، هاتين الكلمتين اللتين لا أجرؤ على قراءتهما:
ويُخيل لي أن صوتك يسكبهما على روحي
وكأنهما تلتمعان في ثنايا ابتسامتك
وتطبعهما كقبلة على قلبي
لا تكتبهما بربك.. هاتين الكلمتين: أنا أحبك
لا تكتب، لا تكتب.

* * *

الفتاة الشابة واليمامة

La Jeune fille et Le ramier

«إن الإشاعات تملأ الحديقة

هي تقول إن السماء ستمطر

كل شيء يرتعد خشية من الطوفان المقبل

وأنت أيتها الفتاة التي تتكئين على كتابك

بعد أن توقفت عن القراءة فيه

هل تبكين الحبيب الغالي الذي لم يستطع رؤيتك؟

* * *

هناك أرى يمامة مبللة الجناح في مكان ظليل

طريدة من بلوغ الأفق الذي تراه بعينيها

وهي تنادي رفيقها ناظرة إلى السماء

وهكذا فاليمامة كما أنتِ تتألم في العاصفة!

* * *

فلتمطر السماء، أيتها القلوب الجميلة التي تشكو الوحدة

وخلال مرور العاصفة سوف تولد عدة أشياء

هل تتفتح الورود بحرارة الشمس دون أن يسقيها المطر؟
وأنتم أيها العشاق الذين تنتظرون الحبيب
لماذا تشتكون؟».

* * *

مراجع عامة

1) M.G.Sismoe: «Secret of Marceline Desbordes» - ED. Jansenas 1944.

2) Marceline Desbordes – Valmore devant la critique – paris 1962.

٣) علي محمود طه (حب وحرب) القاهرة – ١٩٥٠.

سابعاً – هيلينا سيكورسكي

ولدت هذه الشاعرة البولونية في عائلة أرستقراطية، وقد تمتعت منذ طفولتها بجميع النعم من ثروة وأصل عريق وعائلة أرستقراطية، وهذا ما عدا نعمة واحدة هي نعمة البصر، فلقد ولدت عمياء!

ولهذا السبب لم تذهب هيلينا سيكورسكي إلى المدرسة، وإنما جاءت المدرسة إليها – إذا جاز التعبير – حيث جاء لها والداها بمجموعة من أفضل المدرّسين والمدرسات إلى المنزل العائلي.

وكانت هيلينا تعيد جميع ما تعلّمته كل يوم، على أسماع رفيقها في اللعب كارل، ابن الخولي المكلف بالعناية بحديقة المنزل.

ولم يكن كارل رفيقها في اللعب فقط، وإنما كان العين التي ترى فيها أيضاً، حيث كان يصف لها لون الزهور وضوء القمر ومنظر السماء وألوان الفراشات.

وعندما أصبح الطفلان كارل وهيلين في سن المراهقة وقعا في الحب، وأصبح الواحد منهما لا يستغني عن الآخر، وهذا ماجعل السيدة سيكورسكي تؤنب ابنتها هيلين وتأمرها بالتوقف عن رؤيته.

ولما لم تنزل الابنة عند طلب أمها، استدعت الأم والد الصبي كارل، وأمرته بأن يقنع ابنه بالابتعاد عن هيلين وإلا صرفته من الخدمة.

كان هذا الأمر أقسى من أن يتحمله الحبيبان، ولهذا تظاهرا بتنفيذه، ولكنهما كانا يتقابلان في السر ويتبادلان القبل البريئة ويتعاهدان على الوفاء مهما كانت الصعوبات.

ومع حلول الربيع شعرت الفتاة به يتفجر في جسدها وقلبها، وأرادت أن تُسجل هذه المشاعر الغريبة التي بدأت تعصف بها، فاستدعت شقيقتها الصغرى وأخذت تملي عليها ما تفيض به قريحتها:

«هذا هو الربيع اليافع المُشرق

فماذا أريد اليوم، وماذا أطلب؟

الأشجار أزهرت، والورود تفتحت

والسموات تألقت

ومن غصن كل شجرة تتدلى ثمرة

وفي لب كل وردة تحوم نحلة

وعلى كل سماء تتمزق غيمة وتسطع شمس.

* * *

أريد أن أضع قلبي على قلبك

وشفتيك على شفتي

كي أحس قبلاتك تنفرط في نفسي كأوراق الزهر

وتترقرق في روحي كزرقة السماء.

دع أناملك تتحرك في بطء كهمس الأسرار

وتنساب في ليونة كليونة قوارب النجاة

وتحتضن أناملي

كي تصبّ في عروقي الخامدة سيل الربيع وعصارة الحياة!

أيٌّ معنى للشجرة المزدهرة دون جسمك

وأية قيمة للوردة الناضرة بدون خدك

وأية لذة للثمرة الشهية بدون فمك

وأية روعة للسماء الصافية بدون جبينك الناصع الوضاء؟

* * *

منكَ الربيع يتغذى، وبكَ الربيع ينمو

وفيكَ الربيع يُنشد جماله

ويخلّد صورته الساحرة على مدى الأجيال،

فقرّ عيناً واهنأ.

ومادمت أنتَ رجع صدى الكون،

فلابدّ أن أكون أنا رجع صداك.

يا أيُّها الحبيب الذي لم أر قبله ضوء الشمس

ولم أعرف قبله مجد الربيع.

* * *

هو ذا العالم يندمج في جمالك

اندماج البذرة في الأرض

ويسري في كيانكَ مسرى الفكر في العقل

ويتغلغل في صدرك تغلغل الحبّ في القلب

ويتسلل في دمائكَ تسلل النار في النار!

فتعال إلي وخذني

خذني إلى مدينة الأحلام

إن نفسي حزينة

ولن تجد الراحة والفرح

إلا في مدينة الأحلام!

* * *

إنها هناك (أي مدينة الأحلام)

إنها هناك، حيث المراعي الخضراء

والحقول الزرقاء

وحُمرة الأصيل الذهبية

ولآلئ النجوم تتلامح كالعيون

وترمق وجهكَ يا حبيبي!

* * *

إنها هناك.. هناك حيث النسيم يهمس

والظل يحضن، والشجر يخفي

والفراش العاقل يخون الورد الزاهر

ويفتح أجنحته، ثم يطبقها عليكَ يا حبيبي!

* * *

إنها (مدينة الأحلام) هناك

هناك حيث الحب يلمع، والصدق يمرح

والثقة تُغني

والوفاء الهادر المجنون يتدفق

ويغمر وجهك يا حبيبي!

* * *

خذني إلى مدينة الأحلام

وسواء أكان حلمي يخدعني

أم كنتُ أنا الذي أخدع نفسي

فإن نفسي حزينة يا رب

وتأبى أن تموت قبل أن ترى

ولو يوماً واحداً، مدينة الأحلام»!

* * *

وقعت هذه الرسالة في يد الأم، فتأكدت من أن ابنتها هيلينا ترتبط بعاطفة حب عميق مع ابن الخولي (كارل) فصرفت الأب والابن من الخدمة.

وفي هذا الوقت أشيع بأن طبيباً نطاسياً ماهراً مختصاً بجراحة العين، سيزور القصر، فصممّت الأم على عرض هيلينا عليه، لإجراء العملية التي يمكن أن تردّ إليها بصرها.

وعندما ذكرت لها أمها أن العملية نجحت وأصبح بوسعها رؤية السماء والشمس ردّت عليها باكية:

- أماه! النور أبيض، النور جميل، ولكن يُخيل إليّ أنه كان بالأمس أجمل، والشمس إنها حمراء ولكنها مخيفة.. ليس في لونها ما

يشبه الحب كما كان يقول كارل. أماه! لا معنى لعودة البصر دون كارل، بل لا معنى للحياة نفسها دون كارل.

ورقّ قلب الأم لها وأعادت الفتى كارل وأباه إلى الخدمة، وعادت الإشراقة والبسمة إلى الفتاة.

ولم تجد الأم من عبارة تقولها، بعد شكر الله على نعمته، أفضل من قبول كارل زوجاً لهيلينا:

- خذيه يا ابنتي زوجاً لك فأنتِ تستحقينه، وهو يستحقك!

* * *

وبعد زواج هيلينا أرادت أن تكافئ زوجها كارل بقصيدة شعرية فاضت بها قريحتها فكتبت:

«لم أعرف سواك في حياتي يا حبيبي

كنت زهرة على وشكِ الذبول

فضممتَني إلى صدرك، وغمرتني بعطفك

وأغدقت علي حناناً كالندى

وحباً ساطعاً كشعاع الشمس!

كنتَ حبيبي فأصبحتَ حبيبي وزوجي وأخي

يا لنعمة الأخوة تؤلف بين قلبين في ظل زواج

إني لأشعر بأن أفكاري وعواطفي ودمائي وكل عرق ينبض بي

قد استقرّ فيكَ يا زوجي

وبات قطعة من فؤادك يا حبيبي

وشطراً من روحكَ يا أخي!

أنتَ أخي في القلب والجسد

أنت أخي في البؤس والفرح

أنت أخي في القلب والنور

وقد اخترتكَ وحدكُ لنجتازَ معاً نفس الطريق»

* * *

ثامناً – كارولينا نيرن (١٧٦٦ – ١٨٤٥):

Carolina Nairn (1766 – 1845)

شاعرة سكوتلندية، اسمها الحقيقي كارولين أولبرايت، وهي من مواليد «بيرتشاير» في سكوتلندا يوم ١٦ آب ١٨٦٦، وتوفيت في مدينة «غاست» يوم ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٤٥.

نظمت عدة قصائد لعل أهمها:

1) Rest is not here. — الراحة ليست هنا.

Charlie is my darling — حبيبي شارلي

2) Will you not come back again — لا تعد بعد الآن

3) Lullaby. — لوللابي

4) Will you love me when I am old? هل تحبني عندما أصبح عجوزاً

وهاهي ترجمة هذه القصيدة الأخيرة:

«هل ستحبني عندما أصبح عجوزاً»؟

«أود أن أسألك يا عزيزي

سؤالاً ناعماً بصوت هامس

سؤالاً يحير قلبي كثيراً

كلما أتت لمحة من الوقت

ومضت فترة أخرى.

إن حبُّك لي حقيقي وصادق كما أعلم

ولكن حتى الحب الصادق يفتر مع الزمن

وهذا بالذات ما أود سؤالك عنه:

(هل ستحبني عندما سأتقدّم في العمر؟)

* * *

إن صَبْوَةَ الحياة سرعان ما تخُفت

عندما تقرع أجراس العشيّة (النهاية)

ولكن قلبي سوف لن يشعر بأي حزن
إذا كنت ستظل تحبني
عندما أتقدم في العمر.

* * *

فلتسقط تيارات الحياة جميعاً
فنحن، أنتَ وأنا، نبحر متعاضدين
آمِليْن بقرب الوصول إلى الشاطئ
آمنين بالرغم من شدة الأمواج العاتية.
هذا يوم ساطع
والسماء خالية من الغيوم
ولكن يمكن لليل القادم
أن ينشر بعض السحب
وبالرغم من تجمع العواصف فيما حولنا
فإني سأظلّ أسألك:
(هل ستظل تحبني عندما أتقدم في العمر)؟

* * *

عندما يبدأ شعري يأخذ اللون الأبيض
لون أكوام الثلج
وعندما تزداد العتمة أمام عيني

أكثر فأكثر
سيكون بودي أن أستند إلى ذراع حنون
وأنا أجتاز الوادي
الذي لابد من عبوره
لذا أود سؤالك بأن تقدم لي وعداً صريحاً
وعداً يعادل كل ما يحوي العالم من ذهب
وهذا الوعد يا حبيبي هو أن
تظل تحبني عندما أتقدم في السن
وأصبح امرأة عجوزاً»!

* * *

الفصل الرابع

شاعرات العصر الحاضر

(١٨٠١ – ٢٠٠٠)

* مقدمة:

عرف الغرب نهضة صناعية كبرى في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكان من الطبيعي أن تقود هذه النهضة إلى ثروة معرفية وثقافية غزيرة، وانعكس هذا بشكل خاص على الفنون والآداب ومنها الشعر.

وقادت الحركة الرومانسية، التي عمّت العالم في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، إلى الاهتمام بالذات الشاعرة، وهذا ما أدى إلى شيوع الشعر الذي يتغنى بالطبيعة والعلاقات الإنسانية التي يُعتبر الحبّ المحرك الأول لها.

ولهذا يندر وجود شاعر في الشرق أو الغرب لم يَتَغنَّ بالحب في قصيدة أو أكثر من شعره. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن

التقدم الاجتماعي، والحركة النسائية لتحرير المرأة، ومساواة المرأة بالرجل، قد أنتجت المزيد من الشاعرات اللواتي أصبح عددهن وجرأتهن في التعبير عن النفس تساوي ما لدى الرجال، بل وتزيد أحياناً.

وبما أننا توخيّنا تغطية أكبر عدد من البلدان الأجنبية في دراستنا هذه، لذا كان من الطبيعي أن يكون عدد الشاعرات اللواتي سنذكرهن أكبر من عدد الشاعرات اللواتي جاء ذكرهن في الفصول الثلاثة السابقة.

وسنقسم هذا الفصل إلى فرعين:

- الفرع الأول خاص بالبلدان الأجنبية وسنذكر فيه حوالي ثلاثين شاعرة من مختلف البلدان الغربية، بما في ذلك اليابان وأوستراليا.
- والفرع الثاني خاص بالبلدان العربية وسنذكر فيه حوالي ستين شاعرة معاصرة من مختلف البلدان العربية.

* * *

الفرع الأول

الشاعرات الغربيات المعاصرات

١- شاعرات بريطانيات

أولاً – إليزابيث باريت براوننج (١٨٠٦ – ١٨٦١)

Elizabeth Barrett Browning (1806 – 1861)

شاعرة إنجليزية، اسمها الحقيقي إليزابيث باريت، ولكنها اكتسبت اسم براوننج عن طريق الزواج.

ولدت يوم ٦ آذار ١٨٠٦ في كنف عائلة ميسورة ذات أملاك زراعية في مزرعة (Hope End)، ضمن مقاطعة (هيرتفورد شاير) بإنكلترا، وهي أكبر إخوتها العشرة.

بدأت تكتب الشعر في سن الرابعة عشرة، وقد صدر أول ديوان لها بعنوان «معركة الماراثون The battle of marathon» ونَشَرهُ والدها في خمسمائة نسخة ووزعه دون علم منها!

وبعد هذا التاريخ بسنة واحدة (أي في عام ١٨٢١) كانت إليزابيث تمتطي أحد الخيول في مزرعة العائلة فجِفلَ جوادها فجأة وأسقطها عن ظهره، وكانت نتيجة هذا الحادث كسراً في عمودها الفقري ظلت تعاني منه طيلة حياتها تقريباً.

وكان أن انعزلت إليزابيث في المنزل، وانصرفت إلى القراءة والكتابة ودراسة الأدبين اليوناني واللاتيني، على يد أساتذة خصوصيين، وهذا ما مكنها من ترجمة كتاب تحت عنوان: «Promotheus Bound» إلى اللغة الإنجليزية.

وفي النصف الثاني من عشرينات القرن التاسع عشر حلّت بإليزابيث مصيبتان إليمتان وهما وفاة والدتها عام ١٨٢٨، وغرق أخيها إدوارد عام ١٨٢٩، وهذا ما جعلها تكره الحياة في الريف والمزرعة، فارتأى أبوها هجرة العائلة بكاملها إلى لندن والاستقرار فيها، وتمّ هذا فعلا عام ١٨٣٢.

وبعد استقرار إليزابيث في لندن نشرت واحداً من أهم دواوينها وهو: «The Seraphim and Other Poems»، وقد وصفناه «بالأهم» لأنه عرّف بها الجمهور الإنجليزي المثقف في إنكلترا بكاملها.

وبعد نشر ديوانها هذا في عام ١٨٣٨ بدأت تتبادل الرسائل مع كبار ملهمين من أمثال: إدجار آلن بو، جيمس لوويل، توماس

كارلايل.. وفي عام ١٨٤٤ بعث لها شاعر مبتدئ اسمه روبرت براوننج برقية تفيد بأنه قرأ ديوانها الأخير وأعجبه، وطلب منها مقابلتها للتعارف والحوار في شأنه وتمت المقابلة فعلاً.

وبالرغم من أن إليزابيث كانت أكبر من روبرت بعدة سنوات، وبالرغم من أنها كانت قليلة الحسن والجمال، فقد أحبّها روبرت، وأما هي فقد أُغرِمت به حتى حدود الهوى، وعبّرت عن عِشقها له صراحة في قصيدة جديدة لها في ذات العام الذي التقته فيه وذلك تحت عنوان: «Lady Geraldin Courtship».

وقد كتمت إليزابيث علاقة حبها عن عائلتها لأنها كانت تعلم علم اليقين بأن والدها لن يوافق على زواجها بسبب إصابتها السابقة في ظهرها، ولأنها أصبحت بمثابة الأم لإخوتها جميعاً منذ موت والدتها عام ١٨٢٨.

ولهذا ادّعت إليزابيث في بداية عام ١٨٤٦، أنها ستسافر إلى إيطاليا في رحلة سياحية عادية، وعندما وصلت إلى هذا البلد كان حبيبها روبرت قد سبقها إليه، وتزوج الشاعران في مدينة فلورنسا يوم ١٢ أيلول ١٨٤٦، وبقيا في إيطاليا حيث رزقا بولد وحيد أسمياه «بن Pen» - أي قلم! - عام ١٨٤٩.

وقد ألهمها حبها لزوجها ولابنها مجموعة القصائد الأربع والأربعين التي نشرتها في ديوان يحمل عنوان «قصائد من البرتغالية Sonnets from The Portuguese» عام ١٨٥٠،

وأهمها السوناتا الرابعة عشرة التي تبدأ بالشطرة: «إذا كان عليك أن تحبني، If thou must love me» التي سنورد نصها في صفحات تالية.

وفي إيطاليا أصدرت إليزابيث (باريت) براوننج كتابها الجديد الذي يحمل عنوان: «Casa guidi windows»، وناصرت فيه قضية الشعب الإيطالي، الذي كان يناضل في سبيل استقلاله ووحدته.

ثم أثناء الزيارة التي قامت بها إلى لندن عام ١٨٥٧ أصدرت كتابها الجديد «Aurora Leigh»، الذي دافعت به عن المرأة وعن حقها بالتساوي مع الرجل في جميع مناحي الحياة، وخاصة في الحرية والحب.

وأتبعتْ هذا الكتاب بديوان أخير ذي طابع سياسي هو «قصائد أمام الكونجرس Poems Before the Congress» عام ١٨٦٠.

وبعد عودتها إلى إيطاليا في هذا العام نفسه لم تعش طويلاً حيث فارقت الحياة في مدينة فلورنسا يوم ٢٩ حزيران ١٨٦١.

وبعد وفاتها لم يرغب زوجها بالبقاء في إيطاليا فاصحطب ابنه الفتى (بن) وجثمان زوجته الحبيبة وعاد إلى بريطانيا، حيث دُفنت هناك.

والحقيقة أن روبرت براوننج لم يكن جاحداً تجاه حب إليزابيث له، وكان يقابلها حباً بحب، بالرغم من كونها أكبر منه

سناً، ونصف عاجزة، ولا تتمتع بقدر كبير من الجمال. ولكن ما قالته فيه من قصائد حب في «سوناتاتها» الشهيرة فرض عليه محبّتها إلى الأبد حتى تاريخ وفاته في ١٢ كانون الأول ١٨٨٩.

وهذه القصائد في رأي غالبية النقاد من أجمل ما كتب من قصائد الحب، ويزيد في جمالها أنها نُظمت من زوجة تجاه زوجها، أي ضمن إطار الزواج الشرعي لا خارجه.

والرائع في هذا الحب أنه انتصر على جميع المصاعب، وأصبح مضرب المثل للإخلاص الزوجي المتبادل، والمشاعر الرومانسية التي تتجاوز إطار الواقع في كثير من الظروف، إلى الحد الذي جعل هذين الزوجين الشاعرين العاشقين يفترقان عن بعضهما أحياناً، بإرادتهما معاً، لكي يشعرا بلهفة اللقاء من جديد!

وبالرغم من أن أغلب قصائد الحب التي كتبتها كانت في تصوير الحب بين الزوجين، فإن هذا لم يمنعها من الاعتراف بالحب، وبحق الحب حتى خارج إطار الزواج، حيث تقول في إحدى قصائدها مثلاً: «هاهي يدٌ ستبقى بيضاء إلى الأبد، دون أن يزيّنها خاتم زواج»!

كما إنَّها كانت تؤمن بأن المرأة التي تحب لا تخون، ولاتنتقم من حبيبها إذا خانها، ولا من غريمتها في الحب.

حيث تقول في مقطع يصور إحدى بطلاتها وهي على سرير الموت مخاطبة شقيقتها:

«لا تبكِ عليّ أيها القلب الغالي
كل شيء سمعتيه كان من الأكاذيب التي تُجمّل الحديث
إذا قلتُ لك إنه قد جرحني.
أكون قد قسوت بالكلام عنه
لأني مريضة ولست على يرام!
كل كلماته لي كانت لطيفة وطيبة،
كان يحترمني، ولكن الدماء التي تجري في عروق الأنثى
هي دوماً دماء ضعيفة»!

- **شعرها :**

كانت قصائد إليزابيث براوننج الأولى تدور حول المواضيع الدينية والاجتماعية العامة، ولكنها مالتْ بعدئذ عن هذه المواضيع منذ قصيدتها الموسومة: «تأملات على شاطئ البحر Asea-Side Meditation»، التي تحوي نظرة خاصة لأسباب طرد آدم وحواء من جنة عدنْ!

وانتقدت تشغيل الأطفال في المصانع في قصيدتها «صرخة الأطفال The cry of the Children».

وبعد هذه القصائد جاءت مرحلة قصائد العشق واللهفة للزوج الرفيق والحبيب، وكان ذلك في ديوانها «قصائد من البرتغالية Sonnets from The Portuguese».

وهي كما أسلفنا أربع وأربعون سوناتا أحلاها الأولى، والسادسة، والسابعة، والرابعة عشرة، والخامسة عشرة، والخامسة والثلاثون، والأربعون، والثالثة والأربعون.

وقد اتبَّعَتْ إليزابيث في نظم هذه السوناتات الطريقة الإيطالية المعروفة (lambic) منذ زمن اليونان، أي أن يكون طول القطعة أربعة عشر بيتاً في مقطعين: المقطع الأول من ثمانية أبيات ويسمى «أوكتاف Octave»، والمقطع الثاني من ستة أبيات ويسمى «سيتيست Setest».

والسطر الأول من الأوكتاف غالباً ما يطرح سؤالاً أو تساؤلاً تجيب عليه الشاعرة في الأبيات الثلاثة عشرة التالية، ففي السوناتا الرابعة عشرة مثلاً تطرح تساؤلاً في البيت الأول ضمن صيغة «إذا كان عليك أن تحبني if thou must love me»، ثم تجيب عليه في بقية أبيات القصيدة.

وفي السوناتا الثالثة والأربعين تفعل الأمر نفسه حيث تلقي السؤال التالي في بيتها الأول: «كيف أنا أحبك How do I love thee»، وتعطي الجواب في الأبيات الباقية.

وفي السوناتا الخامسة والثلاثين تطرح في بيتها الأول التساؤل الأزلي عن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة وهكذا...

وكان شعر إليزابيث براوننج في جميع قصائدها تقريباً شعراً سلساً سهلاً، صادقاً، وهاهي بعض شهادات معاصريها عنه:

- يقول الناقد باري كورنوول عنها: «كان شعرها أجمل شعر كتبته امرأة منذ قيل الشعر».
- ويقول والتر سافيج عنها: «لست أعلم أن أحداً قال شعراً أو يستطيع أن يقول شعراً كهذا الشعر في أي عصر من العصور». وقال زوجها روبرت براوننج عن شعرها: «يكشف شعرها عن طبيعة ملائكية تصدر عن قلب فيه قبس من النور الإلهي».

وردّت هي على تقريظ زوجها لها بالقول: «إنّ زوجي يستحق التقريظ أكثر مني عشرين مرة»

نصوص مختارة :

وفيما يلي الترجمة العربية لثلاث قصائد من نظم إليزابيث براوننج:

إذا كان عليك أن تحبني – If thou must love me

«إذا كان عليك أن تحبني

فليكن ذلك بلا سبب

إلا سبب الحب نفسه!

لا تقل إنني أحبها لابتسامتها

أو لنظراتها، أو لطريقتها اللطيفة في الحديث

أو لبراعتها في التفكير، التي تتفق مع ما أريد

والتي تعطي شعوراً جميلاً بالرضى
في مثل هذه الأيام!
ذلك لأن مثل هذه الأشياء
يا حبيب الروح، يمكن أن تتبدّل
أو أن يختلف رأيك فيها مع الزمن
والحب الذي قام يمكن أن يتبدد!
لا تحبني كذلك شفقة بي
وأنت تمسح الدموع عن خدي
لأن المخلوق يمكن أن ينسى البكاء
فينشقَّ هناؤك على طوله
ويزولُ حبك عندئذ!.
لكن أحببني باسم الحب وللحب فقط
ولأقصى درجة يمكنك أن تحبّ بها
حباً يدوم إلى الأبد»

* * *

القبلة الأولى – The First Kiss

«في المرة الأولى التي قبّلني فيها قبَّل يدي فقط،
تقاسيم هذه اليد التي أكتب بها،
ومنذ ذلك الوقت غدت يدي أكثر نظافة وبياضاً
غَدَتْ أكثر بطءاً في الرد على تحيات الآخرين

وأكثر سرعة في الأمور الأخرى
وعندما تتكلم الملائكة، فعن خاتم من الحجر الكريم
لا يمكنني ارتداؤه هنا، أراه بوضوح أمام ناظري!
أما القبلة الثانية فقد كانت في مكان أعلى من الأولى
وبالرغم من أنها استهدفت الجبين
فقد وقعت على الشَعر.
وليس من الضروري أن أذكر أنّ هذا
كان دليلاً كافياً على الحب، تاج الحب الذي أملكه
مع بعض المقدمات الحلوة لذلك.
أما القبلة الثالثة فكانت على شفتيّ
ثم إلى ما هو أدنى منهما!
وكان لونهما أرجوانياً بشدة
إلى الحد الذي جعلني فخورة بذلك وقلت:
(آه يا حبيبي، لقد ملكتك الآن!)».

* * *

هل أستطيع رؤية وجهه - Could I see his face

«نعم، لقد بكيت بين ذراعيه ولكن
هل ارتميت على صدره
أم إنَّ ذراعيه هما اللذان التفا حولي؟

وهل خدّاي الدافئان اللذان غطتهما الدموع

كانت هي دموعي أم دموعه؟

وأي واحد من قلبينا الكبيرين المتفجرين

كان يهتز في صدري؟

لم أكن أعلم بأنه هناك كلمات

لها من قوة التعبير كما لو أنها كانت معجونة بالنار

أو أن هناك عناقاً طويلاً وصامتاً

يمتد كأنه ليلة من ليالي النشوة

وكذلك الأنفاس العميقة المرتجفة

التي تؤهل بعدها لمجيء أي شيء

يمكن أن يُعبّر عنه بالكلمة أو القبلة».

* * *

بعض المراجع

1) Last poems of E.B.Browning – Edited by Robert Browning.
2) New poems with Robert Browning – Edited by F.G.K,1924.
3) Complete work of E.B.Browning – edited by charlotte porter and Helen A klarke (6volumes), 1960.
4) A Bibliograhy of Browning – by: Warne Barnes – 1967.

٥) سمير شيخاني: «أحداث وأعلام» - المجلد الثاني - ص٢٧.

* * *

ثانياً - إميلي برونتي (١٨١٨ – ١٨٤٨):

Emily Bronte (1818 – 1848)

- حياتهـــا:

اسمها الكامل إميلي جين برونتي، وكانت واحدة من ثلاث شقيقات مولعات بالأدب هن إميلي وشارلوت وآن، وكن يكتبن بثلاثة أسماء مستعارة مشتقة من أسمائهن الحقيقية وهي كوريل (شارلوت)، وإيليس (إميلي)، وآكتون (أن)، وأما اسم العائلة المستعار فكان (بيل) بدلاً من (برونتي).

واتفقت الشقيقات الثلاث على الكتابة عن مملكة وهمية اسمها «آنجريا Angria»، كانت تناضل ضد مملكة منافسة لها اسمها «غوندال Gondall».

كانت إميلي خامس طفل بين ستة أولاد (خمس بنات وولد واحد) لرجل دين بروتستانتي إيرلندي الأصل هو القس باتريك برونتي، وتمت ولادتها يوم ٣٠ تموز ١٨١٨ في مقاطعة يوركشاير الإنجليزية.

وكان عمر إميلي سنتين فقط عندما انتقلت العائلة برونتي من يوركشاير إلى العاصمة لندن، ثم في العام التالي توفيت الأم وعاشت البنات الخمس دون أم.

وفي عام ١٨٢٥ توفيت الشقيقتان الأكبر سناً في عائلة برونتي (ماريا وإليزابيث) بمرض الطاعون، وبقيت الشقيقتان الثلاث

اللواتي احترفن مهنة الأدب بعد ذلك وهن شارلوت وإميلي وآن، وشقيق واحد اسمه (برانويل) توفي بدوره عام ١٨٤٨.

والثابت أن إميلي قد ارتبطت بعلاقة حب مع أحد الشبان الإنكليز في فترة صباها التي لم تدم طويلاً (١٨٣٥ – ١٨٤٥)، ولكنها كانت متكتمة جداً حول هذه العلاقة.

كما إنّ المصائب التي حلّت بها في فترة صباها (وفاة شقيقتيها الأكبر، اكتشافها أنها مريضة بالسّل، تعاطي أخيها برونويل لمادة الكوكائين) قد أنستها الاهتمام بحياتها العاطفية.

وقد دخلت في حالة إحباط شديدة بعدما توفي أخوها الوحيد أوائل عام ١٨٤٨، فأهملت نفسها طبياً ولحقت به نتيجة لاستفحال مرض السل في صدرها يوم ١٩ كانون الأول ١٨٤٨.

اشتهرت إميلي برونتي بكتابة روايتها الرائعة «مرتفعات وذرنج wuthering heights»، ولكنها نظمت قصائد شعرية سلسة أيضاً، وخاصة في مجال البوح والحب، وأشهر هذه القصائد:

1) The prisoner — الأسير
2) Remembrance — أشياء للذكرى
3) Love and friendship — حب وصداقة
4) The visionary — نبوءة
5) No coward soul is mine. — أنا لست جبانة

وأشهر ديوان نشرته مع شقيقتيها كان بعنوان:

Poems by currel, Ellis and Acton Bell – London – 1846.

وأما ديوان قصائد إميلي بمفردها فقد تأخر صدوره حتى عام ١٩٤١، وتم نشره تحت عنوان:

The complete poems of Emily Bronte – 1941.

- قصيدة مختارة:

وها هي الترجمـــة العربيـــة لقصيدتها «أشياء للذكرى Remembrance»:

«أنت الآن ميت تحت التراب

ومتجلد تحت هذه الأكوام من الثلج التي تكدّست فوقك

أنت أبعد من أن أتمكّن من إنقاذك من البرد

الذي يخيّم على قبرك الكئيب

ولكن هل نسيتُ أنا حبي الوحيد، حبي لك؟

بعد أن فصلني عامل الزمن أخيراً بأمواجه المختلفة عنك!

* * *

الآن بعد أن أصبحت وحيدة فإن أفكاري لم تعد ترفرف

حول الجبال الممتدة على شاطئ أنجورا

إنها تريح أجنحتها الآن حيث توجد الخضرة

وأوراق السرخس التي تغطّي بساط الأرض،
ولكن قلبي النبيل لا يزال يحبك أكثر وإلى الأبد!

* * *

إنّ البرد في هذه الأرض قد مال للاعتدال
وأيام منتصف كانون الأول القاسية
قد تحوّلت إلى ربيع في هذه التلال السمراء!
منتهى الإخلاص بالتأكيد
أن تتذكّر الروح
كل هذه السنوات من التبدّل والألم!
يا حبيبَ الصبا، اعذُرني إن كنت نسيتك
في هذا الوقت الذي تحملني موجة القدر لوحدي.
إن الرغبات العارمة والآمال المظلمة تكتنفني،
آمال مظلمة بالفعل ولكنها لا يمكن أن تؤذيك.

* * *

لم يكن هناك شمس أخرى (غير شمسك) تنير قلبي
ولم يكن هناك نجمة أخرى تضيء لي الطريق
كل السعادة في حياتي كانت بفضل حياتك الغالية
وكل سعادتي في قبريّ الأزلي ستكون معك!

* * *

لكن عندما انتهى عهد الأحلام الذهبية،
وحتى مشاعر اليأس لم تعد لها أية قوة للدمار،
تعلمت عندئذ كيف يمكن أن يكون الوجود ذا قيمة
كيف يكون قوياً ويمكن أن يعيشه الإنسان بمعزل عن الفرح.

* * *

عندها تمكنت من أن أكبح الدموع العاطفية التي لاجدوى منها
وأفطم روحي الشابة عن توقها إليك
وأن أمنعها بقوة من الاندفاع نحو الأسفل،
نحو القبر الذي أشعر أنه قد أُعد لي بإحكام!

* * *

ومع هذا فإنني لم أجرؤ على تركه ينتظر
لم أجرؤ على قطع أواصر الذكريات المؤلمة،
إن الواحد منا يعبُّ بشغف هذا القلق الربّاني
فكيف يمكنني أن أطلب إذن أن يكون عالمي فارغاً من جديد كما كان؟!

* * *

ها أنا أموت، ولكن عندما يضغط القبر
على القلب الذي أحبّك مدة طويلة

عندما لم يعد بوسع المعزَّة الأرضية التعويض
أصبحت الأفراح الدنيوية تبدو دون قيمة لي

*   *   *

أنا لا أبكي الآن، ولكني أفكّر
بأنني قد اجتزت أمامك بحراً من الظلمات
ولقد رسوتُ أخيراً بسلام وارتحت
في الوقت الذي انقضى فيه الحداد وجفّتْ الدموع

*   *   *

لذا لا يأتيني البكاء إلا عندما أشعر
بأنني سأتركك هنا في خضمِّ الحياة
في هذا المحيط الكئيب وأنتَ تبحر في الظلام
العواصف من حولك، والأخطار أمامك
دون أن يكون هناك بصيص ضوء يهديك إلى المرفأ

*   *   *

ولكن مهما بدت الحياة طويلة أو قصيرة
فإنها ليست شيئاً بالنسبة للخلود
ونحن نذهب إلى أسفل لنلتقي في الأعالي
حيث لا يمكن للأجيال السعيدة أن تموت».

*   *   *

ثالثاً - كريستينا روزيتي (١٨٣٠ – ١٨٩٤)

Christina Rossetti (1830 – 1894)

- حياتها:

اسمها الكامل كريستينا جورجينا روزيتي، وهي ابنة أحد المناضلين السياسيين الإيطاليين (غابرييل روزيتي)، الذي حُكم عليه بالنفي إلى إنكلترا، فاستقر في هذه الدولة واكتسب جنسيتها هو وأولاده.

ولدت كريستينا في مدينة لندن يوم ٥ كانون الأول ١٨٣٠، وتوفيت بالسرطان في هذه المدينة نفسها يوم ٢٩ كانون الأول ١٨٩٤.

بدأت تكتب باسم مستعار هو «إيلين آللين Ellen Allyn»، وكانت تتبارى مع شقيقيها ويليام مايكل، ودانتي غابرييل، في نظم الشعر وكتابة القصة القصيرة.

كانت قارئة جيدة وقد قرأت ديوان الشاعر الإيطالي دانتي ألليجري لما كانت في سن الثامنة عشرة.

وعندما أسس أخوها دانتي غابرييل مجلة أدبية بعنوان « The Germ» عام ١٨٥٢، بدأت تكتب فيها واشتركت في إدارتها.

وفي مرحلة صباها رفضت كريستين عرضين للزواج: الأول من الفنان جيمس كوللينسون بسبب تحوله من المذهب الأنجليكاني إلى المذهب الكاثوليكي الروماني عام ١٨٥٩،

والثاني من صديقها تشارلي كايلي عام ١٨٦٤ لكي تبقى إلى جانب والدتها المريضة!

وفي عام ١٨٦٢ أصدرت كريستينا أول ديوان لها وكان بعنوان «Goblin Market»، وهو يعتمد بشكل أساسي على قصيدة تحمل هذا العنوان نفسه، وهي قصيدة سردية Narrative تتحدث عن شقيقتين هما «لورا Laura» و«ليزي Lizzie»، وتمثل الأولى «الضمير» بينما تمثل الثانية «عنصر الشهوة».!

وعموماً نجد أثر الدين والحياة الروحية ظاهراً بعمق في أعمال كريستينا روزيتي الشعرية والنثرية، ففي قصيدتها «Monna Innomina» التي يضمها ديوانها « A pageant and other poems» تنفي روزيتي وجود الحب الإنساني وتعترف بدلاً منه بالنقاء والطهارة الدينيين.

وبحسب أخيها دانتي فإنها أَلّفَتْ أيضاً قطعة نثرية تحت عنوان «قصص روحية Devotional Pieces» تؤكد فيها على اتجاهها هذا.

- قصائد مختارة:

إن أفضل القصائد التي نظمتها كريستينا روزيتي هي التي تحمل العناوين التالية:

1) Remember	تذكّــر
2) After Death	بعد الممات
3) The first day	اليوم الأول
4) Mirage	سراب
5) Echo	صدى.

وها هي الترجمة العربية لقصيدتين من هذه الخمس، مع قطعة إضافية بعنوان «أغنية».

صدى Echo

«تعالَ إليَّ عبْرَ صمت الليل

تعال إليَّ في صمت الحُلم الناطق

تعال إليَّ بخدّين مستديرين ناعمين

وبعينين لامعتين كما ضياء الشمس على مياه الغدران.

تعال إليَّ ثانية بدموعك

أيُّها الأمل، أيتها الذكرى

أيها الحب الذي مضى مع السنوات المنقضية!

* * *

أيها الحلم كم أنت حلو، حلو جداً وإلى حد المرارة

أيها الحلم الذي لا نصحو منه إلا في جنات الفردوس

حيث الأرواح المفعمة بالحب تنتظر لتلتقي

بعيون عطشى تتشوق للقاء
تتنظر انفتاح الباب البطيء الذي يسمح بالدخول!

* * *

أتتني الأحلام تنبئني بأنه يمكن أن أحيا
أن أحيا حياتي الحقيقية ثانية
بالرغم من برودة الموت،
لقد أتاني في الحلم أنه يمكنني أن أمنح
نبضة مقابل نبضة، ونفساً مقابل نفسْ
تكلم بصوت منخفض، واحن جسدك تماماً
إلى أقصى حد تستطيعه يا حبيبي
إلى أقصى حد»

* * *

تذكّر Remember

«تذكّرني إذا أدركني الموت
ورحلتُ بعيداً إلى تلك الأرض الساكنة
حيث لا يعود بوسعك بعد ذلك أن تضمني بيديك
ولا أن ألتفت إليكَ، ولو نصف التفاتة، وأنا راحلة.
تذكّرني عندما تتوقف يوماً بعد يوم
عن حديثكَ لي حول مستقبلنا الذي خططت له

يكفي أن تتذكّرني فهل تفهم؟!
سيكون الوقت متأخراً على التشاور وعلى الصلاة
وحتى لو نسيتني لحظة قصيرة خلال ذلك
فلا تحزن، لأنه حتى لو تَركَتْ الظُلمة والتلف،
بقية من الأفكار التي كنتُ أملكها فيما مضى
فإنه من الأفضل لك أن تنسى مع ابتسامة،
فهذا خير من أن تتذكر مع الشعور بالحزن»

* * *

أغنية A song

«عندما أموت يا أعز الناس
لا تترنم لي بأية أغانٍ حزينة
ولا تزرع عند رأسي أية ورود
ليكن العشب الأخضر وحدَهُ على قبري
مع صنبور ماء وقطرات من الندى
وإذا شئت أن تتذكرني حسناً تفعل
وإذا شئت أن تتساني لكَ ذلك

* * *

سوف لن أرى الظلال
سوف لن أشعر بالمطر

ولن أسمع صوت العندليب!
غنِّ لي أنتَ كما المطر
إنّ هذا لن يغير من الأمور شيئاً
قد أذكر الأشياء صدفة
وقد أنسى صدفة كذلك».

* * *

رابعاً - آليس مينيل (١٨٤٧ – ١٩٢٢)
Alice Meynell (1847 – 1922)

اسمها الحقيقي آليس كريستينا جرترود تومبسون، وأما اسم «مينيل» فقد أضافته بعد زواجها من الناشر «ويلفريد مينيل» عام ١٨٧٧.

ولدت في بلدة «بارنس» قرب لندن يوم ٢٢ أيلول ١٨٤٧، وتوفيت في هذه المدينة نفسها يوم ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٢.

عاشت فترة من طفولتها في إيطاليا، وهذا ما أثر عليها روحياً حيث تحوّلت من الأنجليكانية إلى الكاثوليكية وهي في الخامسة والعشرين من عمرها عام ١٨٧٢، كما ألفت كتاباً دينياً تحت عنوان «المسيح في العالمين Christ in the Universes».

ثم بذلت جهداً ملموساً في مجال الكتابة الصحفية حيث عملت مع زوجها على إصدار مجلة أسبوعية تحت عنوان: «ويكلي

ريجيستر «The weekly Register». ثم أتبعتها بمجلة شهرية بعنوان: «ميري إنجلندْ Merry England» بين ١٨٨٣ و١٨٩٥.

كان أول دواوينها الشعريّة تحت عنوان «استهلالات Preludes» وذلك عام ١٨٥٧، وهو يحوي أهم قصيدة لها: «قلبي سيكون روضة لك My heart shall be thy Garden».

وأهم قصائدها الأخرى هي:

التخلي	1) Renouncement
في الليل	2) At night
أوائل الربيع	3) in early spring
طائر يغني قبل الفجر	4) A thrush before dawn
شاعر من طرز واحد	5) A poet of one mood
السيدة فقر	6) The lady poverty
الراعية	7) The shepherdess

وهاهي الترجمة العربية لاثنتين من قصائدها:

قلبي سيكون روضة لك

My Hesart shall be thy Garden

«قلبي سيكون روضة لك

تعال يا من أنت لي إلى روضتك

لتقضي ساعات سعيدة

بين أجمل أفكاري، وأكبر ورودي

من جذورها إلى تيجانها ستكون لكَ وحدك
إنّك أنت الذي تزرع بذورها
حيث تتطاول نباتاتها نحو السماء المنفتحة
التي تحنّ عليها بوابل من المطر.
آه، ولكن العصافير التي ستبني أعشاشها
لكي تحافظ عليها من أجلك يا صديقي
قد طارت ورحلت عنها!

* * *

لأن هذه العصافير تأتي وترحل وتحدّ من شوقنا
شوقنا للعيش في الفصل الجميل والتعرّف على قادمين جدد
أنشدْ أغنية واحدة فقط من أغاني أشجارنا
قلبي يحمل مشاعر ثابتة.
وبالرغم من أن عينيك تسيطران على عيني
أشعر بأن قلبك قد انتقل بصمت
إلى فصول صيف أخرى
وطار بجناحين إلى ما وراء البحار الفضية»

* * *

التخلي Renouncement

«يجب ألا أفكر بكَ
لقد تعبت، ولكني قوية

تجنبت الأفكار التي تقود لذائذ الحياة
التفكير بك، وبالسماء العالية الزرقاء
أو بمقطع حلو من أغنية
وهكذا وراء الأفكار الجميلة التي تزدحم في صدري
هناك الأفكار بالأشياء المتوقعة
التي لازالت كما كانت، لا يمكن أبداً أن تُرى (تبدو للعيان).
هي لا تتوقف عن الاقتراب منكَ طيلة اليوم
ولكن عندما يحين النوم ويضع حداً لمصاعب الحياة اليومية
عندما يأتي الليل ويمنح الراحة للرقابة التي أمارسها
وأفقد عندها جميع مصادر قوتي
يجب أن أتخلص من بقية إرادتي وألقيها جانباً
مع مجيء الحلم الأول
الحلم الذي يأتي مع باكورة النوم
وعندها أركض وأركض
لكي أتحد مع قلبكَ»

* * *

خامساً - شارلوت مِّيُو (١٨٦٩ – ١٩٢٨)

Charlotte mew

شاعرة إنجليزية من مواليد لندن في ١٥ تشرين الثاني ١٨٦٩، وهي ابنة مهندس معماري.

أتمت دراستها الابتدائية في لندن، ولكنها عاشت بعد ذلك حياة تعيسة حيث فقدت ثلاثة من إخوتها بوباء الطاعون وهي لا زالت بعد طفلة، ثم تم وضع ثلاثة أخوة آخرين لها في مصحة عقلية، وتوفي والدها فلم يبق لها إلا أمها وشقيقة صغيرة واحدة اسمها «آن».

كانت شارلوت من أنصار حرية المرأة، وقد أحدثت ثورة في المجتمع البريطاني حين مارست التدخين علناً، وسافرت لوحدها في جولة سياحية إلى فرنسا.

تعرفت على عدد من الأدباء الإنكليز من الكتّاب والشعراء مثل توماس هاردي، وفيرجينيا وولف ولورد بايرون، ثم أصدرت مجموعة من القصص القصيرة، ولكن شهرتها كشاعرة غلبت شهرتها كقاصة، وخاصة بعد إقدامها على نشر مجموعها الشعرية الأولى «The Farmer,s Bride» في لندن عام ١٩١٦، قبل إصدارها في أمريكا تحت عنوان جديد هو « The Sunday Market» عام ١٩٢١.

وبعد إقدامها على الانتحار في ٢٤ آذار ١٩٢٨ تم نشر ديوان جديد لها تحت عنوان «The Rambling Sailor» عام ١٩٢٩، وهو يضم ٣٢ قصيدة من أصل الستين قصيدة التي نظمتها طيلة حياتها.

وأشهر هذه القصائد في رأينا خمس:

1) sea love	حبّ البحر
2) A quoi bon dire?	ما فائدة القول؟
3) the peddler	البائع المتجول
4) the farmer,s bride	عروس المُزارع
5) Saturday market	سوق يوم السبت

وهاهي الترجمة العربية للقصيدة رقم (٢) أعلاه:

ما فائد القول؟ A quoi bon dire?

«قبل سبعة عشر عاماً قلت لي

شيئاً يشبه في لفظه كلمة «الوداع»

كل إنسان أصبح يعتقد بأنك مت

ماعداي أنا!

وكذلك أنا عندما كبرت واشتد عودي

أصبحت أشعر بالبرودة عندما أسمع

هذا أو ذاك يقولون «الوداع»

ويعتقد الجميع بأنني قد مت

ما عداك أنتَ.

* * *

ثمَّ في صباح يوم جميل مشمس

سيجتمع شاب وفتاة

يقبلان بعضهما ويُقسمان

بأنه سوف لن يحب أحد آخر مثل حبِّهما
وعندما تسمع هذا سوف تبتسم أنتَ
بينما أمرّ بيدي على شعرك.

* * *

سادساً – إيديث سيتويل (١٨٨٧ – ١٩٦٤)

Edith Sitwell (1887 – 1964)

- حياتهــا:

شاعرة وناقدة وروائية وكاتبة صحفية إنكليزية، ولدت في مدينة سكاوجورد (مقاطعة يوركشاير البريطانية) يوم ٧ أيلول ١٨٨٧، ضمن عائلة إنكليزية أرستقراطية، فوالدها هو السير جورج سيتويل، ووالدتها هي الليدي إيدا سيتويل. وكانت هي أكبر أولادهما، حيث لها شقيقان أصغر منها هما «أوسبرت Osbert» و«ساشفيريل Sacheverell»، وقد لعب هذان الشقيقان دوراً رئيساً في حياتها العاطفية والأدبية، على عكس علاقتها مع والديها التي كانت متوترة دوماً، ولعل هذا ما دعاها إلى هجر قصر العائلة في «رننشو هول Reninshaw Hall»، والانتقال مع مربيتها «هيلين روتهام» للعيش في لندن منذ عام ١٩٢٦.

وفي لندن أصدرت إديث سيتويل مجلة شعرية سنوية باسم «هويلز Wheels»، وشكلت مع شقيقتها نوعاً من «الحلقة

الأدبية» سرعان ما انضم إليها شعراء وأدباء آخرون مثل جرترود ستاين، ت.س. إليوت، آلدوس هكسلي وغيرهم...

وكان لهذه الشاعرة ذوق خاص في الماكياج (ابتدعت طلاء الأظافر باللون الفضي) والملابس والديكور، وجَذب اهتمام أغلبية المصورين والرسامين الإنجليز في عشرينيات القرن الماضي.

وكان من هؤلاء الرسام السريالي «بافيل تشيلتشيف Pavel Tchelitchev»، الذي أحبته إديث إلى حد الهوى، ولكن هذا لم يتزوجها بسبب ميوله الجنسية المثلية، وبقي الاثنان أصدقاء طيلة عشرين سنة تقريباً، كانت إديث خلالها ملهمة له وموديلاً لبعض لوحاته!

وتلقت إديث في خمسينات القرن العشرين لقب «دام Dame» الأرستقراطي، وشهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة أوكسفورد، كما تحولت في عام ١٩٥٤ من المذهب الأنجليكاني إلى المذهب الروماني الكاثوليكي، وبقيت وفَّية لمذهبها الديني الجديد حتى وفاتها يوم ٩ كانون الأول عام ١٩٦٤.

هناك قصة تروي حياتها ظهرت بعد موتها مباشرة (عام ١٩٦٥) تحت عنوان «Taking care of».

كما إنّ صديقتها الشاعرة الأمريكية لويز بوجان ألفت كتاباً عن حياتها وشعرها تحت عنوان: «Edith Sitwell: A poet alphabet».

- الملامح العامة لشعرها:

ابتعدت إديث سيتويل عن ميدان الشعر الفيكتوري، إلى استكشاف الروح الإنسانية الشاملة عَبْرَ التصوير الشعري من خلال الدين والروحانية والأخلاق والخيال الطبيعي، لذا أتى شعرها مليئاً بالحيوية والروح الأخلاقية.

كما تأثرت سيتويل بالشاعر البريطاني الكسندر بوب، وبالشاعرين الفرنسيين شارل بودلير وآرثر رامبو.

وقد أرَّخت للشعراء الكبار الإنكليز مثل الكسندر بوب، وويليام شكسبير، ولملوكها العظام ككتابتها عن الملكة إليزابيث الأولى والملكة فيكتوريا. ولها بالإضافة إلى ذلك كتب نقدية في الشعر الإنكليزي مثل: «مظاهر الشعر الحديث Aspects of Modern Poetry».وكذلك قصيدة دينية بعنوان: «لايزال المطر يهطل Still fall The Rain».

وعموماً يمكن القول أن إيديث سيتويل كانت من أعظم وجوه الشعر البريطاني بين ١٩٢٥ و١٩٥٥.

- مختارات من شعرها:

اخترنا لها فيما يلي قصيدة بعنوان «الأمس Yesterday»، ومقطعاً شعرياً حول خلود الروح بعد الموت، وهاهي ترجمتهما إلى العربية:

الأمس Yesterday

«بالرغم من أنني أصبحت عجوزاً ووحيدة اليوم
فإني لا أزال أقدس هذه العصافير النادرة
وغناءها العجيب،
إن قلبي يخفق عندئذ بحب دافق
سوف لن يذبل أو تبرد حراته
من تأثير الأفكار الفجّة التي تمرّ في عقلي.
تغني (العصافير) في أعشاشها الشتائية الحزينة
تغني أحلى وأفضل أغانيها
لهذا العالمُ الذي لم يولد بعد
ولم يحلم به أحد،
العالم الذي لا يوجد فيه ظلّ لأي عنف أو احتقار
هذه العصافير البرية تغنّي بلغة لا يعرفها أحد
مبشرة بعوالم جديدة ستبقى شابة إلى الأبد».

* * *

وهاهو مقطع يتحدث عن إمكانية الخلود بعد الموت:
«يقولون إن الموتى لا يمكن أن يحلموا أبداً
ولكني أسمع بالرغم من هذا، صراخ قلبي الجريح
وأسمع اسمه خلال الظلام
إنهم كاذبون!
من قال إن الميت يمكن له أن يزول!»

٢- شاعرات أمريكيات

أولاً - إميلي ديكنسون (١٨٣٠-١٨٨٦) :
Emily Dickinson (1830 – 1886)

- حياتها :

ولدت إيميلي ديكنسون في بلدة «آمْهرْسْتْ» بولاية «ماسَاشُوسِتْشْ» الأمريكية يوم ١٠ كانون الأول ١٨٣٠، وتوفيت في هذه البلدة نفسها يوم ١٥ أيار ١٨٨٦، أي إنّها عاشت ستاً وخمسين سنة فقط.

وهي واحدة من ثلاثة أولاد، حيث كان لها شقيق أكبر منها اسمه «أوستن» وشقيقة أصغر منها اسمها «لافينيا»، وستلعب هذه الشقيقة دوراً كبيراً في ترتيب قصائد أختها بعد موتها، وفي دفع هذه القصائد إلى النشر.

كان والد إيميلي هو المحامي إدوارد ديكنسون، الذي كان يعمل محاسباً في كلية آمْهرْسْتْ الجامعية، كما كان يسافر بين الحين والآخر إلى العاصمة واشنطن، حيث كان يشغل وظيفة «سكرتير غير متفرغ» للشؤون القانونية في مكتبة الكونجرس الأمريكي.

أما والدة الشاعرة ديكنسون فهي «إيميلي نوركروس»، التي اكتفت بإدارة منزل العائلة في بلدة آمهرست، وخاصة عند غياب زوجها.

وقضت إميلي طيلة حياتها في منزلها العائلي هذا، ماعدا رحلة مدرسية إلى مدينة بوسطن، ومرافقة والدها إلى مدينة واشنطن العاصمة أحياناً.

ويقول بعض مؤرخي حياتها إنها خلال زياراتها القليلة للعاصمة ما بين ١٨٥١ و١٨٥٥ تعرفت على كاهن بروتستانتي من بلدة فيلادلفيا، ونشأت بينهما علاقة عاطفية ووعدها بالزواج بعد إتمام إجراءات طلاقه من زوجته، ولكن هذا لم يحدث.

ويظهر أن هذا الكاهن – واسمه تشارلز وادوورث – استغل الميول الصوفية والدينية التي كانت تعصف بإيميلي وسيطر على قلبها قبل أن يتخلى عنها، فعادت هذه إلى بلدتها آمهرسْتْ تجرّ أذيال الخيبة، وتحمل في روحها صدمة عاطفية كبرى دفعتها لاعتزال المجتمع، والانصراف للقراءة والكتابة والنزهات الطويلة في فضاء الطبيعة.

وقد انقطعت عن استقبال الزوار وانخرطت في مرحلة من «الهلوسة الروحية»، واقتصرت على ارتداء الملابس البيضاء الطويلة فبدَتْ مثل الراهبات في ملابسها وتصرفاتها.

وزادت حالتها النفسية سوءاً بوفاة والدها فجأة عام ١٨٧٤، وشلل والدتها، فأصبح عليها أن تعتني بوالدتها المقعدة التي توفيت بدورها عام ١٨٨٢.

وأصبحت إيميلي ديكنسون طيلة البقية الباقية من حياتها مشغولة بهاجس الموت، ولا غرابة في ذلك حيث إن الموت كان قد اختطف ثلاثة وثلاثين شخصاً من أقاربها بين ١٨٥٢ و١٨٨٢.

ولم تطل الحياة بعدئذ بهذه البائسة، حيث أصيبت بنوع من الفشل الكلوي عام ١٨٨٤، الذي أدى إلى وفاتها بعد سنتين (أيار ١٨٨٦).

- ملامح شعرها بعامّة:

على الرغم من أن أيميلي ديكنسون لم تنشر خلال حياتها إلا سبع قصائد، فإنها كانت مكثرة في النظم والكتابة إلى حد الطوفان، حيث تقول الباحثة الأديبة «مريام وِبْسْتَرْ» عنها إنها نظمت ١٨٧٥ قصيدة، وهناك من يقول إنها تجاوزت الألفي قصيدة، وكانت فترة عطائها بشكل خاص في ستينيات القرن التاسع عشر حيث كانت تنظم ما معدّله ثلاثمائة قصيدة في العام الواحد.

وقد وجدت شقيقتها لافينيا أمامها مهمة شبه مستحيلة عندما حاولت تصنيف تلك الأكداس المبعثرة من الأوراق التي تركتها إميلي بعد موتها، وخاصة إذا علمنا أنها – أي الشاعرة – لم تكن تضع عنوانات مستقلة لقصائدها من جهة،، ولم تكن تميز بين (القصيدة) و(الخاطرة الأدبية) من جهة ثانية!

ومن حسن الحظ أن إيميلي ارتبطت في أواخر حياتها بعلاقات مراسلة مع الناشر المعروف «توماس ونتوورث هيجنسون Thomas Wintworth Higginson»، صاحب مجلة «آتلانتيك مونثلي»، الذي أرسلت إليه نصوص مايزيد عن مائة قصيدة من نظمها، بغاية تقويمها لا نشرها. ولكن هذا الناشر اتصل بعد وفاة الشاعرة بشقيقتها «لافيينا»، وطلب منها الموافقة على نشر مالديه من قصائد، وهكذا صدر ديوان إيميلي ديكنسون الأول عن هذا الناشر عام ١٨٩٠ (بعد وفاة صاحبته) ويضم ١١٦ قصيدة، وسرعان ما أتبعه بمجموعة ثانية تضم حوالي ١٠٠ قصيدة عام ١٨٩١. وأما المجموعة الثالثة فنشرتها أختها «لافينيا» سنة ١٨٩٤، وأتبعتها بمجموعة قصائد رابعة عام ١٨٩٦.

وعموماً يمكن استنتاج ثلاثة مواضيع thémes في قصائدها، وهذه المواضيع هي: الحب، الموت، القدر، ويمكن أن نضيف إليها موضوعاً رابعا ًوهو الطبيعة، أو بالأحرى التفاعل بين الإنسان والطبيعة.

ويمتاز شعر ديكنسون بأنه بسيط ولكنه مكثف جداً بالوقت نفسه، ويحمل بعداً إنسانياً في طيّاته، وهو قابل للقراءة أكثر من مرة بحيث يكتشف القارئ بعداً جديداً للقصيدة كل مرة!

ويصف الكاتب الأمريكي «جوردان ديفيس» في مقال له الطابع العام لشعرها بالكلمات التالية:

«Poems that tried to explain the unexplainable subjects like death, change, secrets and truth».

والمعنى بالعربية: «إنها تحاول في قصائدها توضيح مواضيع يستحيل شرحها مثل: الموت، التحول، الأسرار، والحقيقة».

وقد تفردت إيميلي ديكنسون في البحث والتعمق بمثل هذه الأمور إلى درجة جعلت بعض الباحثين ينظرون إلى عبقريتها هذه her genius على أنها نوع من الجنون madness!

هذا من حيث الموضوع، وأما من حيث الشكل فإن أغلب قصائدها قصيرة تتألف من (مقاطع stanzas) طول الواحد منها أربعة أبيات.

وقد تأثرت في بداية حياتها بأسلوب الشاعرين (إيمرسون) و(جوناثان إدواردز)، ويعتبرها النقاد – بالإضافة لوايتمان – أعظم شاعرين أمريكيين، لذا وتخليداً لاسميهما قامت إدارة البريد الأمريكية بطبع صورتيهما على طابعين بريديين أصبحا من أوسع الطوابع انتشاراً.

وإذا حاولنا أن نذكر بعض القصائد المتميزة لإيميلي ديكنسون فإننا نجد أن هذا أمراً مستحيلاً، لكثرة ما كتبت من جهة، ولأنها لم تكن تضع أية عناوين لقصائدها من جهة ثانية،

ولهذا فإنه غالباً ما نستخدم البيت الأول في كل قصيدة للدلالة على قصيدة ما بعينها كقولنا في تعداد بعض قصائدها:

- I heard a fly buzz when I died.
- Becaues I could not stay for a death.
- I felt a peneral in my funeral.
- I test a liquor never brewed.
- I can not live with you.

وها هما قصيدتان من نظم إميلي ديكنسون، قصيدة فيها بعض الغزل بشاب اسمه ريتشارد كوري، والثانية قصيدة إنسانية بعنوان «بلا جدوى»، وبعدهما مقطعان قصيران حول عبثية الموت:

«ريتشارد كوري – Richard cory»

«عندما كان ريتشارد كوري ينزل إلى المدينة
كنا نحن الناس العاديين ننظر إليه وقوفاً على الرصيف
كان رجلاً وسيماً (جنتلمان) من قمة رأسه إلى أخمص قدميه
كان نظيفاً منعماً، ورشيقاً إلى أقصى حد.

* * *

كان أنيق اللباس بشكل منتظم
وبادي الإنسانية عندما يتكلم
ولكنه كان يضطرب نبضه دوماً لَمّا يقول:

«صباح الخير»، ثم يتمايل عند المسير!

* * *

كان غنياً، غنياً أكثر من ملك
ومثقفاً في كل باب من أبواب الرقي،
وخلاصة الكلام أننا كنا نرى فيه كل فضيلة
تجعلنا نتمنى لو كنا مكانه»

* * *

«دونَ جدوى – In vain»

«إذا لم يكن في وسعي
أن أنقذ قلباً من الانفجار
لن أحيا دونَ جدوى.
وإذا لم يكن بوسعي
أن أحرر حياة إنسان من الألم
أو أخفف من آلامه على الأقل
أو أن أساعد حمامة كسيرة الجناح
على أن تعود إلى عشها ثانية
فإنني لن أحيا دونَ جدوى»

* * *

قصيدة حول عبثية الموت

«الموت، الموت عند منتصف الليل

أليس هناك من إنسان يجلب لي مصباحاً
لكي أرى في أي طريق يكون الذهاب
ضمن هذا العالم الجليدي المترامي الأطراف؟».

* * *

حول حتمية انفصال الحبيبين بالموت (إذا لم يكن أثناء الحياة) تقول إيميلي ديكنسون:

«لا بد من أن ينتظر أحد الحبيبين
لكي يُغْمض عيني الآخر إلى الأبد».

* * *

ثانياً – سارة تيسيديل (١٨٨٤ – ١٩٣٣):

Sara Teasdale (1884- 1933)

- حياتها:

ولدت سارة تيسديل في مدينة سانت لويس (ولاية ميسوري الأمريكية) يوم ٢٨ آب ١٨٨٤.

وفي عام ١٩١٠ انتقلت إلى مدينة شيكاغو، حيث انضمت إلى جماعة الشاعرة «هارييت مونرو» ١٩١٢.

وفي هذا العام نفسه تعرّفت على الشاعر «فاشيل ليندساي» وارتبطت معه بعلاقة حب رومانسية ألهمتها الكثير من القصائد

الجميلة، ولكنها فسخت خطبتها منه عام ١٩١٣، وتزوجت من رجل أعمال غني اسمه «إرنيست فيلسينجر» عام ١٩١٤، وانتقلت معه إلى مدينة نيويورك.

وبعد عشرة أعوام من الزواج اكتشفت أنها ليست سعيدة به، وأخذت تعبّر عن خيبة أملها في الزواج وفي أي ارتباط عاطفي آخر.

وبعد وفاة والدها – الذي كان يعارض طلاقها – تقدمت بطلب الطلاق إلى المحكمة الأمريكية المختصة وحصلت عليه عام ١٩٢٩.

والحقيقة أن سارة تيسديل كانت تعيش تمزقاً نفسياً حاداً نتيجة نوعين من المشاعر:

١. حاجتها إلى الحب والتواصل مع الآخرين.
٢. شعورها بالتفرد والتميّز عن الآخرين، وهذا ما كان يدفعها إلى العزلة والترفّع Stoicisme.

وزاد في إحباطها دخولها في «سن اليأس» عام ١٩٣٠ من جهة، وإقدام حبيبها السابق الشاعر «فاشيل ليندساي» على الانتحار في شهر كانون الأول عام ١٩٣١، وهذا ما أدى بها إلى نوع من الانهيار العصبي.

ومن يراجع آخر ديوان لها، وهو الذي يحمل عنوان «نصر عجيب Strange Victory» يجد أنه مليء بالتشاؤم الأسود

والدعوة إلى الموت كسبيل وحيد للخلاص، مما ينبئ عن نيتها بالانتحار، وقد أقدمت فعلاً على ذلك يوم ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٣، قبل بلوغها الخمسين من العمر.

لقد حاولت سارة تيسديل أن توفق طيلة عشرين عاماً بين زوج شرعي لا تحبه، وحبيب غير شرعي بالنسبة للمجتمع ولكنه شرعي بالنسبة لها، وعندما فشلت في ذلك نفضت يدها طوعاً من الحياة المرة التي أجبرتها الظروف الاجتماعية على عيشها!

- ملامح شِعرها العامّة:

بدأت سارة تيسيديل نظم الشعر في عام ١٩٠٣، أي قبل بلوغها سن العشرين، وقد تأثرت بشاعرتين:

- الأولى هي سافو، أولى شاعرات اليونان في العصر الكلاسيكي، وأعظمهن تأثيراً في الشعر العالمي.
- والثانية هي الشاعرة البريطانية من أصل إيطالي كريستينا روزيتي.

لذا كان من الطبيعي أن تنحو المنحى الغنائي في شعرها، وأن يشكل (الحب) و(الجمال) الموضوعين الرئيسين فيه.

انضمت تيسديل في أوائل شبابها إلى الجماعة الشعرية المعروفة تحت اسم «The Potters»، ونشرت بواكير إنتاجها

الشعري في مجلة هذه الجماعة التي تحمل عنوان « the Potters Wheel»، وفيها تعرفت على الصحفي وليام ماريون ريدي، الذي كان يرأس تحرير مجلة «The Mirror»، حيث نشر لها بعض قصائدها فيها عام ١٩١٣.

كان أول ديوان شعري نشرته هو: « Sonnets to Duse and Other Poems»، وكلمة (ديوز Duse) هنا تعني الممثلة الأمريكية في عهد السينما الصامتة «إليانور ديوز»، التي كانت تربطها بها علاقة صادقة عاطفية متينة، ونالت الشاعرة تيسديل (جائزة بوليتزر» الأدبية في الشعر عام ١٩١٨ عن ديوانها النفيس «أناشيد الحبّ Love Songs».

يمتاز شعر تيسديل بالبساطة وبالطابع الغنائي الذي يكاد يظهر في كل قصائدها. ومن حيث الشكل كتبت تيسديل مايزيد عن مائتي قصيدة، وأغلبها بطول ثمانية أبيات ضمن مقطعين رباعيين.

وأما من حيث الموضوع فقد تطرقت في شعرها إلى مواضيع ضرورية للعصر الذي عاشت فيه، مثل حرية المرأة، وحقها في الحب، وفي اختيار شريك حياتها على مرأى ومسمع من الجميع.

أهم النقاد الذين مدحوا شعرها هو الناقد الأدبي المعروف «بيرسي هيتشنسون» في العمود الذي كان يحرره ضمن جريدة

«النيويورك تايمز» تحت عنوان: « New York Times book review».

- أثر حياتها الشخصية على شعرها:

لا يمكن أن توجد شاعرة في العالم أثرت حياتها الشخصية على شعرها بالقدر الذي نجده في شعر سارة تيسديل:

- ففي فترة شبابها الأولى (١٩١٠ – ١٩٢٠) كانت تؤمن بالحب إيماناً أعمى، وهكذا نجدها تقول لحبيبها:

«ولكن سواء أكان الأمرُ لي شمالاً أو جنوباً
وبالرغم من الإغراءات التي تعرَّضتُ لها
في مختلف الأمكنة (فإن الأمر قد تغير)
منذ أن انحنيت لتمسك بيدي
ثم طبعت تلك القبلة على فمي»!

- وقد دفعتها جرأتها للمطالبة بحق المرأة في الحب، وأخذ حظّها منه بقدر ما يأخذ الرجل سواء أكانت زوجة شرعية أم خطيبة أم حبيبة عذراء، وفي هذا تقول:

«وطالما أنني فتاة عذراء
فإن حبيبي لن يعرف أبداً
أنني أودُّ تقبيله
بفم أكثر حمرة من الورود المتفتحة».

- ولكنها سرعان ما تكتشف أنها كامرأة هي الخاسرة في عملية التبادل العاطفي فتقول:

«بماذا أدينُ لك؟
أنتَ يا من أحببتني بعمقٍ ولمدّة طويلة؟
إنّك لم تُعْطِ روحي أبداً جناحاً تطير به
ولم تُقدم لقلبي أية أغنية!»

- وعندما تقارن بين القيمة التي تحتلها في قلب صاحبها، والقيمة التي يحتلها هو في قلبها، تجد أن المعادلة ليست في صالحها أبداً، وهكذا تقول:

«أدنى من قيمة السحاب للريح
وأدنى من قيمة الزبد للبحر
وأدنى من قيمة الوردة للعاصفة
أنا بالنسبة لك!

* * *

وأكبر من قيمة النجمة بالنسبة لليل
وأكبر من قيمة المطر للبحر
وأكبر من قيمة السماء للأرض
أنتَ بالنسبة لي».

- ومع مرور الزمن بدأت الشاعرة تكتشف أن الحب يفقد بريقه وحرارته شيئاً فشيئاً فتصوّر شعورها هذا بالقول:

«آمل أنه يود أن يحبني ولهذا قبّل فمي
ولكنّي كالطير الكسير الجناح
لا أستطيع الوصول إلى الجنوب!

* * *

وبالرغم من معرفتي أنه يحبني
فإن قلبي حزين هذه الليلة
لأن قبلته لي لم تعد دافئة الطعم
كما كنت أتصورها في أحلامي».

- وبعد أن تفقد الأمل في تحسن علاقاتها مع زوجها (فيلسنجَر)، ولا مع حبيبها (فاشيل ليندساي)، تعترف بسوء حظها في الحب والعلاقات العاطفية فتقول في قصيدة ذات عنوان معبّر هو:

«ليس الأمر معي كذلك But not for me»
«إن الأحباب يأتون الليلة إلى بقية النساء
ولكن الأمر معي ليس كذلك».

- وفي قصيدة أخرى بعنوان «الوحدة the solitary» تصف وحدتها في الحياة ولكن دون أي إقرار بالحاجة للآخرين، حيث تخاطبهم بنوع من التسامي واللامبالاة:

«إن قلبي قد أغنته التجربة بمرور السنين
لذا فإن حاجتي أصبحت أقل

مما كنت في فترة صباي
لكي أشاطر نفسي مع قادم جديد
أو أُجمِّل أفكاري بكلمات منمّقة ينطقها».

- وعندها بدأت تفكر بالموت كمنقذ وحيد لها من يأسها وفشلها، وخاصة بعد طلاقها من زوجها، وإقدام الحبيب السابق ليندساي على الانتحار، حيث تعتذر إليه ضمناً وتعده باللقاء في الحياة الأخرى فتقول:

«آه، بالنسبة لي أحببت من لم يحبوني أبداً
وأنا أدين لهم بفتح البوابة
التي قادتني نحو جدران السماء الوعرة».

- مختارات من قصائدها:

كتبت سارة تيسديل حوالي مائتي قصيدة، فيها الجيد وفيها الأقل جودة. وقد اخترنا لها القصائد الثلاث التالية مع ترجمتها إلى اللغة العربية:

النظرة The look

«ستيفن قبّلني في الربيع
وروبان قبلني في الخريف
ولكن كولن اكتفى بالنظر إليّ
ولم يقبلني أبداً!

* * *

قبلة ستيفان مرَّت كنوع من المزاح
وروبان خسر في اللعب
وأما نظرة كولن لي بعينيه
فلا زالت تلازمني طيلة الليل والنهار».

* * *

دعنا نَنسَ ذلك Let it be forgotten

«دعنا ننسى ذلك كما تُنسى الزهرة
كما تُنسى نار كانت تتوقد بلون ذهبي
دعنا ننسى ذلك وإلى الأبد
فالزمن صديق جيد يقودنا نحو المشيب!
إذا سألك أي إنسان ما
قل له أنك قد نسيتـــ(ني) منذ زمن طويل
نسيتني كما تُنسى الزهرة، كما تُنسى النار
كما يُنسى وقع الأقدام
على كوم من الثلج الذي نسيناه منذ زمن»!

* * *

حكمة wisdom

«كانت تلك ليلة من بواكير الربيع
كان السُبات الشتوي بالكاد قد انتهى
وحَوْلنا كانت الظلال والريح

تُصغي للكلمات التي لم نقلها أبداً.

* * *

بالرغم من أن نصف معدل سنوات عمرنا قد مرَّ
وبالرغم من أن الربيع أتى بشكل حاد
فإننا إذا كان علينا أن نعيد التجربة كلها
فإننا سنعيدها ثانية بالشكل نفسه.

* * *

إنه الربيع الذي لم يأتِ أبداً
ولكننا عشنا ما فيه الكفاية لكي نعلم
أنّ الأشياء التي لم نحصل عليها تبقى
بينما الأشياء التي نحصل عليها
هي التي تبقى إلى الأبد»

* * *

ثالثاً - إلينوروايلي (١٨٨٥ – ١٩٢٨) :
Elinor Wylie (1885 – 1929)

- حياتها الشخصية:

اسمها الكامل إلينور مورتون هوايت، وقد اكتسبت اسم وايلي بعد زواجها من محامٍ يحمل هذا الاسم.

حياتها الخاصة كانت غير منضبطة، ولكنها وصلت في عشرينيات القرن الماضي (١٩٢٠ – ١٩٢٨) إلى لقب الشاعرة الأكثر شهرة في أمريكا.

ولدت في بلدة سومرفيل (ولاية نيوجرسي) بتاريخ ٧ أيلول ١٨٨٥.

وكانت أكبر الأولاد في عائلة ميسورة ومعروفة في البلدة، وقد بدأت بقرض الشعر منذ عام ١٩٠٢.

وفي عام ١٩٠٥ التقت إلينور بشاب اسمه فيليب هيتشبورن وتزوجته ورُزقت منه بولد واحد.

وبعد خمس سنوات من الخلاف والمشاحنات هجرته مع ابنها لتعيش مع محام معروف اسمه هوراس وايلي، وهو الذي أعطاها اسمه.

وبما أنَّ هذا المحامي كان متزوجاً لم تتمكن إلينور من الاقتران رسمياً به، فرضيت بالإقامة معه عشيقةً، وهذا ما جعل أهلها وأقاربها وأصدقاءها يقاطعونها بشكل كامل، فاضطر العشيقان للهجرة من أمريكا إلى إنكلترا عام ١٩١١.

وفي عام ١٩١٢ نشرت إلينور أول مجموعة شعرية لها بعنوان «أرقام اعتباطية Incidental Numbers»، ورغم أن المستوى الشعري لهذه المجموعة كان «مقبولاً، فإن إلينور أنكرت فيما بعد تبعية هذه المجموعة لها، حيث نجدها تقول في رسالة منها إلى الناشرة هارييت مونرو عام ١٩١٩:

I have never published Anything, never tried to, until the last few weeks.

أي «لم أنشر أي شيء قبل الآن، ولم أحاول ذلك حتى ما قبل بضعة أسابيع!»

وبقي العاشقان توماس وإلينور وإيلي في إنكلترا حتى عام ١٩١٦، حيث عادا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن علمت هي بانتحار زوجها فيليب هيتشبورن من جهة، وموافقة زوجة توماس وايلي الرسمية على الطلاق من جهة ثانية، وهذا ما يسَّرَ لإلينور الزواج من عشيقها وايلي، وبدأت تحمل اسمه رسمياً منذ عام ١٩١٧!

وبعد استقرارها في أمريكا شجعها بعض أصدقائها الشعراء من أمثال جون دوس باسوس، جونبيل بيشوب، إدموند ويلسون.. على العودة إلى نظم الشعر فكتبت بعض القصائد وأرسلتها إلى مجلة «بويتري Poetry» سنة ١٩١٨، فقامت ناشرة هذه المجلة، الشاعرة هارييت مونرو، بنشر أربع من هذه القصائد وطالبتها بالمزيد.

وهنا تركت إلينور زوجها الثاني وسافرت إلى نيويورك عام ١٩٢١، حيث أصدرت مجموعتها الجديدة هناك تحت عنوان: «شَبَاك لِصيد الريح Nets to catch the wind».

وعندما لاقت هذه المجموعة إعجاب النقاد وناشري الكتب، ومنهم الناشر وليام روز بنيت، سارعت لكتابة المزيد من نتاجها الأدبي شعراً ونثراً، وتولى الناشر روز بنيت الإشراف على نشر

إنتاجها الجديد، وكافأته هي على ذلك بأن قبلت الزواج منه بدلاً من زوجها المحامي توماس وايلي عام ١٩٢٣!

وفي عام ١٩٢٦ انفصلت إلينور عن زوجها بنيت، ولكنهما بقيا يتزاوران كصديقين من جهة، وكشاعرة وناشر أدبي من جهة ثانية.

ولم يمنعها هذا من الارتباط العاطفي برجل جديد اسمه هنري ده كليفورد ووُدْ هاوْسْ، الذي كان زوجاً لإحدى صديقاتها المقربات، وقد دفعها عشقها له إلى نظم بعض السوناتات التي ضمنتها ديوانها الأخير: «ملائكة ومخلوقات أرضية Angels and earthly creatures».

وفي الفترة الكائنة بين ١٩٢٣ و ١٩٢٨ نشرت إلينور وايلي ثلاثة دواوين جديدة وأربع مجموعات قصصية لقيت كلها إعجاب النقاد الأدبيين والناشرين، وتكللت بجملة من الجوائز وشهادات التميّز.

وكان من المنتظر أن تتابع إلينور وايلي تقدمها إلى ذروة العرش الشعري والأدبي لولا أن انتهت حياتها بشكل فجائي: فخلال زيارة منها لزوجها السابق وليام روز بينيت (الذي كان لا يزال زوجاً لها على الورق)، أصيبت بهبوط قلبي مفاجئ سببّ موتها خلال عدة دقائق، وهي لم تتجاوز الثالثة والأربعين من عمرها بعد.

- **الملامح العامة لشعرها:**

يتميز شعر إلينور وايلي بالصور الشعرية الحية وبنوع من الحساسية المترفعة في شؤون الحب والتعامل مع القدر، إلى الحد الذي جعل الناقد الأدبي المعروف «لويس أنترماير» يقول عنها: «هناك في شعرها نوع من الانفعال الذي تجمّد في منبعه «A passion frozen at its source».

وقد تأثرت بشكل أكيد بالشاعرين شيلي الذي ألفت كتاباً عنه ودون Donne.

وقد حاولت وايلي أن ترسم في شعرها الاختلافات الكامنة في النفوس البشرية إلى الحد الذي يمنع أفراد الجنس البشري من التعامل الصادق بين بعضهم بعضاً، وبالتالي فإن الحياة تمنح للإنسان دوماً أقل مما يجب.

وتنتقد إلينور وايلي وضعية المرأة في أمريكا خلال ذلك العصر (الربع الأول من القرن العشرين) بالقول:

«لقد ولدت إنسانة وحيدة
لأنني كامرأة كان وضعي مقلقاً
وعشتُ دوماً أنحتُ في الصخر
لكي أحصل على لقمة عيشي».

إلى أن تقول في نهاية هذه القصيدة:

«أنا امرأة دونَ فائدة في أرض قاحلة
ولكن من يتعرض لي بالسوء سوف أخرقُ يده».

وعن مستقبل العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة تقول متأثرة بتجاربها غير الناجحة في هذا الميدان:

«إنَّ نتائج هذه الأخطاء
سوف يتولد عنها حقيقة أساسية
وسوف يمضي المحبون زوجاً زوجاً
ويتجدّد فيهم الإخلاص والاستقامة
ويرفض كل من الطرفين الفشل»!

* * *

ولكنها لم تتصالح نهائياً مع «الحب» بعد هذه القصيدة، لذا نجدها تودع حبيبها الأخير بالقول:

«وداعاً أيتها الجنة الجميلة
فأنا لست آسفة جداً عليك
لقد جعلتُ منكَ ملكاً خاصاً بي
في أحد الأيام
وها أنت قد ذهبت الآن!
أنا لست أكثر حكمة منك
ولكن أوراق شجر الصفصاف
أصبحت تبدو لي لماعة بلون النبيذ»

- **أحلى قصائدها:**

العشاء الأخير	1) Last supper
السوناتا الخامسة	2) Sonnet V
أثمار بريّة	3) Wild peaches
الخولي البريء (الساذج)	4) Innocent landscaper
شخص واحد فقط	5) One person

وقد اخترنا نصيّن من هذه القصائد لترجمتهما إلى العربية وهما النص رقم (٢) والنص رقم (٥):

السوناتا الخامسة - Sonnet V

«إنَّ القدر البسيط من الجمال الذي كان من نصيبي
والشفتان الطازجتان اللتان لوَّنَهُما مولاي
والشعر الناعم، والعينان اللتان تحسان بالنار
كلُّ هذه المزايا لم تجعلني أشعر بالكبرياء أبداً
لأنني عندما انتقلت من مكاني كنت بصحبة غيمة
وعشتُ غير مبالية بالرغبات التي تستعر في دمي
بتأثير الحب المؤقت الذي كان يحاول إغرائي بدون جدوى
لأن جسدي لم يكن أكثر من شطر امرأة مطرزة حديثاً!

* * *

والآن بعد أن شببت ساخطة على القدر
الذي جعلني غير أهل لمنافسة النساء الأخريات

في عالم الشرف والجمال حسب رأيكَ
فإن تكويننا هو أبعد ما يكون عن جمعنا حتى في أبعد سماء
ولكني سأتبعك بالرغم من أن الأوان قد فات
لكي تضع بصمتك (ختمك) على قلبي».

مقتطفات من السوناتا الثامنة عشرة وهي بعنوان: شخص واحد - One person :

«دعنا نكف عن الكلام حول الملائكة السديميين
وعن أنصاف شكل القمر كما يبدو لنا
وعن ماهية الأيام وطول السنة الأورانية
وما يمكن أن تقدمه هذه لنا عندما نكون أنتَ وأنا أباً وأماً،
دعنا ننسى الأعياد والمهرجانات
وما وراء الطبيعة وكلَّ مخاوفنا.
دعنا نتحد ونختم على سمعنا وأبصارنا
كما تعزل الأنهار الصغيرة نفسها عن أمواج الصقيع!

* * *

دعنا نتسلل إلى أصغر غرفة لدينا
غرفة يشتهيها أي منفي مطارد
لنفسه ولحبيبته عندما ينتابه التعب.
دعنا ننم متناسين أي يوم للحساب
يصعب فهمه في ملكات عقولنا.

ودعنا ننسَ كيف نحزن وكيف نبكي
هيا نتبادل المصافحات واللمسات
على مرأى من أوراق الشجر والنباتات».

- أهم مجموعاتها الشعرية:

أرقام اعتباطية 1) Incidental Numbers (1912)

شباك لصيد الريح 2) Nets to catch the Wind (1921)

الدرع الأسود 3) Black armour (1923)

روح مبتذلة 4) Trivial breath (1928)

ملائكةومخلوقات أرضية 5) Angels and erthly creatures (1928)

- منشورات ما بعد الوفاة:

مجموعة قصائد إلينور وايلي 1) Collected poems of Elinor wylie (1932)

القصائد الأخيرة لإلينور وايلي 2) Last poems of Elinor wylie (1943)

- دراسات نثرية:

كتابات نثرية لإلينور وايلي 1) Collected prose of Elinor wylie (1932)

جينفر لورن 2) Jennifer Lorn (1923)

زجاج البندقية 3) the venetian glass (1925).

ولها دراسة عن شاعرها المفضل بيرسي شيلي تحت عنوان «الملاك اليتيم The Orphan Angel» أصدرتها عام ١٩٢٦.

* * *

رابعاً – هيلدا دولتيل (هـ . د) (١٨٨٦-١٩٦١):

Hilda Doolittle (H.D) (1886 – 1961)

- حياتها:

اسمها الكامل هيلدا دوليتل، وكانت في بداية حياتها الأدبية تكتب تحت اسم مستعار هو «جودي هيلفورث»، ثم أصبحت توقع كتابتها باستخدام الحرفين الأولين من اسمها وكنيتها أي (هـــ.د – H.D).

ولدت هـــ.د يوم ١٠ أيلول ١٨٨٦ في بيتهيلم (ولاية بنسلفانيا) ضمن عائلة مثقفة ميسورة الحال.

وفي عام ١٩٠٤ التحقت بكلية «برين ماور Bry maur» الجامعية لمدة سنتين تعرّفت خلالهما بمجموعة من الوجوه الثقافية المعروفة في أمريكا ذلك الوقت: ماريان مور، ويليام كارلوس ويليامز، إزرا باوند.. وفي عام ١٩٠٧ تمت خطبتها إلى هذا الأخير، واعترفت له بأنها كانت تحبه منذ أن كانت في الخامسة عشرة من عمرها!

وبالرغم من أنهما لم يتزوجا رسمياً فقد سافرت معه إلى لندن عام ١٩٠٨ وأقاما معاً هناك.

وقد شاركت هـ.د في الحركة الثقافية البريطانية، وصادقت هناك مجموعة من الأدباء البريطانيين مثل د.هـ لورانس، ماي سينكلير، ب. ييتس، إديث سيتويل، وشقيقها السير أوزبرت سيتويل، وريتشارد آلدنجتون الذي تزوجت منه عام ١٩١٣.

وفي العام نفسه توسط إزرا باوند لدى المشرفين على مجلة «بويتري Poetry» الأمريكية لكي تنشر بعض قصائد هـ.د، وقد نشرت لها هذه بالفعل ثلاثاً من قصائدها وهي:

في الطريق	1) Hermes of the way
برياب	2) priapus
قصيدة قصيرة	3) Epigram

وفي هذه القصائد الثلاث يظهر اعتناق هـ.د للنظرية التصويرية Imagism في الشعر، مع بعض تأثيرات جانبية من نظرية «الهايكو Haiku» اليابانية.

وخلال سنوات الحرب العالمية الأولى نابت هـ.د عن زوجها ريتشارد آلدنجتون في رئاسة تحرير مجلة «Egoist»، التي كانت منبر الحركة التصويرية في الشعر، وفي عام ١٩١٥، عندما نشر إزرا باوند كتابه عن الشعراء التصويريين

An anthology of imagists كان للشاعرة دوليتل (هــ.د) مكان بارز فيه.

ثم انفصلت هــ.د عن زوجها آلدنجتون عام ١٩١٨، وعاشت مع الناشرة آني وينفريد إيللرمان، التي كانت تكتب أيضاً تحت اسم مستعار هو (Bryher)، وقد سافرت الصديقتان عام ١٩١٩ إلى إيطاليا واليونان ومصر قبل أن تستقرا في سويسرا.

وفي عام ١٩٣٣ – ١٩٣٤ راسلت هــ.د عالم النفس سيجموند فرويد ثم قابلته وتبنت إلى حد ما نظريته في التحليل النفسي.

وقد أوضح لها فرويد كثيراً من العقد النفسية التي كانت تعاني منها، وخاصة (تقلبها العاطفي) و(الجنس المزدوج Bissexualité)، وردّت هي على جميل فرويد هذا بأن كتبت عنه بعد موته كتاباً كاملاً هو: «تحية لفرويد Trbute to Freud».

واهتمت هــ.د بعد ذلك بالصوفية والأديان والوجوه النسائية القيادية Matriarcal figures عبر التاريخ، إلى أن توفيت في الخامسة والستين من عمرها يوم ١٧ أيلول ١٩٦١.

- الملامح العامة لشعرها:

تبنت هيلدا دوليتل النظرية التصويرية imagism في الشعر، وهي تعتمد على استخدام الكلمة بمعناها الفعلي لا المجازي، والصورة المحسوسة والكلام الشائع بين الناس، وعنصر التكثيف.

وقد كسرت هــ.د في قصائدها النسق الرباعي للشعر المُقفى، وأخذت في غالب الأحيان نظام الشطرين المتتابعين بدون أية تقفية أحياناً.

ويظهر إبداعها الشعري بشكل خاص في «الثلاثية Triology» التي نظمتها خلال الحرب العالمية الثانية بين (١٩٤٤ – ١٩٤٦)، وقد رفع بعض النقاد الأدبيين هذا العمل إلى مرتبة «الرباعيات Quartets» التي نظمها ت.س. إليوت، وديوان «Pisan Cantos» لإزرا باوند!

وهيلدا دولتيل هي أول امرأة تلقت عن شعرها شهادة الاستحقاق الأدبي. وهي إحدى الشاعرات اللواتي لا زلن مقروءات حتى الآن في جيل الشباب باللغة الإنجليزية.

- **أحلى قصائدها:**

الحديقة	1) Garden
البستان	2) Orchard
في الطريق	3) Hermes of the way
قصيدة قصيرة	4) Epigram
هلاك	5) Lethe
أنشودة الناي	6) Flute song
هيلين	7) Helen

وها هو مقطع من قصيدتها (هلاك Lethe) مترجماً إلى اللغة العربية:

«لا يمكن للستائر القرمزية ولا للأقمشة الرقيقة
أن تسترك عني
ولا إذا التحفت بخشب أشجار الأرز فوقك،
ولا يمكن لعطور أشجار الغابات المزهرة أن تخفيك
ولا يمكن للطيور الصدّاحة أن توقظك من غفلتك.

* * *

لا يمكن لأي كلمة أو لمسة أو نظرة حب
تتوق لها طوال الليل، أن تنالها
لأنك، لهذا السبب، تحتاج
إلى تيّار من موج البحر العارم
لكي يغطيّك (يغسل خطاياك)
دون سؤال أو قبلة».

* * *

- **أهم دواوينها:**

حديقة البحر	1) Sea garden (1916)
تنويه وإحسان	2) Tribute and cirea (1917)
غشاء البكارة	3) Hymen (1921)
هليو دورا وقصائد أخرى	4) Heliodora and other poems (1924)
ديوان قصائد هــ.د	5) Collected poems of H.D (1929)
هــ.د	6) H.D (1926)

7) Red rose of bronze (1929) ورود حمراء من البرونز

8) The triology الثلاثية

9) The walls do not fall (1944) لن تسقط الأسوار

10) Tribute to the Angels (1945) تحية للملائكة

11)The flowring of the rod (1949) إزهار العصا

12) Bid to live (1960). دعوة للحياة

وهو كتاب نثري يجمع بين المقابلات الشخصية (مع فرويد مثلاً)، والمذكرات الشخصية الخاصة.

* * *

خامساً - إدناسان فنسان ميلاي (١٨٩٢-١٩٥٠)

Edna St Vincent Millay (1892 – 1950)

- حياتها:

شاعرة أمريكية من أبرز شاعرات القرن العشرين. ولدت ضمن عائلة مثقفة في مدينة روكلاند بولاية (مين) الأمريكية يوم ٢٢ شباط ١٨٩٢، وانتقلت في أيام طفولتها إلى مدينة (كامدن) الساحلية حيث عشقت البحر. وعندما بلغت الثامنة من عمرها انفصل والداها بالطلاق، وعاشت إدنا مع شقيقتيها في كنف أمهما المطلقة. ويظهر أن صدمة انفصال والديها أثرت عليها

عاطفياً وأدبياً حيث نجدها تبدأ بنظم الشعر منذ سن العاشرة من عمرها، ونشرت قصائدها البدائية في مجلة للأطفال تحمل اسم «سانت نيكولاس».

ثم كتبت في فترة المراهقة بعض القصائد والقصص القصيرة تحت اسم مستعار هو «نانسي بويد».

وعادت إلى استخدام اسمها الحقيقي الكامل عندما نشرت ديوانها الشعري الأول الذي حمل عنوان «انبعاث Renascence» عام ١٩١٢، وهي في العشرين من عمرها.

وبعد ذلك دخلت الشاعرة الشابة كلية «فاسار Vassar» الجامعية عام ١٩١٧، حيث تخصصت في دراسة الآداب والمسرح، وإثر تخرجها منها سافرت إلى نيويورك، واستقرت في ضاحية غرينتيش، حي الأدباء والفنانين المجاور لمدينة نيويورك، حيث عملت مؤلفة وناقدة وممثلة مسرحية في هذه الفترة من حياتها.

وفي عام ١٩٢١ تركت غرينيتش في رحلة إلى أوروبا، حيث زارت فرنسا وعدة بلدان أخرى، ولكنها اضطرت للإسراع في عودتها إلى الولايات المتحدة، حين علمت بأن صديقها الحميم «آرثر فيك» قد تزوج من إحدى صديقاتها.

وقد عوضها عن هذه الصدمة العاطفية فوزها بجائزة بوليتزر الأدبية عن ديوانها الجديد «شهر نيسان الآخر Second April» عام ١٩٢٢.

ولعله من قبيل التعويض العاطفي أيضاً أنها تعرّفت في العام التالي (١٩٢٣) على ثريّ أمريكي من أصل فرنسي اسمه «أوجين بواسوفان» فتزوجته مع أنه يكبرها بحوالي ثلاثين عاماً! وقد اتفق الزوجان ودياً على أن يكون لكل منهما حياته العاطفية الخاصة، وذلك لأن إدنا كانت تنادي بحق الحب للرجل والمرأة معاً، ضمن إطار مؤسسة الزواج أو حتى خارجاً عنها، ولهذا لم يمنعها زواجها، أو زوجها، من أن ترتبط بعدة علاقات عاطفية حميمة، وكان أهم هذه العلاقات وقوعها في غرام شاعر شاب اسمه «جورج ديلون».

ويقال إنها قد تعذبت كثيراً في حياتها العاطفية بين زوج أكبر منها بثلاثين سنة، وحبيب أصغر منها بنصف هذه المدة! وقد عبّرت عن لوعتها وولوعها في ديوانها الذي أصدرته عام ١٩٣١ تحت عنوان «لقاء مأساوي Fatal Interview»، ويضم اثنتين وخمسين قصيدة، وهي تحكي قصة حب بين رجل وامرأة منذ بدء اضطرام العاطفة بينهما، حتى لحظة الانكسار والفراق.

والغريب في الأمر أن هذين الشاعرين العاشقين قد بقيا صديقين بعد انطفاء جذوة الحب بينهما، وقد اشتركا في ترجمة ديوان الشاعر الفرنسي المعروف شارل بودلير «أزاهير الشر Les Fleurs Du Mal» من الفرنسية إلى الإنجليزية تحت عنوان «Flowers of Evil».

وكانت فترة العشرينيات، والنصف الأول من ثلاثينيات القرن الماضي، ذروة الشهرة بالنسبة للشاعرة إدنا سان فنساي ميلاي،

ولكن شهرتها عرفت بعض التراجع بعدئذ، وخاصة عندما بدأت تهتم بالسياسة، وأخذت تسخّر شعرها في سبيل الدفاع عن قضايا سياسية واجتماعية ضدّ توجّهات السلطة وأغلبية قطاعات الرأي العام الأمريكي في تلك الفترة، وذلك كما حصل عندما دافعت عن قضية «ساكووفنيزيتي» ضمن مقال لها بعنوان لافت، وهو: «رفض إقرار العدالة في ولاية ماساشوستس»!

وقد نُشر هذا المقال في جريدة «نيويورك تايمز»، وهذا ما أدى إلى توقيفها في سجن مدينة بوسطن عدة أيام.

وبعد خروجها من السجن كرّست نفسها للوقوف في وجه الدعوة إلى الحرب (التي كانت نُذرها قد بدأت تظهر في أوروبا)، وكذلك لكتابة مذكراتها الشخصية. وأنهت الشاعرة حياتها الأدبية بكتابة ديوان «الحصاد عندي Mine the Harvest»، الذي يحمل بعض ذكرياتها الشخصية أيضاً.

وفي عام ١٩٤٩ توفي زوجها «أوجين بواسوفان»، ولم تلبث هي أن لحقت به يوم ١٩ تشرين الأول ١٩٥٠، وهي في الثامنة والخمسين من عمرها فقط، ويقال إنها توفيت نتيجة لسقوطها عن دَرَج منزلها بعد أن أصيبت بمرض هشاشة العظام.

وقد أصبح منزلها الزوجي في مزرعة أوسترليتز (بولاية نيويورك) متحفاً لها ولمؤلفاتها بعد موتها، يزوره عُشّاق أدبها وشعرها على الدوام، فيعيشون جزءاً من حياتها وبعض ذكرياتها، وقد تسنّى لكاتب هذه السطور أن زاره في شهر آب ٢٠٠٤.

- **شعرها:**

إن شعر إدنا سان فنسان ميلاي هو شعر رومانسي بامتياز، مليء بالعاطفة، ويضجُّ بالصور الشعرية والاستعارات الناعمة المبتكرة.

وهو في أغلبه يتحدث عن الحب، وعن العلاقة بين الرجل والمرأة، في إطار مؤسسة الزواج أو خارج إطار هذه المؤسسة، إذ إن الحب في رأي إدنا سان فنسان هو الخيار الوحيد الذي يُنجي الإنسان من التفكير بالموت، وهي تقول في ذلك: «بدون الحب لا يعود هناك من صديق للإنسان إلا الموت»، « Without Love, one is making friends with Death»

ولكن هذا لا يمنعنا من القول إنها طرقت إلى جانب الحب بعض المواضيع الإنسانية الأخرى، كما هو الحال في قصائد مجموعتها الموسومة: «Sonnets from an ungrafted tree»، التي تحكي، ضمن ما تحكي، قصة امرأة انفصلت عن زوجها بالطلاق، ولم يعد يربطها به أي نازع من نوازع الحب، ومع هذا فإنها تعود إليه طوعاً للاعتناء به، بعد أن سمعت أنه مريض بداء خطير يجعله محكوماً عليه بالموت بعد عدة أسابيع!

هذا من حيث الموضوع، وأما من حيث الشكل فإنّ إدنا سان فنسان كانت مؤمنة بالشعر التقليدي الغنائي (Lyric Poetry)، الذي يتألف من «مقاطع Stanzas» يتكون كل منها من «أربعة أبيات Quartets»، والتقفية تكون إما اثنين اثنين، أو بقافية متصالبة. هذا في حال القصائد العادية، وأما في حالة

«السوناتات Sonnets» فغالباً ما تتكون الواحدة من أربعة عشر بيتاً، ويقال للثمانية الأولى فيها «أوكتاف Octave»، وللستة الأخيرة «سيكستيت Sexstet». كما أشرنا في مكان سابق.

ورغبة منا في ابراز هذه الناحية بشكل أفضل سنقدم فيما يلي الترجمة الكاملة لقصيدة وسوناتا من نظم إدنا سان فنسان، القصيدة بعنوان «رماد الحياة Ashes of Life»، أما السوناتا فهي التي تحمل الرقم ٤٢، والتي رقمتها بالطريقة اللاتينية (XLII) للتدليل على كلاسيكيتها.

قصيدة رماد الحياة

إطار هذه القصيدة:

قصيدة «رماد الحياة» من أوائل القصائد التي نظمتها إدنا سان فنسان ميلاي وضمنتها ديوانها «Renascence» (١٩١٢)، وهي قصيدة رباعية متصالبة، أي أنّ البيت الثالث يأخذ قافية البيت الأول، والرابع يأخذ قافية البيت الثاني وهكذا..

هذا من حيث الشكل، وأما من حيث المضمون فإن القصيدة تتحدث عن «الحب Love» و«الحياة Life» حيث ترى الشاعرة أن الحياة هي الباقية على الدوام، وأما الحب فهو زائل حتماً ولا يخلف إلا «رماداً Ashes» أو بقايا تذروها الرياح.

وهاهي ترجمة هذه القصيدة إلى العربية:

«لقد مضى الحبُّ وتركني وحيدة

والأيام كلها تبدو لي متشابهة،

لابد لي أن آكل، ويجب أن أنام

وأودُّ لو كان الحبيب هنا هذه الليلة،
ولكن آه، عليَّ أن أستلقي على الأرض
وأبقى مستيقظة أستمع إلى دقَّات الساعة!
أودّ لو طلع النهار من جديد،
أودّ لو اقترب وقت الشفق.
لقد مضى الحب وتركني، ولا أعرف ما العمل!
إنَّ هذا العمل أو ذاك
وما تريدُ أنت فعله، كل ذلك يبدو سواء
بالنسبة لي،
كما إنَّ كل الأعمال التي أبدأها
أتركها قبل أن أنجزها فعلاً
وهناك فائدة ضحلة لأي شيء حسبما أرى!

* * *

مضى الحب وتركني وحيدة
والجيران يطرقون على بابي لاستعارة بعض الأشياء
والحياة تمضي في طريقها ببطء
وكأنها دبيب فأر
وغداً، ومن بعده غداً، ثم غداً، وما بعد غد
سيبقى هذا الشارع الصغير
وهذا البيت الصغير لا غير».

* * *

السوناتا الثانية والأربعون

الإطار العام لهذه القصيدة:

كانت إدنا سان فنسان ميلاي من نوع النساء اللواتي لا يستطعن العيش دون حب. وفي أواخر أيام حياتها، وبعد اجتيازها تلك المرحلة الخطيرة بالنسبة للمرأة، والمسماة «سن اليأس»، بدأ عشاقها القدامى ينصرفون عنها الواحد بعد الآخر، ووصلت إلى قناعة معينة، وهي أن الزمن عامل من عوامل القضاء على الحب.

وتزداد الذكريات حدة وإيلاماً لدى رؤية بعض الوجوه أو الأمكنة أو في بعض الظروف، كما هو حال شاعرتنا هنا عندما كانت تسمع صوت المطر الوابل الذي كان ينقر على نافذتها طالباً الدخول وكأنه أحد عشاقها القدامى! ثم تعود إلى واقعها المؤلم كامرأة وحيدة مثل شجرة سقطت أغصانها واحداً بعد الآخر، ولم يعد يقيها شيء من البرد، برد الوحدة الموحشة الذي لا يعادله أي برد آخر، والذي يزداد تأثيره كلما تقدمت المرأة بالعمر.

ترجمة السوناتا إلى العربية:

«تُرى أية شفاه عطشى\
أطبقت على شفتيّ، في أحد سوالف الأيام،\
وكيف تم هذا ومتى؟\
وأية سواعد قوية\
توسدها رأسي منذ المساء وحتى الصباح؟\
لقد نسيتُ الآن،

ولكن المطر زاخر بالأشباح هذه الليلة
وهو ينقر على زجاج النافذة ويئن
وكأنه ينتظر مني الجواب.

* * *

إن أعماق قلبي مفعمة بالأسى
على أولئك الفتيان الذين نسيتهم
والذين لم يعودوا يزورون مخدعي اليوم
في منتصف الليالي وهم يئنون حباً!
وها أنا الآن وحيدة
كما الشجرة المنفردة التي تقف في وجه برد الشتاء
بعد أن انصرفت عنها الطيور الأليفة واحداً بعد الآخر،
إنها تعلم اليوم بأن هذه الطيور
قد هجرت أغصانها دون رجعة
وتركتها وحيدة موحشة.

* * *

ليس بوسعي اليوم
أن أتذكر كل أولئك الأحباب
الذين دخلوا في حياتي
ذات يوم، ثم خرجوا منها،
ولكني أعلم أن الصيف الذي كان يضجّ بالغناء في أعماقي
ردحاً من الزمن، قد ولّى وراح
وتوقف عن الغناء إلى الأبد».

ويظهر من هذه السوناتا، والقصيدة التي أوردناها قبلها، أن إدنا سان فنسان لم تكن سعيدة في حياتها، ولكنها كانت تتألم بكبرياء وترفع وهي تقول ذلك:

«My candle burns at both ends

It will not last the night

But oh my foes, and oh my friends

It gives a lovely light».

والمعنى بالعربية:

«إن شمعتي (شمعة حياتي) تحترق من طرفيها معاً

ولن يدوم اشتعالها حتى نهاية الليل

ولكن آه يا أصدقائي، وآه يا أعدائي

لقد أعطت شمعتي ضوءاً جميلاً».

- **أجمل قصائدها:**

هي في رأينا القصائد التالية:

1) Morit urnes	أجران الرُفاة
2) Ashes of life	رماد الحياة
3) Good's world	دنيا الله
4) Renascense	انبعاث
5) The penitence	الندم
6) Feast	حفلة عيد
7) Afternoon on a hill	وقت الظهيرة على رابية
8) Pity me not	لا تشفق عليّ

9) Elegy مرثاة

10) The singing woman from the woods – edge المرأة المغنية عند حافة الغابة

11) Keen توق عارم

12) Love is not all milk nor drink. الحب ليس كله حليباً أو شراباً

13) The harp weaver الحائك

14) The buck in the snow. الوعل في الثلج

- **أهم دواوينها:**

كان أهم المجموعات الشعرية التي نشرتها إدنا سان فنسان هو ديوانها الأول الموسوم «انبعاث Renascence»، الذي نشرته في عام ١٩١٢، وهي في العشرين من عمرها في مجلة «ليريك يير Lyric year»، ثم نُشر ثانية من قبل دار نشر رسمية.

وبعدها توالت إصدارات سان فنسان على الشكل التالي:

1) A few figs from the thistle (1920) بعض أثمار شجر الشوك

2)Second April (1921) شهر نيسان آخر

3) The ballad of the harp weaver (1922). أنشودة الحائك

4) The harpweaver and other poems (1923). أنشودة الحائك وقصائد أخرى

5) The buck in snow and other poems (1925).	الوعل في الثلج
6) Fatal interview(1930).	لقاء مأساوي
7) wine from these grapes.(1934)	خمر من هذه العناقيد
8) Conversation at midnight (1937).	حديث منتصف الليل
9) Huntrman what carry (1937)?	ماذا تحمل أيها الصياد؟
10) Collected sonnets (1941)	أضمومة سوناتات
11) Invitation to the muses (1941)	دعوة لربّات الشعر
12) Collected lyrics (1943).	أضمومة أناشيد

- إصدارات ما بعد الوفاة:

1) Mine the harvest (1954).	الحصاد عندي
2) Collected poems (1956)	أضمومة قصائد
3) Edna ST Vincent selected poems (1991).	قصائد مختارة لإدنا سان فنسان
4) Early poems (1998)	القصائد الأولى.

مؤلفاتها المسرحية:

- المسرحية الشعرية:

1) Two slatterns and a king (1921).	عاهرتان وملك.

2) The lamp and the bell (1921). المصباح والجرس

3) Aria di capo (1921) آريا دي كابو

4) The princess marry the page (1927). الأميرة تزوجت من وصيفها

- الدواوين السياسية:

1) Epitaph for the raceman شاهدة لقبر بطل السباق

2) Make bright the arrows سِنُّوا الأسلحة

3) The murder of lydice جريمة قتل ليديس

- المذكرات والرسائل:

نشرت إدنا سان فنسان بعض ذكرياتها في كتاب نثري عنوانه: «Note book» عام ١٩٤٠.

كما نشر السيد أ. ر. ماكدونال رسائلها عام ١٩٥٢ (أي بعد وفاتها بسنتين) تحت عنوان: Letters of Edna ST Vincent Millay.

- أهم المراجع عنها:

هو حسب رأينا المتواضع الكتاب الذي ألفته الكاتبة نانسي ميلفورد Nancy Milford تحت عنوان:

Savage beauty: the life of Edna Saint Vincent Millay - Random House – New york, 1920.

* * *

سادساً – دوروثي باركر (١٨٩٣ – ١٩٦٧)

Dorothy parker (1893 – 1967)

- **حياتها**:

هي شاعرة وقاصة وكاتبة للأطفال. اسمها الحقيقي دوروثي روتشيلد ونظراً للأصول اليهودية الظاهرة في هذا الاسم فقد غيّرته إلى باركر.

اسم أبيها هنري روتشيلد (وهو تاجر ملابس من مدينة نيويورك)، واسم أمها إليزا مارستون.

ولدت دوروثي يوم ٢٢آب ١٨٩٣، وقد توفيت أمها بعد ولادتها بمدة قصيرة، فتزوج والدها من امرأة مسيحية أصرّت على وضع دوروثي في مدرسة داخلية تابعة لأحد الأديرة المسيحية، وهكذا عانت الفتاة منذ أول عمرها حالة تمزق في حياتها بين ديانتها الأصلية (اليهودية) والتربية المسيحية في الدير!

وبعد إنهاء مرحلة تعليمها الثانوي انتسبت دوروثي إلى إحدى الكليات الجامعية في مدينة موريس تاون، وتخرّجت منها بعد دراسة سنتين بين (١٩٠٩ – ١٩١١).

وفي عام ١٩١٥ تعاقدت كناقدة أدبية مع المجلة المعروفة (فوك Vogue)، ثم بعد سنتين من العمل فيها تعاقدت مع مجلة أخرى لا تقل عنها شهرة وهي (فانيتي فير Vanity Fair).

وفي العشرينيات من القرن الماضي أصبحت دوروثي باركر كاتبة معروفة في نيويورك وما حولها، مما أهّلها لأن تصبح عضواً في جماعة الطاولة المستديرة « Algonquin Round

Table»، وهذا ما أتاح لها الفرصة للتعرف على أدباء مشهورين من أمثال روبرت بنشلي، وجورج كوفمان، وفرانكلين بيرسي آدامس وغيرهم.

وفي تلك الفترة تزوجت دوروثي من سمسار مالي في مدينة نيويورك اسمه «يوند باركر» ولكن زواجهما لم يُكتب له الاستقرار أو الاستمرار!

وقد تعرفت دوروثي بعدئذ على أدباء أمريكيين مشهورين مثل إرنست هيمنجواي، وسكوت فيتزجرالد فأعطاها هذا دعماً معنوياً قوياً.

وفي نهاية العشرينيات مرّت دوروثي بأزمة نفسية شديدة دفعتها إلى معاقرة الشراب، وإلى خوض مغامرات عاطفية غير ناجحة قادتها أكثر من مرة إلى إجهاض ومحاولة انتحار، وخاصة بعد أن انفصلت عن زوجها «يوند باركر» بالطلاق رسمياً.

وبعد ذلك تزوجت دوروثي باركر الممثل «آلان كامبل»، الذي يصغرها بأحد عشر عاماً، وانتهت علاقتهما بالطلاق، ثم بالزواج مرة ثالثة والطلاق مرة أخرى. واضطرت لبيع شقتها والسكن في فندق «فولني Volney»، الذي فارقت فيه الحياة وحيدة ليلة ٧ حزيران ١٩٦٧.

- المواضيع الرئيسية في قصائدها:

سيطرت على قصائد دوروثي باركر المواضيع النسائية العامة في عصرها، وخاصة صعوبة التواصل بين الرجل

والمرأة، واستغلال الرجال للنساء لحاجتهن إليهم، والعنجهية الفارغة لأبناء المجتمع الراقي، وعلاقات الحب الفاشل من خلال التجارب العاطفية والزوجية المريرة التي عاشتها.

هذا من حيث الموضوع، وأما من حيث الشكل فقد كان شعرها في غالبتيه «غنائياً Lyric»، وقد تنوعت قوالب قصائدها بين «السوناتا Sonnets» و«البالاد Ballads»، و«الأود Odes»، و«الأبيجرام Epigrams»، و«الإبيتاف Epitaphs».

- أحلى قصائدها:

البوهيمية	1) Bohemia
أغنية	2) A song
ملخص حياة	3) Resumé
تعليق	4) Comment
أن يكون الإنسان امرأة	5) On being a woman
مذكرة اجتماعية	6) Social
صيف هندي	7) The Indian Summer
طُرفـــه	8) Anecdote
تريمودي	9) Tremoday
الحرم المقدّس	10) Sanctuary
الحب الجديد	11)The new love
صورة في الدخان	12) Picture in the smoke
السؤال الأخير	13) The last question
أغنية قصيرة جداً.	14)A very Short song

- تأثير حياتها الشخصية على شعرها:

عانت دورثي باركر من كثير من المشاكل النفسية والعاطفية في حياتها، وقد انعكست هذه المشاكل على شعرها حيث نجده زاخراً بالمقاطع التي تبحث في علاقة الرجل بالمرأة، وقلة بختها في هذا المجال.

ففي مجال تعدد علاقاتها العاطفية وفشلها في قابلية التكيف مع أحبابها تقول ضمن قصيدة «صورة في الدخان Picture in thw smoke»:

«كان الحبيب الأول كيِّساً ومتألقاً وظريفاً
والثاني كان كدفقة من الماء في كأس بيضاء صافية
والثالث كان لنفسه فقط، والرابع كان كما أنا
أما بعد ذلك فكان أحبابي خليطاً من كل هذا».

* * *

وتقول في قصيدتها «السؤال الأخير The last question»:

«حبيب جديد، أيُّها الحبيب الجديد، أين أنتَ
لكي تقودني في الحياة؟
على طول ممر ضيق مليء بالمنحنيات
كيف ستروِيني، وكيف ستغذيني
بحبوب من التوت البري الأصفر والمر
وبنبيذ حاد الطعم وجديد التقطير».

* * *

وفي مجال متطلباتها لخوض أي تجربة عاطفية جديدة تحدد الشروط مسبقاً في قصيدتها «أغنية A song» فتقول:

«يجب أن تحبني وأن تكون مسروراً
على مستوى الروح والجسد
وإلا وجب عليك أن تفتش عن حب آخر
وأن تودعني إلى غير رجعة».

* * *

وتقول في قصيدتها «أن يكون الإنسان امرأة On being a woman» متهكمة على نفسها:

«لماذا عندما أكون في روما
أتشوق لأن أكون في الوطن
بينما عندما أكون في مسقط رأسي
تكون روحي متعلقة بإيطاليا؟
ولماذا أنت يا حبيبي ويا سيدي
عندما تكون إلى جانبي نملٌ من بعضنا معاً
وعندما تقف وترحل عني
أصرخ طالبة أن تعود إليّ من جديد»

* * *

وتقول حول عدم تفاهمها مع زوجها الأول عندما تركها وذهب للاشتراك في الحرب العالمية الأولى:

«إذا كان من الواجب عليك أن تذهب إلى أقاصي الدنيا
أو أن تموت
أو أن تنطق باسم امرأة أخرى في بداية نومك
أو أن تراني على متن قطار ولا تشهق دهشة

فليس لي عندئذ إلا أن أمسك بنهديّ وأبكي»

* * *

وفي قصيدتها «صيف هندي The Indian Summer» تُعبّر عن روح عدائية متهكمة تجاه الرجل والحب معاً، وخاصة بعد أن تقدمت في العمر وأصبحت لها تجارب كثيرة في هذا المجال:

«في مرحلة الشباب كان من عادتي
أن أفعل ما بوسعي لكي أنال الإعجاب
فأتبادل الحديث مع أي شاب يعبر بقربي
لكي أحقق له نظرياته (في النساء)!
ولكن الآن بعد أن أصبحتُ أعرف ما أعرف
وأقوم بعمل مايروق لي فقط
أقول لك: إذا لم أكن أُعْجبك كثيراً
فاذهب إلى الجحيم أيها الحبيب».

* * *

وأخيراً وحول عدم منطقية الحب تقول:

«راف هو شاب ظريف وجنتلمان
وتوم رجل ذو فضائل
وجاك حطم قلبي وهرب مني
ولذلك أحبه أكثر من الباقين».

* * *

- **أهم دواوينها:**

كفى اغتصاباً 1) Enough rape (1926)

2) Sunset gun (1928)	بندقية وقت الغروب
3) Death and Taxes (1931)	موت وضرائب
4) Not so deep as a well (1936)	ليس عميقاً بما فيه الكفاية كالبئر
5) The collected Poetry of Dorothy parker (?)	جملة قصائد دورثي باركر
6) Poems and story (1962)	قصائد وقصة
7) No much fun: the poems of Dorothy parker (1996).	قليل من المرح

أعمالها الأخرى:

- المجموعات القصصية:

ثلاث مجموعات:

1)A big Blonde	شقراء ضخمة الجثة
2) A Telephone call	نداء عبر الهاتف
3) After such pleasure (1933)	بعد كل هذه المباهج

- أعمالها السينمائية:

بالإضافة إلى ما تقــدم كتبت دورثي باركر ســيناريو فيلم «Astar is Born» في نسخته الأولى عام ١٩٣٣.

* * *

٣ - شاعرات فرنسيات

أولاً - لويزكوليه (١٨١٠ – ١٨٧٦)

Louise colet (1810 – 1876)

اسمها الكامل لويز ريفوال كوليه، ولدت في مدينة (إيكس آن بروفانس) سنة ١٨١٠، وتوفيت في باريس سنة ١٨٧٦. شاعرة وكاتبة ناضلت طويلاً في الدفاع عن المرأة ومكانتها في المجتمع.

ارتبطت بعلاقات عاطفية حميمة مع خمسة من كبار أدباء وشعراء فرنسا في القرن التاسع عشر وهم: فيكتور كوزمان، وفيللمان، وألفريد ده موسيه، وألفريد ده فيني، وغوستاف فلوبير، ولها مع هذا الأخير مراسلات عالية الجودة.

كتبت في النثر مؤلفاً بعنوان «هو Lui» يحكي قصة غرام ألفريد ده فيني مع الأديبة جورج صاند، وأما في الشعر فقد اشتهِرت بديوانين:

- أزهار الجنوب Les fleurs du midi (١٨٣٦).
- القلوب المحطمة (Les Coeurs brisés) (١٨٤٣).

وبعد نشرها ديوانها الثاني هذا افتتحت صالوناً أدبياً باسمها بين ١٨٤٣ و ١٨٥٩. وقد كان يجتمع في صالونها الأدبي هذا أغلب رجال الفكر والشعر والأدب في باريس خلال منتصف القرن التاسع عشر، الذي كان من أغنى عصور الأدب والشعر والفن في فرنسا.

وكنموذج من شعرها نذكر لها هذه القصيدة بعنوان: «الآنسة La demoiselle»:

«في أيام الربيع ليس هناك ما هو أجمل

من فتاة تقفز

بأربعة أردان من القماش الشفاف!

جسدها ناعم وممشوق

يُخيل إليك وأنت تراها

أنك ترى جواهر من الزمرد والسِفير والتوباز!

هي تطير في الهواء

في الوقت الذي بدأ النهار بالزوال

وهي تسرق العطر من أية زهرة تمسُّها

النظرات المبهورة تتأملها بنشوة

فوق الأمواج اللازوردية المتكسرة!

* * *

أنا كما أنتِ

أيتها الزهرَة التي لا تذبل أبداً

ولكن ليس لي – مع الأسف –

أجنحة خفيفة أطير بها

فوق هذا الكوكب القاتم

* * *

أيتها المناطق الكائنة

في غياهب الروح
التي لا يمكن لأحد أن يمر فيها،
سأعبرها أنا
لكي أفتش في السموات
وفي تلك الأجواء
عن العالم الذي أحلم به
العالم الأزلي وغير المتناهي».

* * *

ثانياً - آنا دونُوايِّ (١٨٧٦ – ١٩٣٣)

Anna de Noailles (1876 – 1933)

نبيلة من حيث المولد، فهي ابنة الأمير الروماني «بيبسكو Bibesco»، وهذا ما أهلها لحمل لقب «كونتيس». كتبت عن الطبيعة، وعن المشاعر الأنثوية، وعن موقف الإنسان أمام الحياة والموت، وكانت تُسمي شعرها «قرباناً إلى الطبيعة offrande á la nature»، فقالت في ذلك شعراً:

«Je me suis appuyée a la beauté du monde et j´ ai tenu l´ odeur des saisons dans mes mains».

والمعنى بالعربية:

«اتكأت على جمال العالم
وأمسكت رائحة الفصول بيديَّ هاتين»

وكانت دونواي أعظم شاعرات فرنسا في القرن التاسع عشر دونَ منازع، وهذا ما جعلها تحلم بأن تدخل في عضوية الأكاديمية

الفرنسية، وعندما قوبل ترشيحها إلى «مجمع الخالدين» بالرفض اتجهت إلى «الأكاديمية البلجيكية الملكية» التي قبلتها عضواً فيها.

- نظمت دونواي بين ١٩٠١ و ١٩٢٧ خمسة دواوين تحمل العناوين التالية:

القلب المتعدد (١٩٠١) 1 – le coeur innombrable

ظلّ الأيام (١٩٠٢) 2 –l´ombre des jours

إنْبهار (١٩٠٧) 3 – les Eblouissements

أحياء وأموات (١٩١٣) 4 – les vivants et les morts

شرف المعاناة (١٩٢٧) 5 – l´honneur des ouffrir

مختارات من شعرها:

وها هي فيما يلي ثلاث قصائد من نظم ده نواي: اثنتان من ديوانها «القلب المتعدد»، والثالثة من ديوانها «انبهار».

١) سنجعل بيتنا أجمل إذا شئت Si tu veux, Nous ferons notre maison si Belle من ديوانها «القلب المتعدد»:

«يمكننا أن نجعل بيتنا جميلاً جداً إذا شئت،
سنسكن فيه خلال فصول الصيف والشتاء
سنشاهد حوله ماء الجليد عندما يذوب
والأشجار المصفرة عندما تعود للاخضرار.

* * *

وأيام الانسجام والفصول السعيدة
ستنقضي بعضها بعد بعض
على أطراف الدرب المضيء

كما همُ الأطفال الذين يتجمعون في زمر مرحة
يمسكون بأيدي بعضهم
ويتعانقون وهم يلعبون.

* * *

الشمس المرحة، وكذلك القمر المفكر
اللذان يدوران حول جذوع أشجار الحور الملساء
يعكسان فينا روحهما المتعبة أو المرحة
تحت أشعة منتصف النهار
وفي الأماسي الحميمة!
سنجعل قلبينا بسيطين وصادقين
بحيث تعود الأرواح الساحرة
كما في قصص الماضي
إلى السُكنى في أقفاص ساعات الحائط
لكي تعزف ألحاناً سرية ولطيفة.

* * *

وخلال أماسي الشتاء
لكي نحسّ بفضل الدفء
سنحاول التعرض لقليل من البرد،
أنوار عظيمة سترقص عندئذ في قلوبنا
على ضوء لهيب الحطب
الذي يبدو لي فرحاً».

٢) قصيدة «البصمة L´Empreinte»:

«سأستند بشكل جيد وبكل عزم على الحياة
سأضمها إلي بقسوة وشدة
بشكل أتمكن به
- قبل أن أُحرمَ من جمال النهار –
من أن أدفئ هذه الحياة بعناقي!

* * *

إن البحر الذي يغمر بوفرة سطح العالم
سيحتفظ في ذاكرته
بالمسرى التائه الذي تسلكه مياهه
وطعم آلامي المُر والمالح معاً
سيجري فوق هذه الأيام المتقلبة!
سأترك جزءاً مني في منعطفات الهضاب:
حرارة نظراتي التي راقبتها وهي تُزهر
والصرصار الجاثم فوق شوكة الغصن
سيردد صرخة صبوتي الحادة!

* * *

في الحقول الربيعية سينبت اخضرار جديد
والعشب الكثيف الذي يغطي حواف الحفر
سيشعر بالاضطراب ويهرب
كما لو له جناحان
من أفياء يدي
اللتين كثيراً ما تلمسّتاه.

* * *

إن الطبيعة التي كانت مملكتي ومجال فرحي
ستتنفس في الهواء رائحتي الدائمة
وعلى وقع الحزن الإنساني
أسلّم قلبي هذا
قلبي ذا الطراز الفريد».

* * *

٣) قصيدة «مفاجأة Surprise»:

«كنت أتأمل، وفجأة انكشفت الحديقة لي
ورمت حدقتي اللاهبة دفعة واحدة
بينما كنت أنظر إليها ببهجة عارمة
بكل ما تحويه من فرح وخفر ونداوة
وما يحويه الصيف من مشاعر حميمة!

* * *

كل ما فيها يؤثر بي، يروق لي
ويُغرقني بحالة من النشوة
كنت أتقدم ثم أتوقف:
يُخيل إلي أن الفرح الذي يكمن في هذه الشجيرة
سيقفز ليحط في قلبي!

* * *

إنني ممتلئة بالحب، بالاندفاع
وأتضوع برائحة طيبة

وقد مزج اللازورد خيوطه في جسدي
ويبدو فجأة أمام نظرتي المندهشة
أن ما أزهر ليس هو المرج
بل عيناي اللتان تنظران إليه
حتى أنني لو أردت إغماض عيني
لبقيت أرى فيهما الشمس والوردة».

* * *

ثالثاً - ماري نويل (١٨٨٣ – ١٩٦٧)

Marie Noel (1883 – 1967)

اسمها الحقيقي ماري روجيهِ Marie Rouget، وقد تبنت اسمها الجديد «نويل Noél» تيمناً بعيد الميلاد لأنها كانت متدينة وعاشت أغلب سني حياتها في ظلال كاتدارئية مدينة «أوكسير Auxerre». حاولت في شعرها أن توفق بين ثلاثة مواضيع حميمة: (الله Dieu)، و(الحب Amour) و(الطبيعة Nature).

شعرها ذو طبيعة غنائية، بل إن دواوينها الثلاثة تتضمن في تسمياتها كلمة «أغاني» وهي على التوالي:

الأغاني والزمن ١٩٢٠ 1- les chansons et les heures

أغاني الرحمة ١٩٣٠ 2 – Chants de la merci

أغاني آخر العمر ١٩٦١ 3 – Chants d árriére -saison

- نموذج من شعرها:

نقدم فيما يلي ترجمة قصيدة لها بعنوان «إلى الأخرى Atierce»:

«لا شيء حقيقي كالحب.. فذوبي يا روحي – فيه واجري
في البئر اللامتناهي الذي كشفه يسوع لك
إنه كالموجة التي تتجدد في منبعها دوماً
وتفيض خارجاً عني في جميع الاتجاهات
* * *
أية تحفظات يمكن أن تقف في طريقك؟
أعطي كل شيء! أعطي أكثر دون معرفة قدر هذا العطاء
لا تخافي من أن ينقص لديك الحب
ولا تحتفظي لنفسك بشيء
ضمن يديك المفتوحتين بسخاء!
* * *
ماذا تحبين وكم من الوقت سنضيع في هذا الخيار
أحبي كل شيء! كل شيء صالح لأن يُحب!
كوني عمياء، ولكن أحبي
أحبي القريب وأحبي البعيد، أكثر مما تحبين نفسك
وكم هي معجزة يا إلهي أن نحب الجميع في الوقت نفسه!
* * *
أحبي من هو شبيه بك
وأحبي من هو نقيض لك
ولا تحبي أياً كان لجماله فقط
لأن سحر العيون سرعان ما يفارقها
والغد ينسيك الجمال السائد اليوم،
* * *

لا تحبي أياًّ كان بتأثير دموعه
لأن الدموع تزول بعد يوم،
ولا تحبي أحداً من أجل غنائه
فتأثير الأغاني لا يدوم أكثر من ساعة،
وإذا أردت – يا روحي - أن يدوم حبك
فأحبي كلَّ ما يوحي بالحب من أجل الحب.

* * *

٤ - شاعرات إيرلنديات

أولاً – إيلين ماري باتريك داوننج (١٨٢٨ – ١٨٦٩)
Ellen Mary Patrick downing

ولدت في مدينة كورك (إيرلندا) يوم ٩ آذار ١٨٢٨، وتوفيت في أحد الأديرة عام ١٨٦٩.

كانت تحب رجلاً اسمه «أوين Owen) وكتبت من أجل هذه القصيدة:

My Owen

«أنا فخورة بكَ، مغرمة بك، مشدودة إليكَ
قلبي فرح الآن فأنا أعلم أنني عزيزة عليكَ

فرحي يظهر في صوتي، فأنا مستعدة للغناء من أجلك
بكل ذلك الحب العجيب الذي يحرق قلبي تجاهك.
قلْ لي مرةً أخرى، بل مرّات ومرات
عن قصة ذلك المساء الذي رأيتك فيه لأول مرة يا حبيبي.
أنا اليوم لم يعد ينتابني الخجل
من ذلك الدفق الحار من الميل
الذي تشعر به زوجة أوين.
عندما يكشفُ قلبها عن ذلك!

* * *

أنا فخورة بك، مغرمة بك، وأملك جميع حقوقي عليكَ
متنازلة عن كل شيء آخر في سبيل حبي لك وانبهاري بكَ
مسرورة من أن قلبي أصبح يدق قريباً منك
خطواتي أصبحت دوماً مستعدة للطيران نحوك
والارتماء بين ذراعيك حيث لا يطالني أي حزن.
أقرأ عينيك وأتعلّم منهما بانتظار حب جديد
وبالرغم من عنفي وضعفي حتى الآن
من العهد الذي تعرضه لهذا الزواج المبارك
أعرف أكثر من أي حكيم عاقل
أنَّ قلبك سيصلّي من أجلي».

* * *

ثانياً – دورا سيجرسون شورتر (١٨٦٢ – ١٩١٨)

Dora sigerson shorter

شاعرة إيرلندية ولدت في مدينة دبلن عام ١٨٦٢، وتوفيت في لندن يوم ٦ كانون الثاني عام ١٩١٨، كانت متزوجة من السيد كليمانت شورتر .

- أشهر القصائد التي نظمتها:

- وردة ستذبل	1) A rose will fade
- المعزّون	2) The comforters
- نورا	3) Nora
- ريح الروابي	4) The wind on the hills
- شهر نيسان	5) April

وهاهي الترجمة العربية لقصيدتها الأولى:

وردة ستذبل (A rose will fade)

«لقد كنتِ دوماً وردة حالمة، أيتها الوردة الحمراء

عندما تتمايلين على غصنك المزهر العاطر

كنتِ تتمايلين، والعالم بكامله كان صادقاً حولك

وكنتِ تتحنين. ماذا كان يثير قلقك؟

أنّ الوردة يجب أن تذبل في يوم ما!

* * *

لماذا ابتسمت في وجهه، أيتها الوردة الحمراء

عندما انتزعَ أوراقك ورماها بعيداً؟

وأصبح العالمً بأسره مجنوناً من أجلكِ

كل العالم ركع على ركبتيه وتوسل

للوردة التي تتفتح في يوم ما!

* * *

لقد لملمت أنا أوراقك أيتها الوردة الحمراء

الأوراق التي رماها هو بعيداً

وكل العالم هزئ (سخر) من مصيرك

هذا العالم كيف تسنى له أن يعرف

أن الوردة ستذبل في يوم ما؟».

* * *

ثالثاً - آليس فيرلونغ (١٨٧٥ - ؟)

Alice Furlong

من مواليد إيرلندا ١٨٧٥، وأشهر قصائدها هي التي تحمل عنوان: «نصيبي في هذا العالم My share in the world» وهاهي ترجمتها:

«أنا غيورة، وأنا صادقة

وأنا مريضة القلب في حبك

يا نصيبي في هذا العالم

أنا باردة، باردة كالحجر

تجاه جميع الرجال، ما عداك وحدكَ!

* * *

النهار يزحف ببطء،أكثر بسبع مرات من المعتاد

عندما يكون وجهك بعيداً عني

آه، يا نصيبي في هذا العالم

والليل يأتي مظلماً أكثر بسبع مرّات

عندما لا يتمتع بصري برؤيتك!

* * *

فرحي واعتزازي لا حدود لهما

إذ اخترتني لأكون عروسك

آه يا نصيبي في هذا العالم.

إنّ وجهك هو منبع حبوري

في الصباح والمساء، عند الظهر وفي الليل!

عندما أذهب إلى الرقص أو إلى إحدى السهرات

أذهب من أجلك فقط

آه يا نصيبي في هذا العالم،

ذاك لكي أرى وجهك هنيهة فقط

أُلاقي عينيكَ وأحصل على ابتسامة منكَ!

* * *

والكلمة المرحة التي تنطق بها شفتاي

لا تنطق بسري أبداً

لك يا نصيبي في هذا العالم،

خطوة قدمي هي خفيفة فوق العشب الأخضر

ولكنّ قلبي يصرخُ من شدة شوقه.

* * *

إنَّ أمي تتنهد من جديد

عندما ألاحقك بنظراتي

أه، يا نصيبي في هذا العالم،

وحاجب أبي يصبح أشدَّ سواداً

عندما تبتسم وتديرُ لنا ظهرك.

* * *

أود لو أذهب معك بسهولة

أذهب معك إلى ما وراء البحار

أذهب مع نصيبي في هذا العالم.

سأترك قلبي في المنزل

لو همس (همست) لي بكلمة (تعالي)

مستعدة لأن أعيش دون مسكن تحت الشمس وقطرات الندى

وأن أشحذ رغيف خبزي، إذا كنتُ معك

آه يا نصيبي في هذا العالم،

سأعيش دون سكن تحت الثلوج والعواصف

لأن الحب المنبعث من قلبك سيمنحني الدفء.

* * *

أود لو أصلي وأن ألتمس

أن يضمني معك قبر واحد

آه يا نصيبي في هذا العالم

أنا مستعدة لاجتياز النار والطوفان

ومستعدة للتنازل عن كل شيء ماعدا الله

للحصول على (نصيبي من هذا العالم)»!

* * *

الفهرس

الصفحة

الفصل الأول

الصفحة

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م

عدد الطبع ١٥٠٠ نسخة

آفاق ثقافية



أشهر شاعرات الحب في بلاد الشرق والغرب

(تراجم ومختارات شعرية)



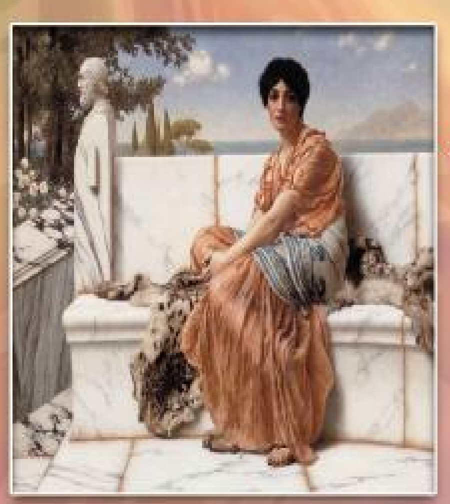
www.syrbook.gov.sy
٢٠١٢م

السعر (٥٠) ل.س

وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

أشهر شاعرات الحب في بلاد الشرق والغرب

(تراجم ومختارات شعرية)



القسم الثاني



د. إحسان هندي

أشهر شاعرات الحب
في بلاد الشرق والغرب
القسم الثاني

آفاق ثقافية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتورة لبانة مشوّح

وزيرة الثقافة

المشرف العام والمدير المسؤول

د. وضاح الخطيب

المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

رئيس التحرير

د. نهاد جرد

د. إحسان هندي

أشهر شاعرات الحب في بلاد الشرق والغرب

(تراجم ومختارات شعرّية)

القسم الثانــي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشــق ٢٠١٢م

آفــاق ثقافيــة
العــدد (١١٣)
أيلول ٢٠١٢م

أشهر شاعرات الحب في بلاد الشرق والغرب: تـــراجم ومختارات شعرية / إحسان هندي - القـــسم الثـــاني - دمشق : الهيئة العامة الـــسورية للكتـــاب، ٢٠١٢م .- ١٩٢ ص؛ ٢٠ سم.

(آفاق ثقافية؛ ١١٣)

١- ٨٠٨,٨١ هـــ ن د أ   ٢- ٩٨٢ هـــ ن د أ
٣- العنوان   ٤- هندي   ٥- السلسلة
مكتبة الأسد

٥ - شاعرات كنديات

أولاً - مدجيه فيزينا (١٨٩٦ - ؟)

Medje Vesina

شاعرة كندية تكتب بالفرنسية، ولدت عام ١٨٩٦، وكانت أحد معالم الثقافة المتميزة في مقاطعة كيبك الكندية الناطقة بالفرنسية خلال النصف الأول من القرن العشرين.

أهم دواوينها الشعرية ظهر عام ١٩٣٤ ويحمل عنوان «لكل ساعة حكمها Chaque heure a son visage»، وقد اخترنا منه النصيين التاليين لترجمتهما إلى العربية:

لا تهمل رغبتي (Ne quitte pas mon desir)

«سأقول لك: (إن النهار الذي يبدو لك قد انتهى يختبئ في فرحي،

يختبئ في فرحي.وجسدي سيكشف لكَ
باقةً من الرغبات الراقصة كما العطر
الذي انصبّ عليه حلم نجمة)!
سأقول لك: (يا حبيبِي! ارتعدْ وابتسم
لرؤية الدموع تنزفُ من روحي المبهورة،
وكن مليئاً بالفخر من رؤية قلب يتعذب
ولا يجد طعماً للحياة خارجاً عنك!
إنَّكَ الشيء الجميل في حياتي والجنون والغناء،

عن قريب سأقضي على هذا الغناء
الذي لاتزال عيناك تبوح أحياناً بذكراه الأليمة)!
ثم سألفّ ذراعيّ حول عنقك
بحبّ كبير يجعلك تتأكد
من تمزّق كياني الذي يعشقك
ومن ذلك الحلم غير المتناهي
للقصيدة الجميلة التي سيغنيها قلبي
الذي سيخرّ (سيترامى) فجأة عند قدميك!»

حنان متفتح (Tendresses Decloses)

«لقد آن لروحي أن تتخلص من حنانك
وأن تحكّ عند قدميك الأحذية المتآكلة!
كفاني ارتجافاً عند ارتياد الطريق الذي يجرحك
وأن أكون دوماً السنبلة الهشّة والحصّاد معاً!
في ظروف الماضي كشفتُ لكَ عن آلامي
وتنهداتي اليوم لم تعد تخافُ النهار ولا الليالي
لأن دفقات الرغبة سوف تجري في عروقي
أكثر حرارة من أسراب العصافير!
إنّ الصمت يتثاقل على أصابعي كآنية ضخمة
وهاهو نبيذ الفرح يفيض من قلبي العاري
إلى فتية كما الفجر، كما عيد الربيع!
أنا هذيان ضخم، ولم أعد أعرف

لم أعد أعرف الكلمات التي يجب قولها
فكل شيء يكتم الصوت الخجول الذي ينبعث من قلبي.
لقد تألمت طويلاً وكان عليّ أن أبتسم
لأنني كنت مجنونة بالكبرياء ومجنونة بألمي أيضاً
كنت أتألم وكنتُ أؤمن بأن الله جعل الحياة كذلك
أؤمن بأنّ هذا هو قدري ولم أرتجف خوفاً أمامه
وكانت دموعي تبلل الخبز الذي أتناوله
دون أن أحلم بتغيير هذا الوضع، أو أن أصرخ طالبة الخلاص!
ماذا يهمّ الآن إذا كنتُ قد عدلتُ عن صمتي
أو أن أخبئ الحلم الذي يهاجم رأسي كل مساء
فكل التنازلات التي تجعلني أكره الأرض
تتكسر بين يديَّ كأنها حبّات من العنب الأسود!
آه أيها الغالي، سأكون عشيقتك الخالدة
لأن الأقدار القاهرة قد وجهّت خطانا
والآن يمكن ليديك أن تحطا كجناحين
على جسدي لتحرير ذراعي من قيدهما».

* * *

ثانياً - سيسل شابو (١٩٠٧ – ١٩٩٠)
Cecile Chabot

شاعرة ورسامة كندية من مقاطعة كيبيك الناطقة بالفرنسية. ولدت في مدينة (دومونتاني) عام ١٩٠٧، ودرست في مدرسة

«الفنون والصنائع»، ثم في «كلية الفنون الجميلة» بمدينة مونتريال بين ١٩٣٣ و ١٩٣٨. وكانت ترسم بذاتها اللوحات الخاصة بكتبها ودواوينها الشعرية مثل « Légendes Mystiques» عام ١٩٤٢، و«Conte des Rois» عام ١٩٤٤، و«الحصان الأخضر Le Cheval Vert» عام ١٩٦١.

وقدمت في هذه الفترة عدة نصوص للراديو والتلفزيون (راديو كندا) بين ١٩٤٢ و١٩٤٩، تمّ منحها جائزة «الجمعية الملكية الكندية» البرونزية على كتابها FÉERIES عام ١٩٦٤.

وأهم ديوان شعري لها هو «Vitrail: Poemes) الذي صدر عام ١٩٣٩، وفيه قصيدتها الرائعة «On ne m´ a jamais dit» التي نثبت ترجمة نصها الكامل هنا:

«لم يقل لي أحد مثل هذا أبداً» (On ne m´a jamais dit)

«لم يقل لي أحد أبداً ما يُقال للنساء الأخريات
مثل هذه الكلمات الحارة والراعشة التي تسحر الروح،
لم يُغنِّ لي أحد مثل هذه الألحان المجهولة
الخفيفة كما الريح، والقديمة بقدم العالم.
لم يقارن أحد بين لون عيني الواسعتين المفتوحتين
ولون الليل الحزين والعميق،
ولم يقل أحد إن شعري المتموج تحت وهج الأضواء
هو كالمرآة العاكسة لأشعة الشمس،
وإن جبهتي قُدّت من لوح جميل من المرمر،
وحاجبيَّ أشدّ سواداً من جناح الغراب

وفمي أحمر كحبّة من الكرز!
هل أنفي يوناني أم لاتيني
وهل قدماي كأقدام النساء النبيلات؟
هل عنقي طويل وجميل كعنق طائر التم؟
وهل يداي بنعومة المخمل؟
لم يقل لي هذا الكلام أي كائن من بني الإنسان
لم يردد على مسامعي أي كان
مثل هذه الأكاذيب البارعة
التي يفرضها الحب على الرجال
والتي تهمس بها القلوب فرحة
مع عدم إيمانها بها».

* * *

وتستحسن الإشارة هنا إلى وجود مرجع جيد عن هاتين الشاعرتين الكنديتين الناطقتين بالفرنسية وهو كتاب:

Guy Sylvester and H.Gordon – Green: «A.Century of Canadian Literature» - Ed. H.M.H. Montréal.

* * *

ثالثاً - مرغريت أتوود (١٩٣٩ - ؟)

Margaret Atwood

مرغريت آتوود هي شاعرة وقاصة وناقدة أدبية كندية، وكاتبة للأطفال باللغة الإنجليزية، تكتب بشكل خاص عن الطبيعة والإنسان أو بالأحرى عن سلوك الإنسان تجاه الطبيعة.

ولدت في مدينة أوتاوا عام ١٩٣٩، وكانت تقضي خلال طفولتها فصل الصيف في مقاطعة كيبك ولهذا أحبّت الطبيعة.

تخرجت من جامعة تورونتو وتأثرت بأسلوب الشاعر ويليام بليك.

كان أول دواوينها بعنوان «Double Persephone» عام ١٩٦١، ثم جاء بعده ديوان «The Circle game» عام ١٩٦٦، وقد حاز هذا الكتاب جائزة الحاكم العام لكندا لعام ١٩٦٧.

وآتوود مولعة باستخدام الأضداد في شعرها من نوع: subject + object/ self + other/ male + female/ nature + man.

وكان أهم الدواوين الشعرية التي نظمتها

1) Double Persephone (1961).
2) The circle game (1966).
3) The animals of that country (1986)
4) The journal of Susannah Moodie (1970).
5) Procedure for underground (1970).
6) Power politics (1970)
7) You are happy (1974).
8) Selected poems (1976).
9) Two headed poems (1978).
10) Selected poems 2 (1987).

وقد ألفت مرغريت آتوود عملاً نقدياً هاماً في الأدب تحت عنوان:

«Survival: A Thematic Guide to Canadian literature» (1968).

كما كتبت مع جورج أورويل مجموعة من القصص عام ١٩٨٤ تحت عنوان: «The handmaid Tales».

- **نص مختار**:

اخترنا لها قصيدة «كتاب الأجداد Book of Ancestors» وهاهي ترجمتها إلى العربية:

«إنَّ الرجال الذين يشبهون في رؤوسهم النسور
لم يعودوا يثيرون انتباهي
وكذلك الخنازير، وأولئك الذين يوسعهم الطيران
بأجنحة من الريش الملصق بالشمع

* * *

بوسعك أن تراقبهم في الأيام الحارة
عندما يذوبون ويتجزأون
ثم يسقطون
كما النوارس المريضة،
أو أجزاء الطائرة عند تحطمها.

* * *

أفتش بدلاً من هؤلاء عن رجال آخرين
عن رجل منسي
مثل ذلك الرجل الذي هرب
من كل هذه الأساطير بحياته الخاصة!
رجال مثل هذا لهم وجوه حقيقية وأيدٍ حقيقية أيضاً».

* * *

- **ومن شعرها العاطفي الحميم:**

كنا نلعق الثلج الذائب	We lick the melted snow
كلٌ منا عن فم الآخر	From each other´s mouths
وكنا نراقب الطيور	We see birds
كل أربعة معاً.	Four of them Together

* * *

٦- شاعرات من بقية أنحاء العالم الغربي

أولاً – روزاليناده كاسترو (١٨٣٧ – ١٨٨٥)

Rosalina de Castro

من أشهر شاعرات إسبانيا في القرن التاسع عشر. كانت تسكن في مقاطعة غاليكيا، ولكنها تزوجت من رجل أسكنها في مقاطعة قشتالة فلم ترق لها الحياة فيها، وأصبحت حياتها منذ ذلك الوقت كئيبة وحزينة.

وها هي ترجمة إحدى قصائدها إلى العربية علماً بأننا ترجمناها عن الإنجليزية وليس الإسبانية:

«لقد وُلِدْتُ في بلد الأزاهير
ولدتُ عندما كانت الحدائق تزهر
ليس أنعمَ منها في الصباح
صباح أحد أيام شهر نيسان الزرقاء

وقد تأكدت من أن سبب هذه الابتسامة الوحيدة
هي في الواقع أنني وردة شائكة بالنسبة للآخرين
ولكني لم أكن أملك أية شوكة بالنسبة لك!
عندما وقعتُ في حبك
شعرْتُ بشيء من واجب الشكر على ذلك
وقد ألقيتُ عندئذ بكل حياتي جانباً
معتقدة أنك بالنسبة لي كامل الأرض والسماء كذلك.
لماذا إذن هذه الشكوى المُرّة؟
لماذا تبدو لي النظرات الوالهة قليلة جداً؟
إذا كان موتي يجلب لك السعادة
فإن مثل هذا الأمر اعتدْتُ أن أفعله
بعد كل هذه الكلمات السيئة التي تقالُ حولي
الكلمات السيئة التي تطعن بسهامها!
إنني لم أعرف تماماً ماذا كنتَ تريد مني فعلاً
بعد أن أدخلتني في قلب تلك الحماقات.
إن كل ما لدّي قدمته لكَ
ألا يُقلل هذا من مقدار توقي إليك؟

* * *

وها أنا اليوم أرسل لك يا قلبي

بالدليل الوحيد الذي يثبت حقيقة
أنه لم يبق لدي أي شيء لكي أقدمه لك
أو أي شيء آخر يمكن أن تطلبه مني!».

* * *

ثانياً - الشاعرة النرويجية ماريا هَانْسِنْ (القرن XIX)

يقتضي واجب الأمانة العلمية أن نشير هنا إلى أن أغلب المعلومات التي سنوردها عن هذه الشاعرة وقصيدتها أيضاً، هي نقلاً عن كتاب السيد «إبراهيم المصري» (الحب عند شهيرات النساء) ولذا اقتضى التنويه.

هذه الشاعرة ولدت في قرية نائية من قرى النرويج حيث تتغلب تقاليد الفلاحين والمزارعين على أية تقاليد أخرى.

ولكن ماريا كانت ابنة مزارع ميسور الحال، لذا اقترح على ابنته بعدما أكملت تحصيلها الثانوي أن يرسلها إلى باريس، لدراسة الفرع الذي تريده، ولكن الفتاة كانت تحب قريتها والأرض الخضراء والطبيعة المحيطة بها وحياة الفلاحين البسطاء، ولذا اعتذرت عن الذهاب إلى باريس وانكبت بدلاً عن ذلك، على القراءة وقرض الشعر والتأمل في الكائنات الحية المحيطة بها من إنسان وحيوان ونبات.

وكان من المفروض طالما أنها آثرت البقاء في القرية أن تنتقي واحداً من أبنائها للزواج منه، ولكنها لم تجد بين شبّان القرية جميعاً من يحقق أحلامها.

كانت ترى في الحبّ شعوراً سامياً لا يصح النظر إليه إلا بقدسية وروح شفافة، لذا كانت تفتش عبثاً عمّن يشاركها هذه الأفكار فلا تجد.

لم يبقَ واحد من شبان القرية إلا وطلب يدها، أو خطب ودها على الأقل، ولكنها رفضتهم جميعاً.

وصمَّم الأب على استخدام صلاحياته عندما وجد أن قطار الزواج كاد يفوت ابنته، بينما كانت هي في انتظار المجهول، فأقسرها على القبول بخطبة شاب معين فقبلت ماريا الأمر على كره، وكانت تقضي معظم أيام الخطبة حزينة باكية بدلاً من أن تكون سعيدة مرحة، وفقدت جزءاً من صحتها وعافيتها، وبان الشحوب على وجهها حتى ظنت عجائز القرية أنها قد أصيبت بما كانوا يسمونه «داء العذارى».

وجاء الفرج للصبية من حادثتين وقعتا بشكل متزامن:

- الأولى هي أن الأب اكتشف أن خطيب ابنته شاب مخادع خطب فتاة من قرية أخرى، ثم بعد أن أغواها وحَمَلتْ منه هجرها وخَطَب ماريا.
- والثانية هي تعرُّف ماريا على المؤلف المسرحي النرويجي الشاب (هنريخ إبسن)، الذي وجدت فيه فتى أحلامها، والذي مضى عليها حوالي عشر سنوات تنتظر قدومه حتى ظهر في حياتها أخيراً.

حاولت ماريا تعويض ما فاتها وحرق المراحل، فدعته إلى منزلها وقدمته لوالدها وأفهمته بصريح العبارة أنها لا تمانع في الارتباط به كزوج.

ولكن إبسن كان قد ترك خلفه خطيبته في أوسلو، لذا استأذن ماريا بالسفر دون أن يعدها بشيء، ودون أن يقول لها كلمة عن الفتاة الأخرى.

والحقيقة أنَّ إبسن كان قد شعر بشيء من الميل نحو ماريا، ولكنه كان ينوي تسوية الأمر مع خطيبته قبل مفاتحة ماريا بالارتباط.

أما هذه الأخيرة فقد عاد إليها حزنها ومرضها بعد أن رحل عنها الشاب الوحيد الذي أحبته ورضيت به زوجاً. وعافت الأكل والشرب وبدأ ينتابها نوع من السعال شخّصه طبيب القرية بأنه «السل».

وكان من المأمول أن يعود إبسن إلى القرية للارتباط بماريا، ولكنه كان مشغولاً بعرض جديد لمسرحيته الشهيرة «بيت الدمية».

وعندما أنهى مشاغله وعاد إلى القرية كان سكانها لا يزالون في مأتم، يقيمون الحداد على ماريا، نوّارة قريتهم، التي اختطفها مرض السل قبل عدة أيام.

وكان بين الموجودات التي تركتها ماريا خلفها هذه القصيدة، التي طلبت إلى أبيها أن يُسلمها إلى هنريخ إبسن إذا أتى إلى القرية، أو أن يرسلها بالبريد إلى عنوانه في العاصمة. وتقول كلمات الأغنية:

«رأيته فجأة فاضطربت

كان يجب ألا أنظر إليه، أو أكترث به

أو أكون في تلك اللحظة واقفة في الطريق الذي مرّ به
ولكن ما حيلتي؟!
ــ كان بيته تجاه بيتي،
وقلبي تجاه قلبه،
ونفسي الحزينة ظمأى إلى الحياة!
ــ خاطبني فجأة ففرحت
كان يجب ألا أرد عليه
أو أحفل به
أو أدع روحي تسبح في رنة صوته
وغمغمة لهجته
ولكن ما حيلتي؟!
ــ كان فكري تجاه فكره
وحلمي تجاه حلمه
ونفسي الحزينة ظمأى إلى الحياة!
أحبّني فجأة فطربت
كان يجب ألا أصدقه
وألا أحبه
وألا أدع روحي تعبده
وتسبح ملهوفة في غمرة جماله ونشوة صباه
ولكن ما حيلتي؟!
ــ كان ضعفي تجاه قوته
وأنوثتي تجاه رجولته

ونفسي الحزينة ظمأى إلى الحياة
ـــ خدعني فجأة فذُهلت
كان يجب أن أبغضه، وأن أطرده،
أن أصبّ في قلبي دم الكرامة
وأُضرم في عروقي شعلة الكبرياء
ولكن ما حيلتي؟!
- كان وجهي تجاه وجهه،
وبصري تجاه حسنه،
ونفسي الحزينة ظمأى إلى الحياة!
- تركني فجأة فجننت
كان يجب أن أنساه وأمضي
أن أنساه وأفرح
أن أبادله غدراً بغدر
ولؤماً بلؤم،
وعاراً بعار
ولكن ما حيلتي؟!
- عذاب يلهب حبي
وحبي يلهب وفائي
ووفائي يُلهب أمري وصبري
وها أنذا في لوعة الأمل
وحرقة الصبر
ومرارة الانتظار

أبكي والهة ضيعة وفائي

وأسأل قلبي الحائر: متى .. متى يعود؟

* * *

ثالثاً – آدا نجري (١٨٧٠ – ١٩٤٥)
Ada Negri

شاعرة وقاصة إيطالية، ولدت في مدينة «لودي Lodi» من عائلة ميسورة الحال.

عملت في التعليم قبل أن تتزوج من رجل الصناعة الإيطالي «غارلاندا» في عام ١٨٩٦.

نشرت ديوانها الشعري الأول تحت عنوان «القدر Fatalita» عام ١٨٩٣، ثم أصدرت بعده ديوان «العاصفة Tempesta» عام ١٨٩٦، ونالت على هذين الديوانين عدة جوائز أدبية.

وهذان الديوانان يدعوان إلى الاشتراكية الثورية، ولكنها مالت بعدهما إلى الشعر الإنساني الرقيق في دواوينها الباقية وهي:

الأمومة	1) Maternita. 1904
من الأعماق	2) Dal Profondo. 1910
المنفي	3) Esilio. 1914
كتاب مارا	4) II Libro di Mara. 1919
أناشيد الجزيرة	5) I Canti dell Isola. 1925
الهبة	6) II Dono. 1936

وألفت آدا نجري رواية بعنوان «نجمة الصباح Stella Mattutina» عام ١٩٢١.

كما ترجمت رواية الكاتب الفرنسي الشهير مارسيل بريفو، «مانون ليسكو» من الفرنسية إلى الإيطالية.

وقد أهلّتها جملة أعمالها الأدبية هذه لأن تصبح عضواً في «الأكاديمية الإيطالية Accademia d'Italia» في عام ١٩٤٠.

- **قطعة مختارة:**

وها هي فيما يلي ترجمة قصيدة لها بعنوان «جنون الحب»:

«- سقطت الورقة على الأرض
وهزّت رجفة قلب الشجرة:
هو أنتَ من يدعوني؟
- أرى عيوناً خفية تخترق الظل
وتنفذ في جسدي كما تنفذ المسامير في حائط:
هو أنت من ينظر إليَّ؟
- أشعر بأيدٍ خفية تحطُ على كتفي
وتدفع بي نحو بئر ماؤها راكد:
هو أنت من يشتهيني؟
- الجنون يسري في سلسلة عظامي المُجلّدة
ويهزّها في رعدة صامتة
ويتصاعد إلى عقلي:
هو أنت من ينقذني؟
- لقد فارقت قدماي الأرض
ورفرف جسمي في الهواء
وطوّح بي دوارٌ مظلم
هو أنت من يحملني ويذهب بي؟

أهو أنت؟
أهو أنت؟

* * *

رابعاً – قصيدة شاعرة أرمنية مجهولة (القرن التاسع عشر)

تعرّض الشعب الأرمني خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لظروف صعبة اجتماعية واقتصادية وثقافية جعلت قسماً كبيراً من شبابه يهاجرون إلى خارج وطنهم. وبهذه الهجرة حُرمت كثير من الزوجات من أزواجهن، والبنات العاشقات من أحبائهن، وغنّى الكثير منهن الحبيب الغائب.

وهاهي فيما يلي قصيدة لشاعرة أرمنية مجهولة تبكي حبيبها الذي سافر «إلى ماوراء الجبال»:

«أتت مياه عكرة من سفوح الجبال
وهبّت رائحة دماء من ضفاف الأنهار،
لهذا أسْلَمْتُ حبيبي لطريق مليئة بالدروب الطويلة
وهاأنا أتألم بعد أن حرمني (فراقه) من استنشاق الجنة!

* * *

لم أتمتع بوجود حبيبي (آسْلي) فواأسفاه
لقد رحل (آسلي) ونسيني تماماً
ولم أسمع عنه شيئاً منذ رحيله
فيا لتعاستي!

* * *

أبي راعٍ للأغنام، وأخي يرعى الحِمْلان
أما أنا فأرسلت حبيبي إلى ما خلف هذه الجبال
إلى ما خلف هذه الجبال، وخلف هذه الصخور
وهاأنذا أُذْبحُ يومياً على دروب حبيبي الغائب!
الريح تعصف فوق البحر
صعدتُ إلى سطح بيتنا ونظرت
نظرتُ منه إلى وجه حبيبي الغائب
حبيبي الذي سحق روحي وجعلها رمادا»

* * *

خامساً - يوسانو آكيكو (١٨٧٨ – ١٩٤٢) (يابانية)

Yossano Akiko

شاعرة وقاصة وكاتبة يابانية، ولدت في بلدة «ساكاي»، جنوبي مدينة «أوساكا»، في عائلة من التجار الميسورين، وتعلقت بدراسة الأدب، وخاصة ذاك المسمى باليابانية «تانكا»، منذ نعومة أظفارها.

وفي عام ١٩٠١ سافرت إلى طوكيو وتزوجت من الناشر «يوسانو نيكهان»، الذي نشر لها في ذلك العام نفسه أول دواوينها الذي يحمل العنوان التالي باللفظ الياباني «Midaregami»، ومعناه بالإنجليزية «Tangled Hair»، أي «الشعر المتشابك»!

ومنذ العام ١٩٠٢ بدأت آكيكو تكتب في مجلة «ميوجو Myojo» التي كان يصدرها زوجها، وظلت تكتب فيها حتى عام ١٩٠٨.

وبالإضافة إلى كتاباتها الصحفية نشرت آكيكو ثمانية دواوين شعرية بين ١٩٠٢ و ١٩٤٢، كما كتبت بعض القصص القصيرة والمقالات كذلك.

وكانت أغلب أشعارها في الحب والعلاقات الإنسانية، وقد كتبت ضد الحرب منذ عام ١٩٣٧ وحتى توفيت عام ١٩٤٢.

وكما نوهنا أعلاه فإن الشكل الذي اعتمدته آكيكو لقصائدها هو الشكل المسمى باليابانية «تانكا»، حيث تتكون القصيدة من مقاطع يحوي كل منها خمسة أبيات.

وتتحدث في ديوانها الأول عن تجربتها الأولى في الحب، الحب بشقيه العاطفي والجسدي.

وأما في ديوانيها التاليين أي:

- Shundeish (Spring thaw دفء الربيع)
- Hi no tori (Fire Bird عصفور النار)

فهي تتحدث عن أمور إنسانية واجتماعية أكثر عمومية.

وبعد ذلك غيرت آكيكو اتجاهها الشعري سواء من حيث الشكل أم من حيث المضمون:

- فمن حيث الشكل نجدها تميل إلى تبني الحداثة، ونلاحظ هذا في ديوانها الموسوم «Shintaishi» ومعناه بالإنجليزية «Modern style poems» أي «قصائد من الطراز الحديث».

- ومن حيث المضمون نجدها تقتحم مواضيع جديدة، وخاصة الوقوف في وجه الحروب التي بدأت اليابان تشنها ضد جيرانها منذ عام ١٩٣٣، ونجد هذا الاتجاه واضحاً في ديوانها

«Kimi shinitamo koto nakare» أي بالإنجليزية « Beloved do not die» والمعنى بالعربية «لا تذهب إلى الموت أيها الحبيب»، سواء أكان هذا الحبيب أخاً أم خطيباً أم صديقاً حميماً.

- قطعتان مختارتان:

وهاهي فيمايلي الترجمة العربية لقصيدتين من دواوين مختلفين ليوسانو آكيكو:

قصيدة من ديوان «الشعر المتشابك»

«طرقتُ باب الأسرار بهدوء
وأنا أعتصر نهديّ بيديّ الاثنتين
وعندها شاهدت زهرة تتفتح هناك
وكان لونها القرمزي يلمع بشكل لافت!

* * *

كانت أصابعي الصغيرة الشابة
يتلاشى لونها حتى البياض
وكنت أتحاشى تلك اللحظة
الباردة من شفق المساء
كبرعم من زهرة المانوليا.

* * *

كان فصل الربيع الصافي في داخلي
يتناثر ويفيض ويصبح موحلاً
إنّك طفل من أطفال الخطيئة

وأنا كذلك».

* * *

«لا تُضحِّ بحياتك يا أخي»

«آه يا أخي، إنني أبكي من أجلك
لا تُضحِّ بحياتك عبثاً
وابقَ بيننا، أنت المولود بيننا
وأنت المحبوبُ أكثر من غيره بين أهلنا.
هل علّموك كيف تمسك بالحسام
وهل علموك كيف تقتلُ؟
وهل هم الذين ربّوك حتى سن الرابعة والعشرين
لكي تقتل ولكي تموت؟

* * *

أنت وارث اسم عائلتنا
وستكون أنت السيد فيها
ستكبر في السن، وسيتشرف بك اسم ساكاي
أخي! لا تُضحِّ بحياتك
فماذا يعني لك أن تسقط قلعة بورت آرثر أم لا!
إن قانون البيوتات التجارية الكبرى
لم يقل شيئاً عن هذا.

* * *

أخي، لا تضحِّ بحياتك يا أخي
فإن جلالة الإمبراطور

لن يشترك بنفسه في المعركة
فهل هو يعتقد، في قلبه النبيل
بأنه شرفٌ للرجال أن يفعلوا ذلك:
أن يبصق الواحد ثم الآخر دمه
ويموت مثل الحيوانات؟
آه يا أخي، لا تُضحِّ بروحك في هذه المعركة
فكِّر في أمّنا التي فقدت أبانا في فصل الخريف الماضي
وفي حزنها وشعورها بالوحدة في منزلنا
منذ أن سحبوك للخدمة العسكرية.
وحتى في هذا الوقت الذي نسمع فيه عن السلم
في هذا العهد الإمبراطوري العظيم،
فإن شعرها (شعر أمك) لا يكف
عن ازدياد الشيب فيه مع الأيام!

* * *

ثم هل فَكرْتَ بعروسك التي تزوجت منها حديثاً،
التي لاتكف عن البكاء خلف ستائر الحانوت
وهي تعاني من وحدتها،
أم أنك قد نسيتها؟
لقد عشتما أنتما الاثنين
ليس أكثر من عشرة أشهر معاً قبل الفراق،
فكيف ستشعر هي في قلبها الأنثوي الشاب؟

على من غيرك هي ستعتمد في هذا العالم؟
أخي، لا تُضحِّ بحياتك».

* * *

سادساً- غابرييلا ميسترال (١٨٨٩–١٩٥٧) (تشيلية):
Gabriela Mistral

اسمها الحقيقي لوسيلا غودوا إي آلكاييفا، نسبة إلى والدها جيرونيمو غودوا، ووالدتها بترونيلا آلكاييفا، وكان الوالدان متعلمين ومثقفين ولكن من عائلتين فقيرتين، وكانت ولادة لوسيلا في قرية «إلكي/ دولة التشيلي» يوم السابع من نيسان ١٨٨٩ مع تباشير الربيع. ولكن قدوم الطفلة لم يحمل أي ربيع إلى العائلة، حيث هجر الوالد المنزل الزوجي عام ١٨٩١ قبل أن تبلغ لوسيلا الثالثة من عمرها.

واضطرت الأم للعمل في مهنة بسيطة والاستعانة بأهلها في سبيل تأمين مرحلة التعليم الأساسي لأبنائها.

كما اضطرت لوسيلا والحالة هذه لأن تكتفي بالشهادة الثانوية وتعمل معلمة في إحدى المدارس الابتدائية لكي تعيل أسرتها مادياً.

وفي عام ١٩١٠ تعرّفت لوسيلا إلى شاب مثقف وارتبطت به عاطفياً، ولكن هذا الارتباط لم يحل بينه وبين الانتحار، فحزنت عليه لوسيلا حزناً شديداً، وبدأت تنظم الشعر في ذكراه، ويمكن القول هنا إن أغلب القصائد التي ضمها ديوانها الأول في عام ١٩١٤، وهو الذي يحمل عنوان «أناشيد الموت Sonestas de la Muerte»، هي من وحي علاقتها بهذا الشاب في أثناء حياته وبعد انتحاره.

وقد تبنى هذا الديوان قسم اللغة الإسبانية في جامعة كولومبيا (نيويورك)، وتم طبعه على حسابه في ذلك العام نفسه (١٩١٤) ليكون مرجعاً بين أيدي طلاب القسم.

وبما أن لوسيلا كانت مُدّرسة تعمل في تربية الأجيال الصاعدة، كانت واجباتها الوظيفية تمنعها من نشر قصائد الحب باسمها الحقيقي، وبخاصة لأنّها غير متزوجة بعد، ولذا اختارت اسماً مستعاراً لها لتوقيع القصائد التي تكتبها أو تنشرها بعدئذ، وكان هذا الاســـم هو «غابرييلا ميسترال»، علماً بأنها اشتقته من اسم الشاعر والمسرحي الإيطالي غابرييل دانونزيو، والشاعر الفرنسي فريدريك ميسترال، لأنها كانت معجبة بشعر الاثنين معاً.

وخلال الفترة الممتدة بين ١٩١٤ و ١٩٢٢ تابعت غابرييلا مسترال عملها الوظيفي معلمةً في مدرسة إعدادية، حتى تم نقلها في عام ١٩٢٣ إلى «ثانوية البنات Liceo de senoritas» في العاصمة سانتياغو، ثم جرت إعارتها إلى الحكومة المكسيكية حيث عملت مستشارة للتعليم الريفي، ثم عملت أستاذة زائرة في كلية بيدلبورد الجامعية (ولاية فيرمونت الأمريكية)، وفي كلية بارنارد في مانهاتن، ثم أستاذة للأدب الإسباني في جامعة بورتوريكو.

وقد ارتأت الحكومة التشيلية أن تستفيد من سمعة غابرييلا ميسترال الأدبية دولياً في المجال الديبلوماسي، فعيّنتها ضمن أعضاء وفدها في مجلس (عصبة الأمم S.D.N)، ثم مندوبة عن

دولة تشيلي في (لجنة التوجيه) التابعة لهيئة الأمم المتحدة بعد إنشاء هذه الأخيرة عام ١٩٤٥.

وعملت غابرييلا ميسترال بعد ذلك في قنصليات وسفارات دولة تشيلي في عدة بلدان أوروبية وأمريكية (إسبانيا، فرنسا، سويسرا، إيطاليا، المكسيك، البرازيل...). ونالت في هذه الفترة جائزة نوبل للآداب عن جملة مؤلفاتها الأدبية، فبلغت بذلك أقصى ما يتمناه أديب أو شاعر من حيث الاعتراف بأدبه ليس على المستوى الداخلي أو الإقليمي فقط، وإنما على المستوى العالمي أيضاً.

ولكن الحياة السعيدة غالباً ما تتخلى عن المبدعين في أواخر حياتهم، حيث أصيبت غابريلا بداء السرطان سنة ١٩٥٣، وأقامت في الولايات المتحدة لمعالجته إلى أن تمكن هذا الداء منها وقادها إلى النهاية المحتومة عندما كانت نزيلة في مشافي هابستيد (ولاية نيويورك) يوم ١٠ كانون الثاني ١٩٥٧.

وعندما علمت الحكومة التشيلية بالنبأ أعلنت الحداد عليها لمدة ثلاثة أيام، ورثاها خلالها شاعر التشيلي الكبير بابلو نيرودا، كما تم تخصيص عدة منح أدبية وثقافية باسمها لتخليد ذكراها.

قصائد مختارة من نظم غابرييلا ميسترال

القصيدة الأولى من ديوانها «Desolacion»، وهي تطالب فيها بحق الأمومة لكل أنثى سواء أكانت متزوجة بعقد رسمي أم لا:

«وَلد، وَلد، وَلد، لقد أردْتُ ولداً منك ومني،

في تلك الفترة من أيام سعادتنا الملتهبة
عندما كانت عظام جسدي يمكن أن ترتعد
لمجرد سماعي همسة منك
وأهدابي يمكن أن تحمر خجلاً
في حالة وجود أية غشاوة مشرقة.

* * *

قلت أريد ولداً كما الشجرة في فصل الربيع
حينما تمدّ أغصانها بشوق نحو السماء،
أريد ولداً ذا سحنة بريئة وفم يدلّ على القلق والتساؤل
بعينين واسعتين كأنهما بِلون الكريستال!

* * *

ذراعاه حين تلتفان حول عنقي كإكليل من الزهور
ونهر حياتي الخصيبة يتعلق بكلمة من فمه،
ينطلق عطر وينشر رائحته الطيبة!

* * *

نتأمل مرور سيدة ضخمة الجسم وبرفقتها طفل
شفتاه ترتعدان وعيناه تتمتمان بصلاة
عندما نكون في حب عميق ونمرّ في حشود الناس
تستوقف انتباهنا دوماً
العينان الجميلتان لطفل بين المارة».

* * *

وهاهي بضعة أبيات من قصيدة لها تحمل بالإنكليزية عنوان «لقد أراد الله ذلك God wills it» وهي بدورها من ديوان «Desolacion»:

«ستكون الأرض أُمّاً كارهة
إذا تخلت روحك عن روحي
والماء سيرتعد في مجراه من فرط الألم
لقد أصبح العالم أكثرَ جمالاً
منذُ أن جعلتني لكَ،
ولكن عندما وقفنا صامتين قرب إحدى الشجيرات الشائكة
أصبح الحب كما الشوك يخذنا بعطره الفواح».

* * *

سابعاً – آنا أخماتوفا (١٨٨٨ – ١٩٦٦) (روسية) (Anna Akhmatova)

- **حياتها** :

اسمها الحقيقي (آنا أندرييفنا غورنكو)، وهي من أهم الشواعِر (الشاعرات) الروسيات في القرن العشرين، إلى حد جعل بعض النقاد يطلقون عليها لقب (سافو روسيا).

ولدت آنا يوم ١١ حزيران ١٨٨٨ في مدينة أوديسا، على ساحل البحر الأسود، حيث كان والدها مهندساً بحرياً متقاعداً، وقد انتقل مع عائلته في السنة التالية لولادة آنا، إلى بلدة صغيرة من ضواحي سان بطرسبورغ (لينينغراد).

وفي عام ١٩٠٥، حين كانت آنا في السابعة عشرة، انفصل الأب عن الأم، فأخذت هذه أولادها جنوباً إلى منزل عائلتها في بلدة (إيفباتوريا) حيث أتمت آنا دراستها الثانوية في مدينة (فونكيف)، ثم عادت بعدها إلى سان بطرسبورغ لدراسة الأدب في جامعتها.

وكانت آنا قد بدأت بكتابة الشعر في سن العاشرة، ثم في عام ١٩٠٧ التقت بالشاعر (نيكولاي غوميليوف)، الذي نشر لها أول قصائدها في مجلته الأدبية «سيريوس Sirius»، ثم تزوج منها عام ١٩١٠ وأنجبا ولدهما الوحيد «ليف Lev» عام ١٩١٢.

في هذه السنة نفسها نشرت آنا ديوان شعرها الأول ويحمل عنوان «المساء Vecher».

وقد دامت الحياة الزوجية بين هذين الشاعرين الشابين عدة سنوات فقط، حيث تم تجنيد الزوج عند نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

وعندما اندلعت ثورة أكتوبر البلشفية عام ١٩١٧ عارضها غوميليوف بشدة، فتم نفيه إلى العمل الإجباري في سيبيريا، وحاول هناك القيام بعدة حركات تمرد انتهت إلى إعدامه عام ١٩٢١!

وحاولت آنا أخماتوفا الابتعاد عن الشعر السياسي لئلا تضر بمصلحة ابنها «ليف» ومستقبله في العهد السوفييتي الجديد، فانصرفت إلى دراسة أعمال شاعر روسيا العظيم ألكسندر بوشكين، ولكن هذا لم يحل دون منع بعض أعمالها الأدبية والشعرية في

أراضي الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٢٥، والتعتيم على الأعمال التي تُنشر لها باللغات الأجنبية خارج أراضي الاتحاد.

ولم يكتفِ العهد الستاليني بذلك بل زاد في ضغطه على أخماتوفا بالقبض على ابنها ليف ونفيه إلى سيبيريا من جهة، وبإسقاط عضويتها في (اتحاد الكتاب السوفييت) عام ١٩٤٦ من جهة ثانية.

ولكن السلطات الروسية عادت للتعامل معها، وخففت الرقابة عنها وعن مؤلفاتها، بعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣، ثم رُدّ اعتبارها إليها، وتم قبولها في عضوية (اتحاد الكتاب السوفييت) من جديد.

وفي المدة الفاصلة بين ١٩٥٥ و١٩٦٥ كان العهد الذهبي لانتشار أعمال آنا أخماتوفا الأدبية داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه.

كما ترجَمَتْ آنا بالمقابل في هذه الفترة أعمال عدد من الشعراء الأجانب إلى اللغة الروسية، وعلى رأسهم الشاعر الفرنسي فيكتور هوغو، والإيطالي جياكومو ليوباردي، والهندي رابندرانات طاغور.

وتوفيت أخماتوفا في بلدة (دومودیفوردو) قرب مدينة موسكو يوم الخامس من آذار ١٩٦٦.

شعرها:

يتصف شعر آنا أخماتوفا بالواقعية والاستعارات الغريبة والجريئة، مما دعا إلى منع بعض قصائدها من قبل السلطات السوفييتية طيلة العهد الستاليني (١٩٢٣ – ١٩٥٣).

وقد كتب عنها الناقد الأمريكي سام درايفر: «إن أهمية الحِراك الذي أحدثه شعر أخماتوفا ناجم بالدقة عن درجة التوتر الذي كان قائماً بين محاولة احترامها للنظام القائم من جهة، ولنماذج الأصوات والأفكار التي كانت تعتمل في داخلها من جهة ثانية».

وقد تأثرت أعمال أخماتوفا بالمدرسة الرمزية Symbolisme، ولذلك نلاحظ أنها لا تعبر عن مشاعرها بصريح العبارة، ولكن من خلال المواقف والمشاهد والصور الشعرية المنتقاة بعناية.

وعموماً فإن دواوينها الثلاثة الأولى التي نظمتها ونشرتها بين ١٩١٤ و١٩٢٧ مليئة بالحب وأحزان الحب وخاصة بعد فُجعت بزوجها ثم بابنها، وبمحاربة السلطات الرسمية لها حيث لم يعرف العالم الخارجي شعر أخماتوفا بشكل جيد إلا بعد ١٩٦٥.

كما تمّت ترجمة بعض دواوينها إلى الإنكليزية مثل ديوانها (Poema bez geroya)، الذي نشرت ترجمته بالإنكليزية تحت عنوان (Poem without a hero, 1973)، أي (قصيدة بدون بطل).

وأفضل دراسة ظهرت عن شعر أخماتوفا بالإنكليزية هي الكتاب الذي نشره ماكس هايوارد وستانلي كونتيز عام ١٩٩٢.

مختارات من شعر أخماتوفا

نقدم لها فيما يلي ترجمة لقصيدتين:

- **قصيدة ديوانها الأولى «المساء Vecher»**:

«إن ذكرى الشمس تتلاشى في القلب

والعشبُ يصبح أقل خضرة
وطبقات الثلج المبكرة
سرعان ما تؤطرها الريح
فيذوب أغلبها!

* * *

قنوات الماء الضيقة
تقلّ غزارتها الآن
والماء الجاري يزداد سمَكُهُ
آه، لاشيء يحدث هنا
لا شيء يحدث بعد الآن!
وفي السماء الخاوية
هناك شجرة صفصاف تبسط أغصانها على شكل مروحة
ويبدو لي هنا أنه من الأفضل لنا
أني لم أصبح زوجة لك!

* * *

إنَّ ذكرى الشمس تتلاشى في القلب
ماذا إذن؟ حلّ الظلام
وبعد مدة لا تتجاوز ليلة واحدة فقط
سيأتي الشتاء».

* * *

- قلبي سيزيد في عدد دقاته:

«قلبي سيزداد عدد دقاته دون أن أتمكن من مساعدته
وخطواتي كذلك تبدو خفيفة على الأرض
ونتيجة للقلق الذي وقعتُ فيه
ارتديت قفاز يدي اليسرى باليمنى!

* * *

هناك كما يبدو العديد من الخطى
بالرغم من أنني كنت أعلم مسبقاً
أنه ليس هناك إلا ثلاث،
وأنفاس الخريف التي تتخلل شجر القبقب
يبدو أنها كانت تهمس لي: «مُوتي معي»!

* * *

لقد خيّب القدرُ أملي
حيث لم يحمل لي الثقة ولا الندم
وأجبت هامسة:
«وأنا كذلك سأموت معك»!

* * *

هذه هي أغنية لقائنا الأخير
ألقيتُ نظرة خاطفة على المنزل ليلاً
أنوار غرفة النوم وحدها كانت هي المُضاءة
بضوء أصفر باهت».

- **أعمال آنا أخماتوفا:**

1) Vecher (Evening), 1914.
2) Anno domini mcmxxI, 1921.
3) Podorozhnic (plnntins) 1921.
4) U samovo moria, 1921.
5) Forty seven love songs, 1927.
6) Izchesti knig (from sik books) 1940.
7) Izbranni stickin. 1943.
8) Tashkentiski. stickhi, 1944.
9) Stikhotvorenia, 1909- 1957.
10) Stickhi 1909 – 1960.
11) Collected poems.1910 – 1963.
12) Poeziya (Poetry).1964.
13) Beg vremeni. 1965.
14) Selected poems 1969.
15) Way of all the earth 1975.
16) Poema beg geroya 1960.

وقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنكليزية عام ١٩٧٣ تحت عنوان: (Poem without a hero) كما نوهنا أعلاه.

* * *

ثامناً - ماريا جاغر:

Maria Jager

شاعرة ألمانية من شاعرات القرن التاسع عشر، ترجمت لها الشاعرة الأمريكية غريس فيلونورتون قصيدة بعنوان «أيها العالم لا تكن جميلاً جداً» إلى الإنجليزية، وقد ترجمناها نحن من الإنجليزية إلى العربية:

Oh world! Be not so Fair

«أيها العالم، لا تكن جميلاً جداً!

أيها القمر ذو الضوء الذهبي العالي

أيها الليل، لا تكن جميلاً جداً.

وأنتِ أيتها النجوم العزيزة،

لا تضيئي لنا بكل هذا البريق.

يجب أن أتهيأ للنوم

فعيناي تغمضان بإرهاق

بعد أن شاهدتا غروب النهار البطيء،

ومع هذا يبدو أنه لا راحة لي

في هذه الليلة السحرية!

* * *

أيّها الرجال الأصدقاء، لا تكونوا طيبين تماماً

وأنتَ أيها العالم لاتكن جميلاً جداً

لا توقظ أية حياة متجددة في دمي

فأنا أتهيأ للنوم

لأن نهاري مظلم في الوقت الذي يجب أن يكون هنا ضياء
ضياء نجمة تسطع في منطقة أخرى،
وبالرغم من ذلك، ومن كل ذلك
فإن قلبي لا يزال هنا.
أيها العالم، لاتكن جميلاً جداً».

* * *

تاسعاً - مارينا زوغروفو:

Marina Zogrofou

شاعرة شابة يونانية معاصرة، لا تزال على قيد الحياة عند كتابة هذه السطور (آب ٢٠١٠).

لا نعرف عن حياتها الشيء الكثير ولكنَّ أقوال أغلبية النقاد الأدبيين تجمع على أنها تُبشر بمستقبل واعد في مجال الشعر الفلسفي بشكل عام.

كَتَبَ عنها (م. ك. غوبيناتان M.K. Gopinathan) مثلاً: «إن بعض أبيات مارينا تبقى في ذاكرتنا دوماً. ليس هناك من شاعر معاصر كتب مثل هذه الأبيات. مَنْ غير مارينا بوسعه أن يكتب أبياتاً جميلة كهذه؟ إنها تريد أن تقدم لنا الحاضر والمستقبل على ضوء نماذج من الماضي. إنَّ عقل مارينا زوغروفو يتأمل العبقرية عبر ظلال الماضي كما تتطلع العين البصيرة إلى شعاع الشمس حين يخرق الظلمة المصطنعة».

وهاهي بعض المقتطفات من نِتاج مارينا حيث يمتزج الحب بالفلسفة:

- «أنا كما الطفل
أحب أن أحطم دميتي ثانية»!
- «أحب أن أمتص
كل الأوكسجين
المتوفر في يومي هذا».
- «الخطوط الحديدية تجتاز
جسوراً ضعيفة أحياناً
ولكن رائعة».
- «إنَّ سيدة ما (ليدي)
يمكنها أن تُجسد حواء، ولكن الرجل الذي يجسد آدم
غائب عن الساحة اليوم».
- «أنا اليوم أريد
أن أعزف على قيثارتي
بشكل مختلف».
- «إن ظلال المكر والخديعة
لا يمكنها أن تغطي شعاع الحب».
- «أعطني يا إلهي تاج البراءة
وماء نبع النخبة المصطفاة
وكل شيء سيولد عندها من جديد».
- «وعندما سيحين الوقت
كل شيء سيعود ملكاً لنا من جديد».
- «إن الحب واللطف يجتمعان

حينما تحاول القُبلة أن تطرد الأكاذيب».

- «إذا أردت أن تبني في العالم
أكروبولاً للحب
فلا تصرخ شاكياً الألم».

- «لم يكن لدينا كاميرا
لكي نكرّس صورة الماضي
في عيون المستقبل».

- «امتطيت السماء
كما الغيمة، بشعري الطويل».

- «هناك مكان للجميع
فتعالوا إلى قلبي
أيتها الطيور البيضاء
وأيها الصيّادون»

- «طالما أن الموت لا ينتهي
فإن الأرواح بدورها لن تموت».

* * *

عاشراً - جوديث رَايتْ (١٩١٥ - ؟) (أسترالية).

Judith Wright

حياتها:

ولدت جوديث رايت عام ١٩١٥ ضمن مزرعة لتربية الأغنام كان والدها يملكها في قرية «والامومبي»، ضمن مقاطعة نيوساوث ويلز في أستراليا.

أتمت دراستها الابتدائية في مدرسة القرية، وعندما أنهت دراستها فيها - وكانت قد بلغت الثالثة عشرة من عمرها - أُرسلت إلى مدرسة داخلية، وبعدها، التحقت بجامعة سيدني لإتمام دراستها الجامعية.

وفي أربعينات القرن الماضي تم تعيينها مُدّرسة في جامعة «كوينسلاند» ضمن مدينة «بريسبان»، حيث بدأت تنشر بعض قصائدها في مجلة «ساوثرلي Southerly»، وفي بعض الدوريات الأخرى، وعندما أصبح لديها عدد كاف من القصائد جمعتها وأصدرتها في ديوانها الأول «الصورة المتغيرة The Moving Image» عام ١٩٤٦.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وذيولها التقت بالفيلسوف جاك ماك كيني فأحبته وتزوجته وأنجبت منه ابنتها ميريديث، وقد كانت تجربتها العاطفية والزوجية معه غنية وناجحة، وعبّرت عنها في ديوانها الثاني «امرأة لرجل Woman to Man» عام ١٩٤٩.

وبعد أن توفي زوجها في عام ١٩٦٦ كرّست نفسها لخدمة القضايا الإنسانية والبيئية مثل قضايا السكان الأصليين في أستراليا (Aborigins)، والحفاظ على البيئة الأصلية لهؤلاء السكان، وحماية البيئة بشكل عام.

كما دافعت عن بعض القضايا الأدبية وخاصة الشعر، حيث طالبت بتعليمه للطلاب لأنه يساعد في خلق الثقة والترابط الاجتماعي فيما بينهم، ويقول أحد النقاد الأدبيين في ذلك:

«For wright Poetry is a means of regaining faith in man as well as a way of finding a diffcult balance between internal and external reality».

والمعنى بالعربية: «إن الشعر – كما تراه جوديث رايت - هو وسيلة لاستعادة الثقة بالإنسان، بمثل ما هو كذلك طريق لإيجاد تلك الموازنة الصعبة بين الحقائق الداخلية والحقائق الخارجية».

هذا ومن الوقائع التي أغنت تجربة جوديث رايت الشعرية رحلتها الثقافية إلى أوروبا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥)، ثم زواجها (١٩٤٧).

شـــعرها:

يجمع النقاد على أنَّ جوديث رايت تُزاوج في شعرها بين الشعر الأسترالي الحديث والشعر الأوروبي القديم، ولذا جاءت أبياتها الشعرية مكثفة يتبين فيها بوضوح ذكاؤها اللماح وحيويتها المتدفقـــة.

وبعد ديوانها الأول «الصورة المتغيرة The Moving Image»، وديوانها الثاني «امرأة لرجل Woman to man»، أصدرت جوديث ديوانها الثالث «البوابة The Gateway»، الذي يظهر فيه تأثير الشاعرين وليام بليك وَ ت.س. إليوت. ثم ديوانها الرابع «النارانThe Two Fires »، ويظهر فيه التناقض الهائل الذي يعيشه الإنسان بين الحب وعصر الذرة، وهي ترى أنه لاخلاص للإنسان إلا بالتواصل مع أخيه الإنسان.

وقد استخدمت جوديث رايت الرمزية في النصف الأخير من حياتها الشعرية، وكرّست في قصائدها «الشجرة Tree» كرمز للعطاء والحياة المتجددة، ويبدو هذا بشكل خاص من خلال قصيدتها «الرجل من خلال الشجرة The Man Beneath the Tree». التي نورد فيما يلي ترجمتها إلى العربية:

«لا شيء بعيد مثل الحقيقة
ولكن لا شيء أسهلُ من رؤيتها
انظر إلى المكان الذي يلتقي فيه الضوء بالأرض
عبر الأوراق الخضراء لإحدى الأشجار!

*   *   *

آه أيها الحب وأيتها الحقيقة يجب أن ألتقي بكما
ولكن في أي مكان يجب أن يتم تعارفنا؟
بين قبّعتك وموطئ قدميك
غنّى العصفور في قمة الشجرة».

*   *   *

- **قصيدة (امرأة لرجل Woman to Man)**

«ذلك المُزارع الكفيف خلال ظلمة الليل
وتلك البذرة التي لا شكل لها
والتي كنت أحتفظ بها في جسدي
عملا معاً من أجل يوم الانبعاث (الولادة)
عملا بصمت ومهارة وعلى عمق
لا يمكن للعين أن تراه!

*   *   *

لا يمكن لطفل أن يشبه وجه طفلنا العتيد
وليس له اسم يمكن أن نناديه به
ومع هذا فأنت وأنا نعرفه جيداً
لأنه طريدتنا وصيّادنا في الوقت نفسه،
وهاهو ثالثنا في كل مرة نتعانق بها؟

* * *

إنه القوة التي يعرفها ذراعك
وقطعة اللحم التي يعرفها صدري
والحدقة الزجاجية في عَيْنينا.
إنه تلك الشجرة من الدم التي تنمو
وتلك الوردة التي تتفتح.

* * *

إنَّه الكائن الصانع والمصنوع
إنه السؤال والجواب
والرأس الكفيف الذي يتخبط في الظلمة.
إنه لهيب النور الذي يتجمع حول النصل
آه، أمسك بي فإنني خائفة»!

* * *

- **وفي مقطع آخر من قصيدة «البوابة The Gate way»**
تقول عن علاقة المرأة بالرجل:
«أيها الأســـد
دع عينيك الزائغتين

تتصبان عليّ
انظر إلى ما بعد الجسد لترى
أنه هناك ما هو باق ليموت».

*   *   *

- جملة إنتاج جويث رايت الشعري:

أصدرت جوديث رايت خلال أربعين سنة، بين ١٩٤٥ – ١٩٨٥، الدواوين الأربعة عشر التالية، وهاهي تسمياتها باللغة الإنجليزية:

1- The moving image, 1946.

2- Woman to man 1949.

3- The Gateway, 1953.

4- The two fires, 1959.

5- Birds, 1962.

6- Five Senses: selected poems, 1963.

7- Judith Wright: selected poems 1963.

8- City sunrise, 1964.

9- The other half, 1966.

10- Collected poems, 1942 – 1970 – 1971.

11- Alive: poems. 1971 – 1972 – 1973.

12- Fourth quarter and other poems, 1976.

13- The double tree: selected poems 1942 – 1976 – 1987.

14- phantom dwelling, 1985.

*   *   *

أحد عشر – كارين بوي:

Karin Boye

شاعرة سويدية معاصرة، تحاول أن تزاوج في قصائدها بين الحلم والواقع الذي تعيشه، ولا أدلّ على أسلوبها هذا من هذه القصيدة التي تحمل عنوان «حَلُمْتُ»:

«لقد حلمتُ في هذه الليلة بسيف
حلمتُ في هذه الليلة بمعركة
حلمتُ في هذه الليلة بأني حاربت إلى جوارك
بلأمة ومنعة

* * *

انسكب الضياء من يدك
وهوى الجبّار صريعاً تحت قدميك
والتأمت جماعتنا مزهوة شادية
في وعيد الظلمات الصامت.

* * *

حلمتُ في هذه الليلة بدم
حلمتْ في هذه الليلة بموت
حلمتُ في هذه الليلة بأني هويتُ إلى جوارك
دامية الفؤاد حتى الموت.

* * *

لكأني بك لم تلحظ حتى أني هويت

إذ كان ثغرك قاسياً
فتناولت درعك بجمع يدك
ومضيتَ قُدماً لا تلوي على شيء.
* * *
حلمتُ في هذه الليلة بنار
حلمتُ في هذه الليلة بأزاهير
حلمتُ بأن موتي بهيٌّ طيب
هكذا حلمتُ في هذه الليلة
تلكَ خطوة أخطوها إليك
لأنتَ تبعث روحي
في نشوة أحاسيسي.
لأنتَ ملامسة الريح المختومة كأنها لهب
يحكي خضّماً بلورياً
لأنتِ فوق ناظري
فقد أعدت إليّ مضائي
بحنان، بائتلاف الألوان
ميتاً في المجد والنشوة.
لأنتَ عنفوان إرادتي
التي تهب لي القوة
على الترقب والفعل
اللذين لم أعهدهما فيّ
وحتى جوع أحاسيسي

الذي يُنهكني ويغيظني
ما كان إلا لكي يُعنى بك
ويهشُّ لكَ كل يوم

* * *

لأنتَ النضج في حياتي
لأنتَ الكمال
اللذان ينقلعان من ماضيّ فيلتئمان
في كل عرق وفي كل فلذة.

* * *

إلا أنني قد سْرتُ على مائة درب متباينة
فتعثرت خطاي
وهاهي ذي دروبي
تلتقي فأخطو إليك
بعد أن دبّتْ فيّ الحياة

* * *

اثنا عشر - سايِّما هارمايا (١٩١٣ – ١٩٣٧)

Saima harmaia

شاعرة فنلندية ماتت شابة، حيث لم تكن بلغت الخامسة والعشرين حين فارقت الحياة، ويظهر أنها كانت مريضة بداء عضال وتعرف أنها مقبلة على الموت، حيث إن جميع القصائد التي نظمتها فيها ذكر للموت بشكل أو بآخر.

نالت في عام ١٩٣٦، أي قبل أن تموت بعام واحد، جائزة الدولة لرابطة الأدباء الفنلنديين، وتركت مذكرات شخصية مؤثرة عند موتها.

اخترنا لها هذه القصيدة نموذجاً لشعرها:

ثمّة بلـــد:

«ليس في مقدورك اتهامي
بأني أحترق إذا ما كنت لهيباً
فليس إلا حين يستعر طين الأرض
ويمسي أصفى صفاء من الهواء
أن (يصبح) لهيب المعبد السعيد ناراً
ناراً لأضواء المأوى.

* * *

ثمة بلاد
تندثر فيها بقايا أحلام
في كل خطوة، في كل درب
فقدُني قريباً منها
لأن ما أفتقده هنا، ألقاه هناك
وحتى جوع أحاسيسي
الذي ينهكني ويغيظني
ما كان إلا لكي يُغنّي لك
ويهشٌ لك كل يوم.

* * *

لأنتَ النضج في حياتي
لأنتَ الكمال
اللذان ينقلعان من ماضيّ فيلتئمان
في كل عرق وفي كل فلذة.
وما هو هنا همس، هو صفاء ووضوح
في البلاد التي ينجاب الوهم فيها ويضمحل!

* * *

الأمل هناك حقيقة، والخوف لغو وعبث
والسّر الخفيّ هو الروح النقي
ويواسي الألم الأشدّ عمقاً
فانظرْ إلى هذه الدموع
وقد تدفقت منها مرارة قلبي
والأحزان الثقيلة التي تؤوده
إنها الينبوع الذي أستمدّ منه قوتي
وإمّا أحمل إلى هناك
فتات حبي البائس
فسأحمل بيدي حلياً متلألئة!

* * *

يتنزه الموتى تحت الظلال
ووجوههم مشرقة
فيا من أسفتُ لفقده

هل أنت آت للقياي
إني أمسك يداً باردة
وأرى إلى البسمة
التي وأدتها في الرمس
وسأضم بين ذراعي هناك
الطفلَ الغالي الذي حُرّمت عليّ ملامحه

* * *

ثمة بلاد تزول فيها الدروب كافة
ومن يكون هناك
لا ينظر البتة إلى الانعكاسات
التي تنيرالطريق إذا ما ادلهم
بل ينظر إلى وجه الخالق،
هناك بلاد الراحة».

* * *

الفرع الثاني

شاعرات عربيات في العصر الحاضر

تقــديم:

يُستحسن هنا التنويه بأن هذا الجزء من الكتاب يختلف عن الجزء السابق نوعياً وإن لم يختلف موضوعياً، حيث إن أغلب الشاعرات اللواتي سنذكرهن هن من الأسماء المعروفة في بلدان الوطن العربي، وقد وردت في كتب التراجم المعاصرة مثل «معجم البابطين» بمجلداته العشرين، وكتاب أحمد أبو شاور «أميرات الشعر العربي»، ونظيره كتاب «موسوعة شاعرات العرب» إعداد الأستاذ عبد الحكيم الوائلي.

ويقتضي واجب الأمانة العلمية منا الاعتراف بأننا اعتمدنا على هذه المصادر الثلاثة بشكل مكثف، سواء من حيث ملخص الحياة الشخصية لكلِّ شاعرة، أم من حيث نصوص القصائد المختارة، علماً بأننا اضطررنا إلى تصحيح كثير من الأخطاء الواردة في النصوص المذكورة.

وعموماً نرجو أن يُشكل هذا التنويه اعترافاً منا بفضل جميع المؤلفين والمصنفين العرب الذين نهلنا من مؤلفاتهم وأشرنا إليها في الحواشي حسب التقاليد العلمية المتعارف عليها.

وفي الوقت نفسه لا يفوتنا أن نشير إلى أنه ليس من الضروري أن تكون الشاعرات اللواتي سنذكر أسماءهن وأعمالهن هنّ الأفضل، لأننا محكومون هنا بنوع واحد من القصائد وهي قصائد الحب والغزل والبوح، بصرف النظر عن الصنوف الأخرى من قصائد دينية ووطنية أو أخرى في المديح أو الهجاء أو التصوف...

وقد حاولنا ألا نكتفي بالقصائد العمودية، بل أن نعتمد إلى جانبها بعض قصائد شعر التفعيلة والقصائد النثرية أو الحرة.

وقد يُشارك القُراء الشاعرات المُترجم لهن في طروحاتهن ومشاعرهن، وقد يتحفظون على ذلك.

المرجو من هؤلاء القراء بعض التسامح وتذكّر كلمة الشاعر العربي الذي قال:

قلوب العاشقين لها عيونٌ ترى ما لا يــراهُ الناظرونا

* * *

١ - شاعرات من سورية:

أولاً - ماري عجمي (١٨٨٨ – ١٩٦٥)

هي ماري بنت عبدو يوسف العجمي، ولدت في مدينة دمشق يوم ١٤ أيار ١٩٨٨، وهي من أسرة مسيحية حموية الأصل. تلقّت علومها الأولى والثانوية في مدارس البعثة التبشيرية، ونالت شهادة (إتمام التعليم) عام ١٩٠٣، وعُينت بعدها مُدّرسة للأطفال في إحدى المدارس الابتدائية، لمدة عام واحد فقط، وانتسبت بعده إلى (مدرسة التمريض) في الكلية الأمريكية.

وجَذَبتها الصحافة بعدئذ حيث كتبت بعض المقالات في الجرائد السورية واللبنانية والمصرية، ثم أنشأت مجلتها الخاصة بها باسم «العروس»، وهي من أوائل الدوريات النسائية في الوطن العربي. وبعد نقل مقر هذه المجلة من الإسكندرية إلى بيروت ثم إلى دمشق توقفت عن الصدور بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤. وبعد معاودة ظهورها بعد الحرب، بشكل غير منتظم، توقفت نهائياً عن الصدور عام ١٩٣٥.

واستغلّت ماري عجمي توقف صحيفتها عن الصدور فانخرطت في بعض الجمعيات النسائية الأهلية العاملة في بلاد الشام (بين دمشق وبيروت)، مع إلقاء بعض المحاضرات النسائية التثقيفية بين الحين والآخر.

وفي عهد الانتداب الفرنسي تم تعيينها معلمة في مدرسة الفرانسيسكان للبنات في دمشق. وفي هذه الفترة تبادلت بعض

الرسائل مع الأديبة اللبنانية «مي زيادة» ثم حصل برود في العلاقات ما بين الأديبتين لأسباب غير معروفة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن ماري فازت بجائزتين أدبيتين من دار الإذاعة البريطانية في عام ١٩٤٦ و ١٩٤٧ نتيجة لإسهاماتها الأدبية.وقد أقامت مدرسة الفرانسيسكان حفلة تكريم لها بهذه المناسبة حضرها جمع غفير من أصدقائها ومن العاملين في مجال الأدب والصحافة وعلى رأسهم السياسي والأديب المعروف فارس الخوري. وبعد أن انتهى التكريم سأل أحد الصحفيين الأستاذ الخوري عن رأيه في ماري عجمي، ومنزلتها الأدبية بالمقارنة مع «مي زيادة» فأجابه الخوري شعراً:

يــــا أهيــــل العبقريــــة اســـمعوا هـــذي الـــشهادة

إن مـــــاري العجميـــــة هـــي (مَــــيٌّ) و(زيــــادة)

ولم تكن ماري عجمي شاعرة فقط، وإنما كانت أديبة شاملة وعازفة ماهرة على البيانو، وتتذوق الرسم، وقد أهلها ذلك لرئاسة «النادي النسائي الأدبي» في دمشق.

نشرت ماري عجمي خمسة كتب وكان أهمها بالنسبة لموضوع كتابنا هذا هو «دوحة الذكرى»، ويحوي مختارات من النثر والشعر. وقد كتبت ماري في شعر البوح الرمزي:

يقولون الصبا روض خــصيب وأين الروض في هذا العــراء

فـــلا ظـــلٌ ولا ورقٌ يغنــــي هزيم الرعد في فُلــك الــسماء

ولا إنـــسٌ يطيـــب ولا حبيـــبُ يردُّ بجنحـــه عـــصْفَ الـــشتاء

ولا قلبٌ يجيب صدى حنينـــي ولا عين تتـــوقُ إلـــى لقـــائي

كأني للنوائـــب صـــرتُ أهـــلاً أداري داءهـــا فيعـــزٌّ دائـــي

بذا تقضي السماء فـــلا مـــردٌ وهل من ناقضٍ حكم الـــسماء

علـــى روْض الـــشباب نثـــرت عسى تخضّرُ أعـــواد الرجـــاء

* * *

وفي مجال مناجاة وردة تقول ماري عجمي:

يا وردتي من ذا سقاك النـــدى وبثَّ أسرار الهوى في العيون

وأيقظـــتْ أنفاســـه سِـــحرهْ هذي الأقاحي الساحرات الجفـــون

من ذا الذي وافى علـــى غـــرّة فهاجت الأرواح بعد الـــسكون

وأفرغ الأطياب فـــي روضـــة عطفاً على العود الشجي الحزين

وأشعل الأضواء فـــوق الربـــى وأنعش الصادي وفك الـــسجين

مَنْ ألبس الوادي وشاح البَهـــا ءِ، وعلَّم الأطيار هذي الفنـــون

وفَضْفضَ الأمواج كي تنجلـــي مرآتها عند انحناء الغـــصون

وفي مجال مراسلاتها مع أديبات ذلك العصر، في البلدان العربية المحيطة بسورية، كانت ماري عجمي تخاطب صديقاتها شعراً، كقولها في الأديبة فاطمة اليشرطية (من عكا) بعد أن تلّقت صورة شخصية منها:

«ورسمٍ نمّ عن ظِلٍّ لطيــفٍ أرقّ مِنَ الأزاهرِ والأغــاني
براهُ الله مِــن مــاءٍ ونــورٍ فما يبغي سوى سُبُلِ التّفاني
ففي عينيه آيــة كــلٍّ نبــلٍ وفي جنبيــهِ أرواح الجنــان
فإن تعجب لحُسنٍ رقَّ حتــى بدا في الرَّسمِ عنوان البيــان
فغرسٌ فــي منابِتــهِ ذَكــيٌّ ومجدٌ مِلءُ أســماعِ الزَّمــان

* * *

ثانياً – عزيزة هارون (١٩٢٣ – ١٩٨٦)

سيدة شاعرات سورية في العصر الحاضر. ولدت في مدينة اللاذقية على الساحل السوري، ويظهر أن أباها المرحوم عمر هارون كان من أنصار الأسلوب القديم في التربية، الذي كان يرى الشهادة الإبتدائية سقفاً يجب الوقوف عنده في تعليم البنات، حيث فرض على ابنته عزيزة البقاء في البيت بمجرد أن نالت شهادة «السَرْتفيكا» انتظاراً للعريس، وربما أقنعه في صحة رأيه أن عزيزة قد كثرَ خُطابها منذ أن كانت في الثالثة عشرة من عمرها! ولكن ابنة الثالثة عشرة كانت تحب المطالعة وقراءة الكتب الأدبية، وقالت شعراً على السليقة منذ تلك الفترة المبكرة من حياتها، قبل أن تتعلم أصول النظم الصحيح وقرض الشعر.

وهكذا تابعت عزيزة تعليم نفسها بنفسها، كما بدأت نظم قصائدها الشعرية خفية عن أبيها، لأن أغلب هذه القصائد كانت طافحة بالمشاعر الأنثوية الفيّاضة مما لا يصح أن يطلّع الأب عليه!

وفي هذه الفترة من حياتها قرأت «النظرات» و«العبرات» و«تحت ظلال الزيزفون» و«بول وفيرجيني» و«ماجدولين» للمنفلوطي، وبعض مؤلفات طه حسين وتوفيق الحكيم والمازني، وبعض دواوين الشعر التي وصلت إلى يديها دون علم أبيها!

- حياتها العاطفية والزوجية:

كانت عزيزة هارون جميلة ومعتزة بجمالها (إلى حد النرجسية)، حيث كانت بيضاء اللون، شقراء الشعر، خضراء العينين، وكان جسمها يميل قليلاً إلى الامتلاء، وكانت ظاهرة الأناقة وتعتني بلباسها وأناقتها بشكل واضح.

وهذه الصفات هي نقاط إيجابية في العلاقات الزوجية، ولكنها تصبح سلبية عند المغالاة، وبخاصة إذا أضفنا إليها عدم قدرة صاحبتنا على الإنجاب، وهكذا لم يكن غريباً أن تتزوج عزيزة هارون ثلاث مرات، وأن تنتهي حياتها بالطلاق في المرات الثلاث. وعندها صممت أن تكرس بقية حياتها للشعر والثقافة فتركت اللاذقية وتوجهت إلى دمشق حيث قطنت بيتاً تملكه إحدى السيدات الأرامل. ولكن عزيزة هارون عندما انتقلت إلى دمشق لم تترك جراحها في اللاذقية، بل حملتها في قلبها وفي كبريائها، حيث كانت تشعر بالألم لأمرين:

- أن تقضي بقية حياتها دون زوج أو حبيب.
- أن تبقى محرومة من الأولاد، الذين يسلونها في شبابها ويساعدونها في تحمل عبء الشيخوخة في المستقبل.

- حياتها الوظيفية:

عملت عزيزة هارون كأمينة لمكتبة إذاعة دمشق، وكانت تذيع بعض الفقرات والبرامج الأدبية منها بين وقت وآخر.

وفي عهد الوحدة بين سورية ومصر (١٩٥٨ – ١٩٦١) اختيرت عضواً في (لجنة الشعر) بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وذلك بناء على اقتراح الشاعر أنور العطار، وعند تأسيس (اتحاد الكتاب العرب) في دمشق عام ١٩٦٩، أصبحت عضواً بارزاً في لجنة الشعر بهذا الاتحاد.

اشتهرت عزيزة هارون في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، وكانت خلال ذلك تنشر شعرها في الدوريات السورية وبعض الدوريات العربية الأخرى، كما كانت تلقي قصائدها بين الحين والآخر عبر أثير الإذاعة السورية، أو في البرامج الأدبية التي يبثها التلفزيون العربي السوري.

شعرها:

لا نبالغ إذا قلنا إن عزيزة هارون تُعتبر ألمع شاعرة عربية سورية في النصف الثاني من القرن العشرين.

برزت على النطاق العربي لأول مرة عند اشتراكها في مؤتمر الأدباء العرب الذي تمّ عقده في بلودان عام ١٩٥٦، حيث هنأها على شعرها كل من الأدباء طه حسين وميخائيل نعيمة وأنيس منصور، ومن الشعراء أحمد رامي وبدوي الجبل ومحمد أحمد النعمان وعبد السلام العجيلي.

شعرها يصب في خانة الشعر الحديث، وهو من قبيل الشعر الرومانسي النرجسي، الذي تلعب فيه «الأنا» الدور الرئيسي، ويظهر هذا من عناوين القصائد مثل «إليك، ألستُ جميلة، حلم، زهور، يحب سواي، ويأتي الغد فلا موعد»، كما يظهر في قصائدها الأخرى خشية المستقبل والحسرة على الشباب الضائع، والخوف من الشيخوخة.

تم جمع القسم الأكبر من قصائدها بجهد مشكور من الشاعرة عفيفة الحصني، التي نشرتها في ديوان يحمل اسم الشاعرة بعد موتها.

- باقة من أحلى قصائدها:

١ - غداً يا حبيب

غداً يتــولى شــبابكَ عنــكَ ويخبـــو ضـــياءُ المُحيـــا

وتنفّض عنك عقودُ الغـواني وزهـــــــر الثريـــــــا

وتبقــــــــى لـــــــديا وســـــيماً فتيـــــــاً

أرتـــل شـــعري فيـــك غزيــــــراً نــــــديّاً

*   *   *

وأصقل روحي حتى تـشّف وتعطيـــكَ أســـرارَ حبـــي

وأغرسُ قلبيَ فـــي راحتيـكَ ليُزهـــــــرَ قلبــــــــي

وأحنو عليك أُقبلُ منكَ الجبينْ

أضمّكَ ضمّي للفل والياسمين

وكلــــــــــــي يقــــــــــينْ بأنكَ أنت الحبيــبُ الأمــينْ

*   *   *

وفي سهرات الشتاء الطويلة

أقصُّ عليك أقاصيصَ حب جميلة

تمور بسحر الشباب وزهو الرجولة

*   *   *

حبيبـــــي هـــــذا شــــبابك ملء العيون وملء القلــوب

يَــــرُفُّ بكــــل الــــدروب رفيـــــــفَ الطيــــــوب

لـــه فـــي خـــدود العــذارى ســـــنى مـــــن لهيـــــب

ولكـــن شـــيبتك الناضـــرة تبقـــى لإنـــسانة شـــاعرة

*   *   *

٢ - يُحبُّ سواي

تـــــراه يحــــب ســـــوايا وتلهيه عني صــبايا كزهــر

تُراهُ يغــازل هنــداً ودعــدا تُـــراهُ يُحـــبُّ الجميـــع؟

معاذَ الوفاء يهـيم بغيـري معـــاذَ الغـــرام الرفيـــع!

حبيبي يحبُّ ســوايــا؟!

حكايــة مكــر وغــدر

حبيبــــي يحــبُّ نقــاوة قلبـــي   ويعـــــــــــشقُ طُهــــــــــري
وما ترتجي من حبيبي الزهورُ؟   حبيبـــــي يُفـــضّلُ عطــــري

وبالأمس نـــدّى يـــدي
بدمع الغــرام الطهور

تقولـــــون عنـــــي غَيْـــرى   حبيبـــــي مثلــــي غيـــور
يخــــاف علــــيّ ويبكــــي   كطفـــل رقيـــق الـــشعور!
ملكتُ حبيبي بـسرّ هــواي   وســـــــحر صــــــــباي

فكيف يحبُّ سوايَ؟!

وحـــين أغنـــي حبيبـــي   أرش عليـــــه طيـــــوبي
أُتمـــــــتمُ شــــــعري   ليـــــشرب خمــــــري
حبيبي يحب طفولة روحـي   ويعـــــــشق طهـــــــري!

* * *

٣ - ويأتي الغدُ فلا موعدُ:

أحـــنُّ حنـــين الزهـــور لرشـــف النـــدى
وإن راح يـــــومي أقـــــول غــــــداً
ويفلـــتُ منـــي الغـــد.. فـــلا موعـــدُ

وكيـــــف ألبــــي نـــــداءً لحبـــــي؟
يقولــــون إن الغـــرام يفنـــى بقبلــــة
وإن القلــوب الظمـــاء تـــروى بنهلـــة
وأمي قد حدثتني حـديث الهـوى والـدلال
وقالــت: تمــوت الـصبابة بعــد الوصــال
إذا مــــا يـــــشمُّ حبيبـــــي عطـــــري
أيــــذبلُ زهـــري.. وأفقــــدُ طهــــري
ويخبـــــو ضـــــيائي وســــــحري؟!
فـــأين جمـــال الزهـــور بغيـــر عبيـــر؟!
يــــــأتي الغـــــدُ فـــــلا موعــــــدُ
ويـــــضرمُ خـــــدي تــــوهّجُ وجــــدي
وأقتــــــل حبـــــــي بـــــــصدري!

* * *

٤ - الهوى الضائع

فـــي عُنــف أحزانـــي أفــتش عــن هــوىً
ضـــــيعته بـــــالأمس منـــــــي
وبكيـــــــتُ بعـــــد ضـــــياعه

وسألت عنــه الــنفس فــي أعمــاق ظنــي

في جرحه، في مقلتي، بلهفتي، بعبيــر فنــي

بالشكّ يغمرني فــأهفو للطريــق المطمــئن

عبثـــــــــاً أحـــــــــاول ردّه

ضـــــــــيّعته بمجـــــــــاهلي

وبكَـــــــتْ عليـــــه منـــــاهلي

وأنـــــا الـــــذي ندَّيتـــــه

وغَزَلْتـــــــهُ بأنـــــــاملي

متمـــــــوج بخـــــــواطري

عبـــــقُ بأســـــراري شـــــرودُ

أتـــــــرى إذا غنيتـــــــه

أيعـــــود، أم هـــــو لايعـــــودُ؟

أيعـــــود، والهفـــــي عليـــــه

وقـــــد خَفَـــــرْتُ لـــــه العهـــــودُ

وتركتـــــه للنـــــار تلهبُـــــهُ

وكنـــــتُ أنـــــا الوقـــــودْ!

* * *

٥ – شــجون:

أنــــا مَـــنْ أنـــادي غـــداً إن كبـــرْتُ

غــــــــــــداً إن هرْمــــــــــــتُ

وأُغلـــــــــقْ بـــــــابي عليّـــــــا

أنـــــادي ابنتـــــي أم أنـــــادي بنيّـــــا

ولـــــــيس لـــــــدي ســـــــواي

وكـــــــان كتـــــــابي وفيـــــــاً؟!

ســـــؤال يــــــدوّي بقلبــــــــي

ويبهـــــــــت فـــــــي مقلتيـــــــا

ويظلـــــم روحـــــي انتحـــــار الـــــسنين

وتـــذبل دنيـــا الياســـمين علـــى منكبيـــا!

غـــداً إن كبـــرت، غـــداً إن هرمـــــتُ

ورحـــــــتُ أعــــــــدُّ الـــــــسنين

ســـنين حيـــاتي.. وأســـبح فـــي ذكريـــاتي

لمحت شبابي وزهو جمـــالي حزينـــاً شـــقيا!

* * *

ثالثاً – دَوْلة العباس (١٩٤٩ -   )

هي دولة بنت عبد الهادي العباس، من مواليد بلدة «المشرفة» التابعة لمحافظة حماة، وفي وسط سورية. بعد إتمام دراستها الابتدائية والإعدادية في القرية ارتحلت إلى دمشق حيث درست اللغة العربية في جامعتها. بدأت تكتب أولاً بأسماء مستعارة (وفاء علي، شاعرة الجبل...) ثم عَدَلت إلى استخدام اسمها الحقيقي.

تزوجت من المحامي والنائب في البرلمان نجم الدين الصالح وهي والدة الفنانة السينمائية والتلفزيونية المعروفة سوزان نجم الدين.

أصدرت حتى الآن مجموعة قصص قصيرة، وديواني شعر «قَطَرات جرح» و«أغاريد جرح»، وهي تشارك في بعض اللقاءات الشعرية والأمسيات الأدبية.

سنورد لها فيما يلي قصيدتين:

- الأولى عمودية طويلة بعض الشيء، وتحمل عنوان «سؤال».
- والثانية من سبعة أبيات فقط بعنوان «أغاريد».

وهاهما النصان:

١ ــ سـؤال:

وتــسألني وتــسأل عنــي	**وكل حرائقي بــين الــسطور**
وتسألني، كأنكَ لستَ تدري	**بما فعلَتْ عُيونكَ في غروري**
وتسألني، وتعلمُ ما أعــاني	**وتلمس جمرتي في الزمهرير**
ألا تدري بأنكَ فــي دمــائي	**وأنَّ هواكَ يجري في غديري؟**

ألا تـــدري بأنـــك للتمنـــي   وللنعمـــى ولِلْولَـــهِ المثيـــر؟
حبيبي كيف تسألني وتنسى   أنين الآه في قدري المريـــر؟
تنامُ وتملأُ الأشـــباحُ ليلـــي   فكيف تنامُ مرتاح الـــضمير؟
أسائلُ كفّ طالعـــة ونجـــم   بخوف عن مصيرك أو مصيري
وأسبحُ في نسائمك النـــدايا   فكيف أخاف لافحـــة الهجيـــر
وتسبقني إليـــك إذا التقينـــا   مع الأحلام، زوبعـــة العبيـــر
هنا بين الجوارح والحنايـــا   ســـرير رفّ بـــالألق الـــوثير
فنم فوق الجراح وقرّ عينـــاً   فجرحي كـــالأزاهر والعطـــور
أميرَ هواي هل في الكـــون   كحبي ضاع من عبق البخور؟
وهل في الكون قلـــب مثـــلٌ   يخاف عليك همس الـــشعور؟
أتسمع ما تئن به ضـــلوعي   أتفهم ما تغمغمـــه زهـــوري؟
ويحملني الحنين إليك إمـــا   سهرتُ، وإن لجأتُ إلى سريري
أردّد في سكون الليل لحني   وأُرسلُهُ إلى القمـــر المنيـــر
ليفتح مقلتيه على اشـــتياقي   إلى النجـــوى.. إلـــى الوعـــد
حبيبي أنت في عينيّ صبحٌ   ووجهك في دمي بدر البـــدور
أنرت ظلام أيـــامي فجـــادت   بأيدي العطر زنبقة الـــصخور
حبيبي كيف تسألني وقلبـــي   على كفيك...كالطفل الـــصغير

تداعبـــه وتغمـــره حنانـــاً فَيَرْفَلُ بالبـشائر والــسرور
ويبقى في حماك أسيرَ حبّ ألمْ تأسره بالحــب الكبيــر؟
أطير إليك سراً من خبــائي مُعطّـــرةً بغاليـــة العطـــور
لأملأ جانحيك شذىً ونُعمـــى وأفردُ جانحين مــن الحريـــر
إلى لقياكَ يحملني اشــتياقي خيالاً فــوق أجنحــة الأثيــر
ويومٌ لا أراك يمــرّ عُــسْراً كعام الجدب في ليل الفقيــر!

* * *

كذا طبعي بربِّــك لا تلمنـــي إذا ما لُمْتَ ربّــات الخــدور
فُطِرْتُ على الوفاء فــصار أسيراً عند قلبك يــا أميــري
سأبقى في هــواك أضــوعٍ وأمنية إلى الرمــق الأخيــر
غداً إن سالَمَتْ أيدي الليالي وأزهر حُبّنُا عبــر العــصور
سيحملنا المساءُ رفيف حلم وينشرنا الصباح شعاعَ نــورِ

* * *

٢ - أغاريـــد:

أنــــا الربيــــع.. وأنــــتَ فــــي أشـــعاري
نَغَـــــمٌ يـــــضيق بهمــــسه قيثـــــاري
وخميلـــــة مخـــــضلّة بـــــروى الـــــشذى
حينــــاً وأحيانـــــاً بـــــوهج النــــــار

ومواســـــمي ظمـــأى إليــــك تـــــضجُّ مــــن
صــــــخبِ الربيــــــع وثــــــورة الإعـــــصار
جَنَّــــــــتْ بيادرهـــــــا بكــــــل مُعطّـــــــر
فَهَفَــــــــتْ لمــــــاء غــــــديركِ المعطـــــار
هــــــذا النـــــديّ نــــدىّ فجــــرك غـــــامر
روضــــــي وعطــــر هـــــواك فـــــي أزهـــــاري
خــــــذني إليــــك براعمــــاً لأذيــــــع فـــــي
شــــــفتيكَ، فـــــي شـــــقيهما أســـــراري
شــــــربتُ مـــــن الـــــشَفَق النـــــديّ ولا أرى
عجبـــــاً إذا سَــــــكِرَتْ بـــــه أوتـــــاري؟

* * *

رابعاً – ابتسام هنداوي (١٩٤٦-   )

من مواليد مدينة حماة (في وسط سورية) سنة ١٩٤٦. بعد دراستها الابتدائية والثانوية حازت على شهادة جامعية في آداب اللغة العربية وعُيّنت إثر ذلك مُدّرسة لهذه اللغة في ثانويات حماة للبنات.

ثم أُعيرت إلى المملكة العربية السعودية حيث درّست في ثانويات البنات في مكة المكرمة مدة تسع سنوات، وعادت بعدها للتدريس في مدينة حماة. شعرها جزل ورقيق وشفّاف، سواء في نموذجه العمودي أم في شعر التفعيلة، وهاهما مثالان عن ذلك:

١ - «أحبك حلماً»:

أحبــــــكَ فــــــي هـــــدأة الليــــــل طيفـــــاً

يُبــــــارك نــــــومي ويحنـــــو عليّــــــا

أحبّـــــك طفـــــلاً ملاكـــــــاً رقيقـــــاً

أُحبّـــــكَ ترنـــــو بـــــصمت إليّـــــا

أحبـــــكَ تهـــــوى غــــــدائر شـــــعري

وأهـــــواكَ تغفــــــو علـــــى كتفيـــــا

أُحبّـــــك نـــــاراً تـــــذيب فـــــؤادي

وأرضـــــاه قلبـــــاً محبـــــاً شـــــقيّا

أُحبّـــــك خمـــــراً، ومـــــا ذقـــــتُ خمـــــراً

وتاهـــــت بـــــي الـــــدرب لـــــم أدرِ شـــــيّا

أحبـــــكَ صـــــدراً ألاقيـــــه رحبـــــاً

إذا أثقلتنـــــي همـــــوم لـــــديّا

أُحبّـــــك نايـــــاً حزينـــــاً حنونـــــاً

أحبـــــك لحنـــــاً طروبـــــاً شـــــجيّاً

أُحبّـــــكَ آهـــــاً تمـــــزق روحـــــي

وغـــــصة شـــــوق وحبّـــــا نـــــديا

أحبـــــكَ حلمـــــاً بعيـــــداً بعيـــــداً

أحبـــــك دمعـــــاً مـــــلاَ مقلتيّـــــا

أحبـــــك فـــــي الحـــــب قلبـــــاً وفيـــــاً

وأهـــــواك فـــــي البعـــــد نجمـــــاً عليّـــــا

وحَـــــسْبِيَ ألقـــــاك فـــــي الليـــــل طيفـــــاً

وصـــــوتاً حنونـــــاً صَـــــبيّاً إليّـــــا

وحـــــسبيَ ذكـــــرى أحـــــنُّ إليهـــــا

وحـــــسبي أهـــــوى هـــــوىً أبـــــديّا

* * *

٢ - «أحلام الخريف»:

لمحتُّـــــك تخطـــــر فـــــي ســـــاحنا

شـــــباباً نـــــديّاً كأحلامنـــــا

نظـــــرتُ، فُتنـــــتُ

وغنّـــــت لمـــــرآك أيامنـــــا

وَهمْـــــتُ بـــــدنيا الخيـــــال الخـــــصيب

فقـــــدتُ اتزانـــــي، نـــــسيت المـــــشيب

حَلْمْـــــــــــــتُ وتُهْـــــــــــــتُ

وضـــــجّت بـــــصدري أمــــور كثيـــــرة

رجـــــاءٌ ويــــــأسٌ وخـــــوفٌ وحيـــــرةْ

أيمكـــــنُ يــــا قلـــــبُ أن نعْـــــشقا

ونكــــسو الفيـــــافي هــــوى مورقـــــا؟

أنُـــــدركُ مـــــا فـــــات قبـــــل المغيـــــب؟

* * *

خامساً - فيحاء العاشق (١٩٦١ -   )

هي فيحاء بنت عبد العزيز العاشق، ولدت في مدينة حلب (شمال سورية) سنة ١٩٦١، من أسرة حموية الأصل، وحصلت على الشهادة الثانوية العامة سنة ١٩٧٩. انتسبت إلى كلية الحقوق في جامعة حلب سنة ١٩٨٠، وحصلت على شهادة الليسانس منها سنة ١٩٨٥، وبعد فترة التدريب أصبحت عضواً في نقابة المحامين بحلب منذ ١٩٨٨.

صدر لها – حسب علمنا الشخصي المتواضع – ديوانان: «عندما تحلم فينوس» عام ١٩٩٣، و«سهام الأصيل» في تاريخ لاحق.

وكنموذج عن شـــعرها نورد لها القصيدة التالية بعنـــوان «**سهام الأصيل**»:

مستوطناً في مهجتي
سُفُني لبحرك مُشْرعة
آه، ويا ذا الحبّ في زمن الصفا
زمنٍ الندى،
أو تذكرُ اليومَ الذي فيه التقينا؟
يوم استقَتْ مني الحروف المُقْفرة
فاعشَوْشَبتْ كلمات حبّ مُقْمرة
وقصائد تبقى على طول المدى
لحناً يثير القبّرة
يا ذا الزمان اللازوردي الذي
نثر الأماني روضة في مقلتينا
يوم كنا نسرق الهمساتِ نورا
من سنا الحب الرفيع
فيكبر الحلمُ المُخبأ في أزاهير الصباح
سنابلاً في موسم ترف العطاء
وترتمي بين الترائب نسمة
حيرى لتطفئ أو لتشعل وَجْدنا
ما أفنى الهوى رصيده فينا.
رحلْتَ، رحلْتَ في صمت
بلا حتى وداع
في سكون خلْتُهُ موتي
وفيه الآخرة،

وتركتني في وحدة ثكلى
أمام ذكرياتي
من غياهب لوعة حرّى
وقلب نازف
وتمرّ أيامي، ويهوي قاربي
في لجّة الحب الصريع
ليستحيل إلى رماد أسود
وتعود لي، لتقول لي:
أنا جئتكِ اليوم قتيل
بحبك الأَبدي،
جئتك طائعاً مستسلماً
فالشوق أضواني وأرّقني
تعالي للهوى
للصبّ أرّقه النوى
هاتي الكؤوس وأقبلي
كالشمس مني في النُهى،
هاتي الكؤوس لخمرتي
كالنور يحمله الهدى،
أنتِ الملاذ وصفوتي
أنتِ الدُنا.. يا قبلتي المتلألئة.
أتقولَ عودي؟
أين أنت؟

ومن هو القلب الجريح
وأين ذاك الحب أمسى في الهوى خبرا؟
فكأسي فارغ متصدعٌ
لا خمر فيه
ولا حتى سلافة عاشق!
إني قد سئمت الانتظار وصمته
دعني فإني قد نسيت الاحتضار وروعه
لم يبق لي في مرفأي
حتى ذبالة شوق ملتاعٍ هوى
دعني أردّ الروح من...
من مذبح الألم الدفين
أدير راحي كيفما أهوى
أُلملم ما تبقى من رفاة كرامتي
دعني لأيامي، لأحلامي التي
قيّدتها كالأسورة!
أنا لن أعود إليك لا
أنا لن أعود مكبلة،
حريتي هي جنتي
فيها حياتي غامرة
أنا لن أعود إليك لا
أنا لن أعود مكبلة.

* * *

٢ - شاعرات من مصر

أولاً – عائشة التيمورية (١٨٤٠ – ١٩٠٢):

اسمها الكامل عائشة عصمة بنت إسماعيل باشا تيمور ابن محمد كاشف تيمور، فهي من أسرة «آل تيمور» المصرية الأصيلة التي خرّجت العديد من القاصين والأدباء والشعراء والقضاة في مصر، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. وتصفها صاحبة كتاب «معجم أعلام النساء» بأنها: «فاقت على أقرانها فصاحة عند بلوغها سن الرشاد، وصارت ندرة زمانها بين أهل الإنشاء والإنشاد، ولم تدع لولادة مقالاً ولم تترك للأخيلية مجالاً، وقد أخْنَست الخنساء وأنستها صخر، وسارت في مضمار أدباء هذا العصر».

توفي والدها سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م)، ثم زوجها عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م)، فأسلمت زمام بيتها إلى ابنتها الكبرى، واستدعت فقيهة وأديبة معروفة اسمها فاطمة الأزهرية، وتعمقت على يدها بقضايا الأدب والشعر والعروض. كما دارت مراسلات بينها وبين الأديبات العربيات والتركيات في استنبول وبيروت مثل (وردة اليازجي) وبقية مدن السلطنة العثمانية. لها كثير من القصائد في المديح والرثاء والغزل، ومن قصائدها الغزلية اخترنا هذين النصين:

١ - في الغــزل:

مَلَــكَ الفــؤاد وقــد هَجَــرْ بدرُ المحاســن مُــذْ ظَهَــرْ

عَــذْبُ الرضــاب مُهفهــف يَـــسبي المُتـــيّم بـــالحورْ
مـــا حيلتـــي فـــي حُبّـــه إلا الخـــضوع لمـــا أمـــر
واحيرتـــــي فـــــي صـــدّه وطــول شــجوي بـــالخفر
مــن مُنجــدي وجفونـــه منها المحبُّ علــى خطــرْ؟
أشـــكو الغـــرام ويـــشتكي جفـــن تعـــذّب بالـــسهر
يا قلبُ حَـسْبُك مـا جـرى أحْرقْــتَ جــسمي بالــشررْ
رام الحبيـــب لـــك الـــضنى لِـــمَ ذا وأنـــت لـــه مقـــر
لكـــنّ تعـــذيب الهـــوى مـــا للـــشجي منـــه مفـــر
قابلتــــــه متثنيــــــاً ناهيك مــن غــصن خطــرْ
وأتيتــــــه متبـــــسماً كالبـــدر لمّـــا أنْ سَـــقَرْ
يـــا بـــدرُ حَكَّمــكَ الهــوى فـــاحكم ونفـــذ مـــا أمـــر
ألـــقِ الوشـــاح وخلِّنـــي أصـــلى سـعيراً فـــي ســقر
وعــن العــذاب فــلا تــسل ولأنـــت أوّل مـــن عـــذر
ودع الظــلام علــى الــصبا واســـتر بطُرّتـــكَ الغـــررْ
ســامتْ بهــا الثغــر الــذي يَفتّــرُ عــن غــالي الــدرر
واصــدع بحــسنك وافتخــر تيهـــاً بجيـــدك والطـــرر
فالــشمس تخجــل عنــدما تبـــدو، ويَـــسْتحيي القمـــر

*   *   *

- «مخمسات»:

وعُــذري الهــوى العــذري وهــو يمــينُ

بــه مقــسم التقــريح لــيس يمــين

لأفتــك مــن ضــرب الــصفاح تبــين

عيــون عــن الــسِحْر المُبــين تبــين

يُــسالِمُها المــشتاق وهــي تخــون

* * *

عجبــتُ لهــا تنــسى وقلبــي حــافظ

وإنــسانها ينــسى النهــي وهــو واعــظ

وأعْجَــبُ مِــنْ ذا الفتــك وهــي لــواحظ

مــراض صــحاح ناعــسات يــواقظ

لهــا عنــد تحريــك الجفــون ســكون

* * *

فآهــاً لهــا مرضــى علــى شــدة القــوى

وهــاروت علــى أجفانهــا الــسِحْرَ قــد روى

ولا ذنــبَ للوَلْهــان فــي لوعــة الجــوى

إذا أبــصرتَ قلبــاً خليّــاً مــن الهــوى

وأوْمَـــــتْ بلطـــــفٍ حــــلّ فيــــه فتـــونُ

* * *

يُقـــاد لهـــا طوعـــاً أســـيراً وطالمـــا

أضـــاعَتْ بـــوادي التيـــه صـــبّاً ومغرمـــا

وكـــم فوَّقَـــتْ ســـهماً وكـــم سَـــفَكتْ دمـــاً

ومـــا جـــرّدت مـــن مرهفـــات وإنمـــا

تقـــولُ لـــه كُـــنْ مغرمـــاً فيكـــونُ!

* * *

ثانياً – جليلة رضا (١٩١٧ -)

شاعرة مصرية ولدت في الإسكندرية عام ١٩١٧، وبالرغم من أن دراستها الأساسية كانت في إحدى المدارس الفرنسية الخاصة فإنها اهتمت باللغة العربية. وآنَسَتْ في نفسها ميلاً لنظم الأهازيج والأشعار في لغتها الوطنية (العربية)، وخاصة بعد أن التقت بالشاعر إبراهيم ناجي الذي رعى تجربتها الشعرية والثقافية.

يصفها السيد خازن عبود بأنها رائدة الشعر الرومانسي في مصر.

ألّفت رواية واحدة بعنوان «شجرة الجميز»، كما نظمت ونشرت أربعة دواوين شعرية تحمل العناوين التالية: (اللحن الباكي، الأجنحة البيضاء، أنا والليل، العودة إلى الكلمة).

وأحلى ما نظمت - في رأينا المتواضع – القصيدتان التاليتان:

١ _ حين أراك

أنا حين أراك أُحسُّ الأشياء السهلة
أمنح كل عذاباتي مهلة
أكسر مرآتي
أرجع طفلة!
أهجر عاداتي... أعتزل اليأس
أُغلق أبواب مغاراتي الجبلية
أقفز من فوق النافذة الخلفية
لأسير أمام الشمس
أرتكز عليك.

* * *

أنا حين أراك أجوب بساتيني اللغوية
أستخدم كل الأنوال
لأحوك فساتيني اللفظية
في حجم الأفعال
ولكي تبدو ناصعة، ملساء نقيّة
أتحاشى الخدْش، أتلافى اللمس
وأزركش كل زواياها بخيوط الهمْس
كي تُبهر عينيك

* * *

أنا حين أراك أصد رياح الرغبات
أنطلق بعيداً.. أتحرر من جو الغابات
أُبْعِدُ أقدامي عن أقذارالشارع
أكتشف خطورة معنى العمر الضائع
أغلق قلبي كالرمس
حتى لاتختلط عليه الأصوات
أنْفُضُ عينيّ، أفرد ظهري
أفرغ فوق الدرب الكأس
كي أصل إليك..

* * *

- لقاء في الطريق :

أي المــــــشاعر فـــــي الـــــدماء تـــــدفَقت

حــــين التقينـــــا بعــــد هجـــــر مـــــؤلم

وأبــــى الـــسلام أبيتُـــــهُ مـــــن قبـــــل أن

يبـــــدو يمـــــرُّ علـــــيَّ غيـــــر مُـــــسَلّمِ

وكــــذا تــــشابه فــــي الخــــصام شــــعورنا

كـــالأمس فــــي وَصْــــلٍ وحــــبّ مفعــــمِ

أعطيتــــه ظهـــــري وكــــم ملَـــكَ الـــذي

فـــي الـــصدر مـــن قلـــب تـــوهّج بالـــدم

ووقَفْـــتُ صـــامتة أُحـــرِّكُ فـــي يـــدي

مفتـــاحَ بيتـــي أو أســـاور معـــصمي

وخـــشيت أن أرنـــو إليـــه وطالمـــا

أغـــرتُ عينـــي فـــي ســـماه المظلـــم

ورجعـــت حتـــى لـــو تلمّـــس أصـــبعي

لهويـــــتُ فـــــوق الأرض كـــــالمتحطم

كـــم أمنيـــات عَربَـــدت فـــي خـــاطري

لـــو أننـــي حققتهـــا لـــم أســـلم

فلـــو اســـتطعت علـــى الخـــدود صـــفعته

ثـــم انثنيـــتُ بُقبلتـــين علـــى الفـــمِ

ولـــو اســـتطعت ســـخرتُ منـــه، شـــتمته

وركعـــت فـــوق خطـــاه كالمتنـــدم

يـــا أنـــتَ لا تغْتُـــرَّ لـــست ملومـــة

أهـــواك حُـــبَّ الأم لابـــنٍ مجـــرم!

ثالثاً – نور نافع (١٩٣٢ -   )

ولدت في مدينة القاهرة عام ١٩٣٢، وقد بدأت بقرض الشعر منذ صباها، وأهم دواوينها يحمل عنوان «لَعلكَ ترضى». وكان تاريخ صدور هذا الديوان في عام ١٩٨٠، وقد نالت عنه (جائزة القباني للشعر) عام ١٩٨٣.

وهاهو فيما يلي نص قصيدة بعنوان «مُراجعة» مُستقاة من ديوانها المذكور:

«وأقول هل من واجبي أن أنسى
وأضمُ بين الصدر أحزاني؟
والليل فوق حديقتي أمسى
يا ليتني أنسى وتنساني!
هل أنت ثوب أعْمَلَتْ فيه
أنيابها الدنيا فأرميه
أم أحرف جوفاء عادية
بهوامش الأوراق منسية
لا تستحق اليوم إمعاني
فَهَممْتُ بالأوراق أحرُقها
وجمعت حولي ثوبي الثاني؟!

* * *

والأنجم الزهراء مطموسة
والبدر غضبان على الناس
لا يحتفي بالساهر الآسي

والنهر ممنوع على الوادي
قد ردّ عنه الظامئ الصادي
ما انفضّتِ الأزهار واحدة
ليستْ تريدُ ندىً لبستاني!

* * *

وأقول هل من واجبي أنسى؟
مازالت الأيام نازفةً.
مازالت الأفكار نازحةً
مازلْتَ أنتَ وهذه تكفي
مازلتَ أنتَ وهذه تنفي
مازلتُ في الميدان مغلوبة
وإرادتي الخرساء مسلوبة،
مازالت الذكرى تلاحقني
مازلت في أغوار أشجاني!
وأقول: هل من واجبي أنسى؟

* * *

رابعاً - عزيزة كاتو (١٩٤٣- ؟):

شاعرة مصرية مُجيدة، وخاصة في قصائد الغزل والبوحْ.هي ابنة رجل واسع القراءة والثقافة هو المرحوم عبد الوهاب عبد الله كاتو، من أعيان مدينة الإسكندرية.

نشرت أولى قصائدها وعمرها لم يتجاوز ستة عشر عاماً سنة (١٩٥٩) في مجلة (العالم العربي)، وقد لفتت الأنظار إليها منذ ذلك الحين، فرعاها شعراء كبار من أمثال عزيز أباظة، وصالح جودت، وأحمد رامي.

كتبت في عدة دوريات مصرية وعربية وأُلقيت بعض قصائدها في بعض الإذاعات ومهرجانات الشعر والمؤتمرات الأدبية التي عقدت في مصر وبعض البلدان العربية الأخرى.

لها ديوان شعر وحيد سمَّته باسمها (ديوان عزيزة كاتو)،وهذا يدل على اعتدادها بنفسها وبمكانتها الشعرية.

وسنورد لها فيما يلي ثلاثاً من قصائدها:

١ - الزمن الضائع:

«ومهما افترقنا
ومهما ادعينا ضياع الذي كان ما بيننا
وقلنا بأنّا.. وأنّا
ومهما أمزّق كلّ حروفي إليك
وأطفئ كُلَّ احتراقي عليك
أُحسُّ بأني وحيدة
وأن وجودي يضيعُ بلا مقلتيك،
ولا شيء يبقى سوى الكبرياء
وأدرك أني قطعت الخيوط العتيقة
أسلَمْتُ وجهي إلى الليل
وخضْتُ البحارَ العميقة.

لكن... ومهما افترقنا
سيأتي زمان عليّ، ويأتي زمان عليك
لنحمل في الليْل أشواقنا
ونبكي... ونبكي بغير انتهاء
سيأتي زمان تفتش عني،
وأبحث عنكَ،ونبقى سُدى
نُجمّع كل الخطايا البعيدة
نُلمْلِمُ في الريح أوراقنا
ونندم حتى يجفّ المساء
وآتيكَ في الدفء، في وشوشات المطر
وآتيكَ في قبلة الفجر عبْر الزجاج
ونبكي، ونبكي
على زمن ضائع في الهواء
ولا شيء يبقى سوى الخوف الذي لا ينتهي
والصدى، والهباء»

* * *

٢ - **لَنْ تَفهم**:

«لن تفهم أبداً.. لن تفهم
معنى نبضاتي.. أشواقي
معنى أشعاري أكتبُها
تحرقني... تحرق أعماقي
تحملني الدنيا

للأفق المجهول المبهم
تفتحه لي
وتروح تبعثر أوراقي
في الدرب وتأكل أحداقي».

* * *

٣ - الحب والموت:

«هو البحر
ينشق عن وجهكَ الرائع المستحيل
يسافر مابين عينيكَ
موْجاً.. فموجا
ويرحل في لجة العشق
يُثخْنُ أمواجهُ بالجراح
وصمت المرافئ بعد الرحيل.

* * *

يهاجر قلبي إليك
وقبل الوصول
يضيع على مفرق العمر، يهوي
فلا لغة تجمع الآن ما بيننا
ولا قطرة من ضياء الصباح المشبع بالدفء
لا لحظة تستردُ الزمان الجميل.

* * *

أُحاصَرُ مابين خوفي الجميل وحلمي
ولا مهربْ
غير هذا الطريق الطويل
يُباعد ما بين وجهي ووجهك
تَرَجعُ نحو الشمال
وأرجع نحو الجنوب
يطاردنا الحزن عاماً فعاما
يلاحقنا في ثنايا الغروب
لنبقى على شفة الكون والريح
أغنية للعذاب الجميل

* * *

وأخطو إليك
ولا أستطيع
وترحلُ نحوي
ولا تستطيع
وما ثمّ حلم بعيد يهلّ
وما ثم طير غريب يؤوب
هو الحب والموت
يجمع ما بيننا،
يباعد ما بيننا
يعيد إلينا الحياة
ويُغمد فينا سيوف الرحيل».

* * *

خامساً – شريفة السِّيد (١٩٥٩ -)

اسمها الكامل شريفة السيد محمد محمود، وهي من مواليد القاهرة عام ١٩٥٩. بعد إتمام دراستها الابتدائية والإعدادية والثانوية تخرجت من كلية العلوم في جامعة القاهرة سنة ١٩٨١، ثم حصلت على دبلوم الدراسات العليا في النقد الأدبي عام ١٩٨٥.

عملت في الصحافة والتدريس، ونشرَتْ مقالات أدبية وأشعاراً في أغلب الدوريات المصرية وبعض المجلات العربية المتخصصة.

أهم دواوينها الشعرية اثنان: ملامحي (١٩٩١) – الممرات لا تحتوي عابريها – منشورات دار غريب – القاهرة ١٩٩٦.

نالت الجائزة الثانية في مسابقة الشعر التي نظّمها (المجلس الأعلى للثقافة) عام ١٩٩٤.

وهانحن نورد فيما يلي اثنتين من قصائدها:

١ – إليكَ:

«كأني حين أراكَ
أزُفُّ العمر راضية
إلى أرض ألفناها
وحطّمنا خطاياها
وأجْرَيْنا بها نهرا
سليل الشهد دَفّاقا

* * *

كأني حين أهواك
بساط الريح يحملني
ويَعْرج بي إلى أفق
إلى الأحلام تواقا!

* * *

كأني حين أهواكَ
أصبُّ الشمس أوتارا
وأصهر عمرنا فجرا
مع الموجات رقراقا!».

* * *

٢ - ما أنت:

«رغم مرور اليوم الثاني
لا زالت رائحة سجائرك
تملأ غرفة أحلامي
تسكن فيها
تؤانسها وتُعطّرها
تلهث خلفي وتُطاردني
لكني عفواً أدفنها
أحيا فيها حقباً حقبا
ولازالت دفعات حنينك
تجتاح حنيني
وتمزقني إرباً إربا

ثم تبادر فتداويني
حيث تبيت النجوى شهبا!
ورغم مرور اليوم الثالث
أحيا فيكَ ومنكَ وبكْ
أحيا حولكَ، أحيا لكْ
كاد قلبي يُغنّي طرَبا»!

* * *

٣ - شاعرات من العراق

أولاً – نازك الملائكة (١٩٢٣ – ١٩٩٢)

ولدت نازك الملائكة في حي «العاقولية»، وهو أحد أحياء مدينة بغداد القديمة، ضمن عائلة أغلب أفرادها من الأدباء والشعراء، فهي ابنة الشاعر والمؤرخ صادق الملائكة، الذي كتب «دائرة معارف الناس». وأما والدتها فكانت شاعرة أيضاً، وكانت تنشر قصائدها باسم «أم نزار». كما كان خالها جميل الملائكة شاعراً أيضاً، وكذلك أخوها نزار الملائكة وأختها إحسان الملائكة!

لهذا لم يكن غريباً أن تبدأ نازك بالنظم منذ أن كانت في سن العاشرة، ثم طوّرت موهبتها هذه حين انتسبت إلى «دار المعلمين العالية» في بغداد، وحصلت على إجازة لتعليم اللغة العربية عام ١٩٤٤، وأتبعت ذلك بشهادة المعهد الثقافي البريطاني.

وبعدها شدّت نازك الرحال إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصلت على إجازة B.A في الأدب المقارن من جامعة «ويسْكونسن» عام ١٩٥٤.

وقد بدأت نازك بنشر ما تنظمه منذ عام ١٩٤٧ حين أصدرت ديوانها «عاشقة الليل»، وهو من الشعر العمودي الذي ينحو المنحى الكلاسيكي. ولكنها خرجت عن هذا المسار نحو قالب الشعر الحر منذ ديوانها الثاني «شظايا ورماد» سنة ١٩٤٩، وهكذا يعتبرها كثير من النقاد واحدة من الرعيل الأول - إذا لم تكن الأولى - في تيار الشعر العربي الحديث.

ثم أصدرت ديوانها «قرارة الموجة» عام ١٩٥٧، وهو أهم إنتاجاتها الشعرية.

وقد شرحت نازك نظريتها في الشعر خلال كتابها « قضايا الشعر المعاصر» عام ١٩٦٥، وسيظل هذا الكتاب - حسب رأينا المتواضع - مرجعاً أساسياً لمعرفة آفاق التجديد في الشعر العربي.

- مختارات من شعرها:

نورد فيما يلي ثلاث قصائد لنازك الملائكة:

- الأولى بعنوان «اغضب»، وترسم فيها بعض الصفات التي تحبّها في الرجل.
- والثانية بعنوان «كبرياء»، وترسم فيها حدود «عملية البوح» التي تسمح بها المرأة الشرقية لنفسها تجاه حبيبها.

- والثالثة بعنوان «غسلاً للعار»، وتطرح نازك فيها مشكلة لا تزال تؤرق كيان المجتمعات العربية والإسلامية حتى اليوم وهي مشكلة «جرائم الشرف»، وتقف فيها الشاعرة بشجاعة إلى جانب الأنثى الضحية.

١ – اغضبْ:

«اغضبْ أحبكَ غاضباً متمرداً
في ثورة مشبوبة وتمزّق
فكن لظىً
كن عرق شوق، صارخٍ متحرّق
كن حرقة الإبداع في أشعاري.
اغضبْ، كفاك وداعة
أنا لا أحب الوادعين،
النار شرعي لا الجمود
ولا مهادنة السنين.
أنا لا أحبك واعظاً
بل شاعراً قلق النشيد
تشدو ولو عطشان
دامي الحلق
محترق الوريد
إنّي أحبّك صرخةَ الإعصار
في الأفق المديد
إني أريدك نهر نار
ما للُجتّه قرار»

* * *

٢ – كبرياء:

«لا تسلني عن سرّ أدمعي الحرّى
فبعض الأسرار يأبى الوضوحا
بعضها يؤثر الحياة وراء الحسّ لغزاً
وإن يكن مجروحاً.

بعضها إن كشفته يستحيل
حُبّاً مهاناً يموت موتاً حزيناً
بعضها كِبَراً لا يكشف
عما وراءه أو يُبينا.

ومئات الأسرار تكمن
في دمعة حزن تلوح في مقلتين،
ومئات الألغاز في سكتة
تهتز خلف انطباقة الشفتين.

وعيون وراء أهدابها
أشباح يأس في حيرة وانكسار
تؤثر الظلّ والظلام ارتياعا
من ضياء يبوح بالأسرار.

وقلوب تضم أشلاءها

فوق جراح وأدمع وذهول
تؤثر الموت كبرياء
ولا تنطق بالسرّ، بالرجاء الخجول.

وشفاه تموت ظمأى ولا تسأل
أينَ الرحيق؟ أين الكأسُ؟
ونفوس تحس أعمق إحساس
وتبدو كأنها لا تحسُّ!

وأكفٌ تودّ لو مزَّقت، لو فتكت
لو تمرّدت في جنون
لو رأتها الحياة قالت:
هدوء وادع في براءة وسكون.

لو رأتها، ماذا ترى؟
كل شيء مُغرقٌ في داكنات الشعور
ألف سِتْر، وألف ظل من الكتاب عميق
وألف قيد ونير.

لا تَسَلْني، لا تجرح السر في نفسي
ولا تمسح كبرياء سكوتي
لو تكلّمت كان في كل لفظ

قبر حلم وفجر جرح مُميت.

لو تكلمت، كيف ترتعش الأشعار حزناً
وترتمي في عياء؟
لو كشفتُ السر العميق
فماذا يبقى سوى الأشلاء؟!

لو تكلمت، رعشة في حياتي وكياني
تلح أن أتكلم
وسكوني العميق، يكتم أنفاسي
وقلبي يكاد أن يتحطم.

لو تكلمت، لو سكت
نِداءان عميقان كالحياة، استعارا
تتلاقى عليها كل أسراري
فأبقى شعراً وحباً وناراً.

وتظل الحياة تخلق في وجهي
قناعاً صلداً يفيض رياء
جامداً، بارداً، أصمّ ويُخفي
بعض شيء سمَّيته كبرياء!»

* * *

٣ - غسلا للعار:

«أُمّاه»! وحشرجة ودموع وسواد
وانبجس الدم، واختلج الجسد المطعون
والشعر المتموج عشش فيه الطين
«أماه»! ولم يسمعها إلا الجلاد
وغداً سيجيء الفجر وتصحو الأوراد
والعشرون تنادي، والأمل المفتون
فتجيب المرجة والأزهار
رحلت عنا غسلاً للعار

* * *

ويعود الجلاد الوحشي وباقي الناس
«العار»! ويمسح مدْيَتَهُ «مزَّقنا العار»
وَ«رجعنا فضلاء، بيض السمعة أحرار»
«يا ربّ الحانة، أين الخمر، وأين الكأس»؟
«ناد الغانية الكسلى العاطرة الأنفاس»
«أفدي عينيها»
املأ كاساتِك يا جزّار
وعلى المقتولة غسل العار!

* * *

وسيأتي الفجر وتسأل عنها الفتيات
«أين تُراها»؟ فيردُّ الوحش «قتلناها»
«وصمة عار في جبهتنا.. وغسلناها»

ستحكي قصتها السوداء الجارات
وسترويها في الحارة حتى النخلات
حتى الأبواب الخشبية لن تتساها
وستهمسُها حتى الأشجار
«غسلاً للعار! غسلاً للعار!»

* * *

يا جارات الحارة، يا فتيات القرية
الخبز سنعجنه بدموع مآقينا
سنقص جدائلنا، وسنسلخُ أيدينا
لتظلّ ثيابهم بيضاء اللون نقية
لا بسمة، لا فرحة، لا لفتة فالمدية
ترقبنا في قبضة والدنا وأخينا
وغداً من يدري أي قفار ستوارينا غسلاً للعار»!

* * *

٢ - لميعة عباس عمارة (١٩٢٩ -)

من مواليد بغداد عام ١٩٢٩، بدأت تنظم الشعر وهي في الخامسة عشرة من عمرها. تخرجت من دار المعلمين العالية في بغداد عام ١٩٥٠.

انتشر شعرها سريعاً في العراق وبقية الأقطار العربية، وقد تمّت كتابة عدد من رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراة عن

شعرها، كما أنَّ الأستاذ سليمان هادي طعمة تكلم عنها طويلاً في كتابه «شاعرات العراق المعاصرات».

أهم دواوينها:

- الزاوية الخالية – ١٩٦٠.
- عودة الربيع – ١٩٦٣.
- أغاني عشتار – ١٩٦٩.
- عراقية – ١٩٧١.
- سيموت الحب – ١٩٧١.
- لو أنبأني العراق – ١٩٨٠.
- البعد الأخير – ١٩٨٨.

وهاهي مختارات من قصائدها:

١ - جُحود

«أهواك عنيفاً جبارا

أهواك كما أنت

كنْ بركاناً أو إعصارا

كن كما شئت

أهواكَ بكل مساويك المنسية

وبكل كلومِك في قلبي

يُقْصينا الضوء وتجمعنا الأمسية

فأمدّ شفاهي في عجلِ

للثغر المترع بالقُبلِ!

* * *

وأنام، أنامُ بلا عتبِ
أهواكَ أنا
هذا ذنبي،
أهواكَ
وما عندكَ ما يستهويني
ألوان الظلِّ
وصمت السرِّ المدفونِ
وخطوط من غيرتك الحمقاء
شلّت كل حياة فيَّ
لفّتها السحب السوداء
وسنين خصام متصل
وأحبكَ بعدُ.. فيا خجلي»!

* * *

٢ - أنا كل النساء:

لا تقلها إن لَجْلَجَتْ في حناياكَ
ودَعْني أَسْتَقّها من عيونكْ
وارتعاشات هدبكَ الخجل الخفق
وهذي الغضون فوق جبينكْ
خلّ هذا الغموض وحياً تقياً
لصلاةٍ ما هوَّمَتْ في يقينك
وإذا الآدمي فيك تنزّى

وتمطّى العناق بين جفونك،
فاحتضنْ، أيَّهنَ شئتَ، تجدْني
- أنا كل النساء - طوع يمينك!
* * *
لا تُقرِّب أنفاسك النار من وجهي
وأذني وشعري المتهافت،
إنّ في همسكَ الأعاصير والزلزال
يجتاح عالمي، وهو خافت،
لا تَقُلها، وخلِّني أُحرز اللؤلؤَ
في بحري العميق الصامتْ!
* * *
أنتَ لو قلتها تموت الأغاني
في ضلوعي وتستعر المعاني
لا سعير الحرمان يلدغُ روحي
لا خيالي يهيم سمْحَ العنان»!

٣ – شهرزاد:

وفي قصيدتها الرائعة الموسومة (شهرزاد) تقول الشاعرة المبدعة لميعة عباس عمارة:

«ستبقى، ستبقى شفاهي ظماء
ويبقى بعيني هذا النداء
ولن يبرح الصدرَ هذا الحنين

ولن يُخرس اليأسُ كلّ الرجاء.
سيبقى لكِفِّي هذا البرود
ولن تعرف الدفء حتى تعود
عناق الأكف أثار الدماء
وعلّمني كيف يُنسى الوجود.
ستبقى دمائي لظىً واحتراق
وتبقى ضلوعي منىً واشتياق
فكل حياتي هوى يائس
لقاء قصير المدى فافتراق.
لِعينيْكَ أنتَ يلذُّ العذاب
ويستعذب القلبُ مُرّ الشراب
فَفيكَ عرفتُ الحبيب الوديع
وما كنتُ أعرف إلا الذئاب
هوانا وأشواقنا الخالدة
وثورة أرواحنا الحاقدة
لأعجز من أن تمدّ يدا
تمزّق أسطورة بائدة
أساطير نمّقها الخادعون
وأشباح موتى تجوب القرون
لتخنق أجمل أحلامنا وتبعث فينا مدىً للجنون».

* * *

٤ - ومن قصيدتها «قُبلة» نقتطف هذه الأبيات:

جهـــــدي أحـــــاول أن أســـــتفَّ نظرتـــــه

كـــــأن كـــــل حنينـــــي فـــــوق أجفـــــاني

تمـــــتص قبلتـــــه روحـــــي علـــــى شـــــفتي

فَتَـــــسْتحيل عظـــــامي خـــــيط كتّـــــان

زكـــــت فلـــــم تُـــــذهب الأعـــــوام جـــــدّتها

يـــــا طيبهـــــا، وشـــــفاهي قلبـــــه الثـــــاني

* * *

٥ - ومن ديوانها «أغاني عشتار» نورد لها هذه القصيدة التي تتغنى بأهمية دور «العامل» في المجتمع:

«حبيبي إنسان كادح
زند أسمرْ
وجبين مسَّده الْعنَبرْ
هو قلب يحتضن الدنيا
وعيٌ ثوريٌ يلتهب

* * *

حبيبي ليس جميل الشكل
كل جمال حبيبي في الروح
في الكفّ السَمح المفتوح
حبيبي يكفيه وصفا

أنّ امرأة تندى لطفاً
يتمنّى لفتتها القمرُ
بشرٌ لا يشبهه بشر
تهواه.. تذوب بنظرته
وترى كل جمال الشرق
بطلعتـــه.

* * *

٣ - عاتكة الخزرجي (١٩٢٦ -)

شاعرة عراقية من الرائدات، ولدت في بغداد عام ١٩٢٦، ونالت الدكتوراة من جامعة السوربون (باريس)، حيث عينت بعد عودتها إلى العراق أستاذة في كلية الآداب بجامعة بغداد.

أهم الدواوين التي نظمتها:

- أفواق الزهر – القاهرة ١٩٦٣.
- أنفاس السحر – القاهرة ١٩٦٣.
- لآلئ العمــر – القاهرة ١٩٦٥.

وكنموذج عن شِعرها نورد لها هذين النصين:

١ - لقاؤنا كان الأخير

« ومضيتُ والحسَرات
أغلبها وتغلبني
فأبدأ، بل أعيد
وتهولني الذكرى وتعصف

ثم بالصبر الجديد
ويَهُولني الأمسُ القريب
يلوح كالوهم البعيد
وأراك من بين الضباب
سرابَ حرمان بعيد
ولقاؤنا يا ملهمي
أنى يكون وبيننا درب بعيد؟!
ولقاؤنا يا ملهمي
نجوى الأحبة
دمعة عبر القصيد»

* * *

بغــداد

وتتغزل عاتكة الخزرجي بالعاصمة بغداد فتقول:

قـــــسماً بالإلـــــه عـــــزَّ وجـــــلاَّ
إنّ قلبـــي عـــن حبهـــا مـــا تـــسلّى
هي مــن روحــي، ومــا أنــصف التعبيــر
لا بـــــلْ أعــــزُ منهــــا وأغلــــى
قـــسماً بالـــذي بـــراك مـــن الـــسِحرْ
ومــــن صــــوّر الجمــــال فــــأعلى
أنـــا أهـــواك فـــوقَ مـــا عـــرف الحـــبُّ
كأنّـــا فـــي الحـــبّ قـــيسٌ وليلـــى!

٤ – آمال الزهاوي (١٩٤٦ - ...)

هي آمال بنت عبد القادر الزهاوي، من مواليد بغداد عام ١٩٤٦. وبعد إتمام دراساتها الابتدائية والإعدادية والثانوية، انتسبت إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة بغداد، ثم بعد تخرجها عملت في التدريس والصحافة.

أهم دواوينها هي التالية:

- الفدائي والوحش ١٩٦٩.
- الطارقون بحار الموت – بيروت ١٩٧١.
- دائرة في الضوء ودائرة في الظلمة - بغداد ١٩٧٤.
- إخوة يوسف ١٩٧٩.
- التداعيات ١٩٨٢.
- يقول قسٌّ بن ساعدة ١٩٨٦.

وتقول آمال الزهاوي في قصيدة لها بعنوان «**فراشة**»:

«المدى شرنقة

والرؤى فاضت رصاص

أنا في غفوة من هاجس الليل ترامَتْ

بين موتي والخلاص.

أيقظ البعد مسامير الصدى

وترٌ يجرح في صرخة جسم السكون

ساهرتني نجمة تنضوى جوىً

فتدلَّتْ وردة في جبهتي

تستدير الريح في نفسي

فيا ظلّ يدي
آه لو أغدو فراشة
والمسافات جناحات تشُدَّاني هوى
في جسدى يتعرى داخلي الكون
يصبُّ الورد في قلبي رحيقاً
من بشاشة».

* * *

٥ – بُشرى البستاني (١٩٥٠ -...)

هي بشرى بنت حمدي البستاني، من مواليد مدينة الموصل سنة ١٩٥٠.

بعد إتمام دراستها الثانوية، نالت شهادة دكتوراة في النقد الأدبي من كلية الآداب في جامعة الموصل، ثم عملتْ في الصحافة والتدريس الجامعي.

حَضَرَتْ عدة مؤتمرات عربية وعالمية للشعر، وأهم دواوينها هي التالية:

- ما بعد الحزن – ١٩٧١.
- الأغنية والسكين – ١٩٧٥.
- أنا والأسوار – ١٩٧٨.
- زهر الحدائق - ١٩٨٤.
- أُقبل كف العراق – ١٩٨٨.

وهاهو نص قصيدة لها بعنوان «دوار»:

«أرقص طول الليلة وحدي

أنـــزف
تطلع في دمي الأشجار
وتدور معي
تدلى ثمراً مراً
تنـــزف
وفي آخرة الليل نروحُ معاً، ونولّي الأدبار
أبصر في منتصف الليل
البحر يجيء لشرفة بيتي
وأرى الأمواج
تتداحُ على غرفة نومي
أفتح شُبّاكي
وأرى السمكَ الميتَ يطفو
والتجاّر يلمّون الجثث المنخورة
يفزع واحدهم مني
يعطيني واحدة
عشـــراً
أرفض
أضحكُ في السر
وأقفلُ نافذتي.
في اليوم الثاني
أشْري واحدة من رأس الشارع
ثم أواصل سيري»

شاعرات لبنانيات

أولاً – زهرة الحر (١٩١٧ -....)

شاعرة لبنانية مُجلّية، من مواليد مدينة صور، في أقصى الجنوب اللبناني. بدأت بقرض الشعر وهي في الثالثة عشرة من عمرها، ولا عجب في ذلك فقد نشأت وترعرعت في أسرة أغلب أفرادها من العلماء والفقهاء والشعراء.

لم تكتف بقرض الشعر وإنَّما ساهمت إلى حد كبير في حركة تحرير المرأة في منطقة «جبل عامل»، وهي منطقة لها ما لها من الأهمية في عملية الصمود ضد العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان.

شعرها رومانسي ثائر، ولكنه يمتزج بنوع من الصوفية والروحانية، كما يُجسد «العواطف الجياشة والحسّ المرهف».

نالت (وسام العمل الفضي) من رئاسة الجمهورية اللبنانية بعد نشر ديوانها الأول «قصائد منسيّة»، كما منحها المجلس الثقافي لجنوب لبنان وسام المجلس اعترافاً لها بمشاركتها في تأسيسه.

من قصائدها الصوفية قصيدة «صلاة» التي تذكرنا بمطلع قصيدة إيليا أبو ماضي:

جئتُ لا أعلم من أينَ ولكنّي أتيت

ولقد أبصرت قدّامي طريقاً فمشيت

وتقول فيها:

إلهـــــي مــــن عبــــادكَ قــــد علمــــتُ

بأنّـــك قُلـــتَ لــــي: كـــوني فكُنْــــتُ

ولكنّـــــــي جهلـــــــت لأي شـــــــيء

أتيـــتُ، وأنـــــتَ تعلـــمُ مـــا جهلْـــتُ

إلهـــــي أنـــتَ تعلـــم مـــا بنفـــسي

وتعـــــرفُ إن صـــــدقت وإن كـــــذبت

وتـــسمع كـــل وســـواس بـــصدري

ومــا أعلنـــتُ عنـــه ومـــا كتمْـــتُ

فعفـــواً إن فتحْـــتُ إليـــك قلبـــي

ليُعـــرف أيُّ معبـــود عَبـــدْتُ

- وكنموذج عن شعرها في الغزل نورد فيما يلي أبياتاً مختارة من قصيدتها «عينان عسليتان»:

إنّـــي إلـــى جفنيـــكِ أعتـــذرُ

ضـــجَ الهوى،وتبـــدّد الحـــذرُ

بـــالأمس خلِتُهمـــا علـــى ظمـــأ

ســـهْمين يكْمّـــنُ فيهمـــا الخطـــرُ

حتـــى تـــلألأ منهمـــا قـــبسٌ

فـــــي مهجتـــــي فتبـــــدل النَظـــــرُ

اســـــتغْفرُ الأهـــــداب كـــــم لهمـــــا

فـــــي كـــــل قلـــــب خـــــافق أَثَـــــرُ

ســـــبّحتُ ربّـــــي تحـــــت ظلِّهمـــــا

وســـــهرتُ حتـــــى ملّنـــــي الـــــسهر

وعـــــصرتُ قلبـــــي فـــــي دموعهمـــــا

فبكـــــى الـــــدُجى وتـــــأوّه الـــــسَحَرُ

عينـــــان حالمتـــــان مـــــن عـــــسلٍ

نُثِـــــرتْ علـــــى مجراهمـــــا الـــــدُرَرُ

غَنَّيـــــتُ فـــــي أجـــــواء ســـــحرهما

شِـــــعري فمـــــاج العـــــودُ والـــــوترُ!

* * *

٢ – باسمة باطولي (النصف الثاني من القرن العشرين)

اسمها الكامل باسمة بنت توفيق البطولي (وقيل الباطولي)، وهي شاعرة لبنانية من مواليد مدينة بيروت، تخرجت من دار المعلمين في هذه المدينة، وبعدها حصلت على إجازة في الآداب من جامعة ليون / فرنسا، ثم على دبلوم الصحافة من القاهرة.

عملت في وزارة التربية الوطنية، وقدّمت برامج إلى الإذاعة والتلفزيون اللبنانيين، ونشرت قصائدها في الدوريات اللبنانية، واشتركت في مهرجانات الشعر اللبنانية والعربية.

ولها ديوان ذو عنوان معبّر وهو: «مع الحب حتى الموت» ونورد لها منه ثلاث قصائد قصيرة.

١ - مدار الفُصول

«وأنتَ الشطّ كنْ سفري الطويلا
أحب مدى الوصول، اللاوصولا
هي الأفلاك نقطفها بهدْبٍ
وتبقى للأكُفِّ المستحيلا
كما الحلم الجميل أعيدُ إنّي
أنا حققّتُهُ حُلُماً جميلا
وأرحلُ فيكَ، أبحثُ عنكَ.. عني
كما في الريّ نستجدي الغليلا
أأخشاكَ العبابَ وأنتَ فُلكي
وأنتَ إليكَ ما دمتَ السبيلا
وفي عينيكَ قد أهَمْى وأصحو
أسابقُ في مروجهما الفصولا
وما أهْتمُّ عَوْدٌ أم رحيـــلٌ
بحُبِّكَ يَعْدُلُ العودُ الرحيلا»

* * *

٢ - مياه عطشى

أتُريـــــــدين لغليلـــــــك الإبريقـــــــا؟

مــــا النهـــرُ إلا كـــي يظـــل طليقـــا

أو تجعـــل الـــشبّاك ســـجناً للمـــدى

أتُـــراكَ تحـــبس فـــي الـــشموع شـــروقا

وأنـــا... أأمـــتهنُ انتظـــار فـــم لِـــصَدٍ

إن يَـــدْرِ شـــوقاً مـــا درى تـــشويقا؟

أنـــا قطـــرةٌ إن شـــئتُ أطفـــئُ غلّـــةً

أو شـــئتُ أُشـــعل فـــي الميـــاه حريقـــا

كـــالريح والأمـــــواج لا طُـــرُقٌ

فالقيـــد أحيانـــاً يكـــون طريقـــا

يغـــدو ملامـــح آدمـــي يرتـــدي

البـــسمات حتـــى قـــد يُظـــنٌّ صـــديقا

* * *

إن أَهْـــوَ فالقيـــد المحـــرِّر ولنقـــل

مـــثلاً.. ذراعـــاً تُحـــسن التطويقـــا

أنـــــا قولـــــــةٌ بالفعـــــــل حرّرهــــــا

فــــلا تفريــــق بعــــد يعــــي لنــــا تفريقــــا

أغرقـــــتُ فــــي عينيــــك يــــا للبحـــــر

مـــن يــصدى إلـــى مـــاء البحـــار غريقـــا

حتـــــى لنجهــــل فــــــي روى وتعطّـــــش

مـــن كـــان مـــاء، مـــن غـــدا إبريقـــا

* * *

٣ – هتـاف

أحبّـــــك، أهــــرب منــــك إليـــــك

وأجــــزعُ، أجــــزعُ منّــــي عليـــــك

كـــأنّي نـــار، كـــأني لـــست الفراشـــة

والنــــــار فــــــي شـــــــفتيك

أحبّـــك مــــا عــــدت أســــأل هــــلْ

زمــــن هـــلّ نـــدىْ ســـوى مقلتيـــك

وهـــــلْ كانــــتِ الأرض إلا لتهــــوى

ظلالـــــك، أو تــــشتهي قــــدميك؟

* * *

ثالثاً – أميرة الحوماني

كاتبة وشاعرة وموسيقية لبنانية، ابنة الأديب والشاعر المعروف محمد علي الحوماني وشقيقة الشاعرة سلوى الحوماني.

يقول الشاعر سعيد عقل في تقديم إحدى مجموعاتها الشعرية: «تصوغ أميرة الحوماني شعراً لموسيقى، وتعكس.. فإذا أنت أمام دمالج لمعاصم، وإذا كنت كلفاً بالبساطة – أمر صعب كالاستحالة – حملتك إلى نغماتها العِذاب وكأنها الأجنحة».

ومن قصائدها الأهم في ميدان البوح والغزل قصيدة تصف بها لحظة بعاد بينها وبين حبيبها تحت عنوان رمزي هو: «**قل يا غروب**»:

قــــل يـــــا غـــــروبُ لغـــــارب عنـــــا

إنّـــــا نعـــــــاني هاهنـــــــا إنّـــــــا

فــــــي الـــــصدْر وَقْـــــدٌ أيـــــنَ مُوقِـــــدُه

يقتـــــات مـــــا يقتاتـــــه منـــــا

فــــــي الـــــصدْر وَقْـــــدٌ كيـــــف نطفئـــــه

لـــــو نحـــــن شـــــبنا.. مـــــا تمكّنـــــا

فَلَكـــــمْ رجوْنـــــا الجفـــــن أن يغفـــــو

فأجـــــاب (أنّـــــى لـــــي) ومـــــا ثنّـــــى

وبَـــــدَتْ لِـــــراءٍ صـــــورة تطفـــــو

فـــــوق الـــــدموع ومغـــــرق أنّـــــا

وأنامـــــــلٌ ويـــــــراعُ شـــــــاعرة

ووريقـــــــة والليـــــل قـــــد جنّـــــا

يمحـــــو الـــــدياجي موقـــــد فينـــــا

ويفـــــي اليـــــراع الـــــصدر مـــــا كُنّـــــا

* * *

مـــــا للحـــــواجز يـــــا غـــــروب إذن

فـــــي أفقتـــــا بانـــــتْ فمـــــا بنـــــا

مـــــا بـــــين متحـــــدين مـــــا حـــــدٌّ

مـــــا الـــــشرع إن هـــــو حـــــاجز منّـــــا

كـــــم قيـــــل فـــــي الأحبـــــاب مـــــا قـــــالوا

لُيقـــــلْ كـــــذا.. ليُحـــــدّثوا عنّـــــا

* * *

- ومن قصيدة أخرى لها بعنوان «**عودة الرؤى**» نقتطف:

أحقّـــــاً حبيبـــــي عـــــدنا التقينـــــا؟

أحقّـــــاً وعـــــادت رؤانـــــا إلينـــــا؟ "

وعاد الربيع وعادت طيور الربيع تغني هوانا لدينا

تُغنيـــــــه آنــــــاَ وآنـــــــاً تُــــــصفق

جـــذلى.. وتمـــضى إلـــى مـــا انتـــشينا

وتمـــــضي لتــــروي حـــــديثاً يطــــول

عـــن الـــشوقِ، والـــشوقُ فـــي خافقينـــا

وتمـــــضي لتنـــــشر عطــــراً يــــضوع

نقيّـــــاً تقطّــــــر مـــــن مهجتينـــــا

* * *

ثم تتذكر الشاعرة حبيب الأمس فتقول:

عُدْ أيا حبـــي ففـــي عـــودك هـــذا مـــا يـــؤود

ما يُقـــيم الأوَدَ الكـــافيَ فمِنّـــي اصـــفرّ عـــود

أجفل الروض لدى خطـــوي وأدْمتنـــي الـــورود

لـــيَ يُجنـــى الـــوردُ يـــا تائِـــه آفـــاق شـــرود

لـــيس يجنـــي الـــوردَ إلا عاشـــقٌ صـــبٌّ ودود

عُدْ فصحرائي ترامى الطَـــرْفُ منهـــا والحـــدود

* * *

٤ – أسمهان الصيداوي (١٩٤٤ - ..)

شاعرة لبنانية معاصرة، ولدت في بيروت عام ١٩٤٤، أتمت دراساتها الأولى في لبنان، ثم انتقلت إلى باريس حيث حصلت على شهادة عليا في الآداب أهلّتها للعمل بالتدريس الجامعي بعد عودتها إلى لبنان.

وكنموذج عن شعرها نورد فيما يلي قصيدتين لها: الأولى بعنوان «أحبّك»، والثانية بعنوان «تقاسيم على الجرح».

١ - أُحبّك

«وسمعته يهذي: أُحبُّك
وهو يجتاز المدى طلقَ الجبين
ويذوب تحناناً ويمتاحُ النداوة من جبيني
ويئنُّ كالطفل الوديع على يديّ
فيهيجُ في الصمت الأنين
من نشوة؟
أم هي نبضة الألم الدفين؟
صاحتْ من الأعماق، من لَهْفِ السنينِ
لتقول لي:
مهلاً فإن الجرح يلتهم المدى
في لهفة الجسد الحزين
أشكو لنفسي من صدى نفسي
ومن شوقي الهجين!

* * *

٢ - تقاسيم على الجرح

«أحبيني مهلاً
لا تقتلْ ظلَّك في أفقي
فهواكَ يُعربد في أرقي
وتسألني أشجارُ الدُفلْى
من أنت؟
وأسألُ نفسي
هل كانت مرآتك مرآتي؟
فأراوغ أشجار الدُفلى
وتراوغني نفسي
ويُقهقه صفصافُ النهر
وتُقهقه أطياف الأمسِ
وينيخُ الليل
أجيبي مهلاً
هل أصبحَ شجو القيثار
نصلاً يغري شريان الأمس
قلبي قُبّرة حيرى
تَعْلو آفاق الغسق
وتعود إلى الفننِ
حُلماً مطويّ الثغر»!

* * *

٥ – هدى ميقاتي (١٩٥٤ -...)

هدى ميقاتي شاعرة لبنانية. من مواليد بيروت عام ١٩٥٤. بعد إتمام دراساتها الابتدائية والإعدادية والثانوية انتسبت إلى (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) في جامعة القديس يوسف (سان جوزيف) ببيروت، وهي عضو في اتحاد الكتاب اللبنانيين.

أصدرت عدة دواوين أهمها اثنان: «سنابل الليل» عام ١٩٨٩، و«رقصة الروح» بعد ذلك.

وها هو نص قصيدتها «**الصمت الأليم**»:

مِـــن أيـــن أبـــدأ فـــي المـــدى خطـــواتي؟

أمِـــن التـــواء الـــدرب أم مـــن ذاتـــي

تلـــك العيـــون توسّـــعت حـــدقاتها

ترنـــو ويرصـــدُ لؤمهـــا حركـــاتي

يـــا هـــذه الجـــوعى لـــصيدٍ مقبـــلٍ

ردّي جفونـــك عـــنّ ذرى أكمـــاتي

إن كـــان منـــي هفـــوة أو زلـــة

فإليـــك تُعـــزى كثـــرة الهفـــوات

يـــا مـــن يرقـــرق فـــي دمـــوعي دمعـــة

ويُـــــــذيب روحَ الآه فــــــي آهـــــاتي

حطــم ضـــلوعك فـــي ضــلوعي وانتـــشي

فَلــــرّب مــــوت واهـــــب الحيـــــاة

وعـــساك تُخـــرج صـــبْوتي مـــن حزنهـــا

فَيَـــــدقّ نـــــاقوس الهـــوى نبـــضاتي

البلبـــــل الـــــصدّاح بـــــدّل صـــــوته

فـــي موجـــع النغمـــات والنبـــرات

والقَطْـــرُ إمـــا ســـال مـــن سلـــساله

لـــم يلـــقَ فـــي البـــستان غيـــر فُتـــاتِ

هبنـــي شـــعاعاً كيـــف يبـــدو ضـــوءهُ

فـــي ظلمـــة طبقـــت علـــى الظلمـــات

هبنـــي عبيـــراً.. أي ريـــح صرصـــر

تلقـــي عبيـــر الزهـــر فـــي الـــشرفات

هبنـــي ســـلاماً، هـــل أُســـلّم عنـــدما

تتلاعـــب الأنـــواء فـــي مرســـاتي؟!

هبنـــــي علـــــى مـــــر الزمـــــان حكايـــــةً

هيـــــا انتـــــشلني مـــــن فـــــم الحكـــــواتي

إنـــــي تعبـــــت فهـــــل يحـــــق لرحلتـــــي

رَمْـــــيُ العـــــصا وتنهّـــــد الحـــــسرات

* * *

ومن قصيدة أخرى لها بعنوان «**لو أنها في كفيك**» تقول هدى ميقاتي:

أرســـلتُ فـــي الليـــل آهـــاتي وأشـــواقي

كـــم ضَـــيّعَ الليـــل مـــن أنفـــاس عـــشاقي

ما أنـــت يـــا نفـــسَي الـــولهى، ومـــا أملـــي

مـــا عـــاد منـــي ســـوى هـــم وإطـــراق

أترعـــــت بـــــالوهم أحزانـــــي أُميِّعُهـــــا

فاستـــــسهل الـــــوهمُ أبعـــــادي وآفـــــاقي

فمـــــن ترانـــــي أنـــــا إن جئـــــت ســـــاقية

مـــا أفـــسد الـــدنّ والخمـــار والـــساقي!

* * *

٥ - شاعرات من الأردن

أولاً – سلمى الخضراء الجيوسي (١٩٢٨ -....)

شاعرة أردنية – فلسطينية، فهي من مواليد مدينة (السلط) الأردنية عام ١٩٢٨، ولكنها من عائلة فلسطينية معروفة استوطنت في الأردن مؤقتاً.

درست الآداب العربية والإنجليزية في لبنان ولندن، ثم عادت إلى الوطن حيث قامت بالتدريس في عدة جامعات عربية، ومنها دمشق. وفي عام ١٩٨٠ أسست مشروع «بروتا» لترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللغة الإنكليزية، وهذا ما أهّلها للحصول على وسام القدس للإنتاج الأدبي عام ١٩٩٠.

وكنموذج عن شعرها نورد فيما يلي نص قصيدتين:

قصيدة بعنوان: «**هل جاءتك أخباري؟**»

«تغوص سفينتي في البحر
تغرقُ لا أُنجيِّها
صقيع الليل – يا ويلي – يُكِّدس ثلجه فيها
فلا تقــربْ
أنا الموت الذي يَغْشى
ذَرِ الأعماق لا تقْرَبْ
أنا الموت الذي تخشى
أنا الحزن القديم
أنا ارتعاش الخوفِ والعارِ

أما جاءتك أخباري؟
صقيع الليل مدّ جذوره عندي
وعسَّعش في شِغاف القلب
مَنْ يُنجيكَ من بردي؟
أحبك؟ أمسِ أحببنا
تقاسمنا جنون الدفء
غامَرنا وأخصبنا
ولما هاجت الأنواء
كنتُ أمامها وحدي!

* * *

تغور سفينتي في البحر
تغرق لا أنجيّها
صقيع البحر والذروات يحضنها ويطويها
وكم قاومت من شغفٍ
لأدفن جذوتي فيها!

* * *

تحاول جذوة قُتلت
أما جاءتك أخباري؟
أنا موتٌ على الذروات
في الأعماق
أغسل صفحة العار
أنا الموت الذي أهوى

وفي الشارع أشباح، وفي المقهى
أنا وحدي التي أحيا
طَوَتْني دون هذا العالم المحموم أرياحُ
ومزّقني نقاء الثلج
هل جاءتك أخباري؟
أنا وحدي التي أحيا
فإني متُ بالأمس
ضبابُ الليل لفّ بصمته رأسي
تُشفي الطعنة الخرساءَ من نفسي
أفيضُ نقاوة في الموت
هل جاءتك أخباري؟
أنا أمٌّ، أنا أنثى بلا حب
وأمس قضيت من عاري!

* * *

- والقصيدة الثانية بعنوان «**قصيدة لطفل**»، وهي من أمهات الشعر الإنساني:

«أراقت دماها الورودُ على الزنبق المخملي
فيا لنداوة خدُ الرجولة في فجرها الأوّلي
وكل الأزاهير أفنت عبير الوعود
على الوجنتين، على المُقلتين، على المبسم العندمِ
سراباً أراها فما للندى من وجود
على غرّة الفارس المُقْبلِ»

إلى أن تقول:

«أيا ابن الحياة

تُرى هل يلطّف هذا السماحُ الغريرُ ضراوة أشواقها؟

وهل في غدٍ تحت وَقْدِ الهجير ستعشقُ نيران آماقها؟

بلى... وستبلو صراع الحياة

إذا ما يقبّل هذي الشفاه

لهيب الحياةِ الصدي

ومن طرفكَ الأملدِ

نديم الوسن

ستزهو نجوم السعادة

وتجري دموع الشجن

ومن خفقات الفؤاد الندي

ستزهرُ نار العبادة».

* * *

٢ - خديجة أحمد رشيد

شاعرة أردنية، مرهفة الحس، فيّاضة المشاعر، يغلب على شعرها الحسّ الوطني، ولا عجب في ذلك فهي خريجة «الكلية العسكرية» في عمّان سنة ١٩٩٢.

أصدرت عدة دواوين شعرية، وتحوي عناوينها جميعاً في ثناياها كلمة «الخلود»، وكان أهمها «مواكب الخلود» عام ١٩٩٤.

أغلب ما نظمت قالتْهُ في المجال الوطني ولكنها نظمت أيضاً بعض الغزل، كما في قصيدتها التالية، التي تحمل عنوان «**عتاب**»:

تجرّعـــــت مــــن البعــــد مــــرَّ العتـــــاب

وضـــــاقت أمــــامي فــــساحْ الرحـــــابِ

وحبّـــــك يمــــــرح فــــــي أضــــــلعي

كبيـــــراً وفـــــي عنفــــوان الــــــشباب

ولكــــــنّ قلبــــــك .. مـــــاذا أقـــــول؟

ألــــــيس يُحــــــسُّ بقلبــــــي المُـــــذاب؟

تــــــشكُّ بــــــي والوفــــــا شــــــيمتي

وشــــــكك – والله – وَمْــــــضُ الــــــسراب

لهيــــــبُ الــــــشكوك غــــــزا مهجتــــــي

وأجـــــجّ فـــــي القلـــــب نـــــار العــــذاب

إذا كـــــان يرضـــــيك منـــــي الــــــذهاب

فمُرنــــــي لأذهــــــبَ فــــــوقَ الــــــذهاب

أُشــــــرِّدُ نفــــــسي ليبقــــــى هــــــواك

عزيـــــزاً فـــــلا يرتمـــــي فـــــي التُـــــراب

أصــــــون الكرامـــــــة فـــــــي ودّنـــــــا

وأرعـــــى التلاقـــــيَ دون ارتيـــــاب

أمـــا كُنــــتَ بـــالأمس ترجـــو الوصـــالَ

وكنــــــتَ تُعاتــــــبُ مـــــرّ العتـــــاب؟

أأســـــلوك كيـــــفَ وأنـــــتَ المُنـــــى

وأنـــــت الـــــسنا، وأنـــــتَ شـــــبابي!

علـــــى أنّ تقـــــواي رغـــــم الهـــــوى

وتقـــــواك فـــــي الحـــــبّ أســـــمى ثيـــــاب

ألا أيهـــــا الحـــــبّ مـــــاذا جـــــرى

أجانَبْـــــتَ فـــــي الحـــــب نهـــــجَ الـــــصواب؟

ســـــأبقى وفيـــــة – وإن جُـــــرْتَ – عمـــــري

وأمـــــري إلـــــى الله يـــــوم المـــــآب

* * *

٣ – زليخة أبو ريشة

شاعرة من الأردن، تنظم شعر التفعيلة والشعر الحر، ويظهر هذا جيداً في ديوانها الموسوم «تراشق الخفاء» الذي أصدرته في عمّان سنة ١٩٩٨، والذي اخترنا منه القصيدة التالية بعنوان «**فضيحة**»:

«تَنامين في المشتهى

آه المُشتهى على الجسر
مشروع قفز إلى القاع
حيث المدينة تنأى
وفي القاع تأكل أبناءها!

* * *

تمرّين بي
لا شرخ في الوجه غير قليل الحنين
إلى ضمّة من سهول!

* * *

ووجهي إليكِ
إذا ما مررتِ
كمثلْ حبال الغسيلِ!

* * *

مزررّة بالملاءات
صوت النساء
وغاضبة خوف حنجرتي
من غبار التأوه
في الموقد المستباح
وَأخْضلُّ.. فيما اعتراني بصوتي
وأخْضلُّ.. مائي شحيحٌ كحلم طفولتي المانحة».

* * *

٦ - شاعرات فلسطينيات

١ – فدوى طوقان (١٩١٩ -)

هي فدوى بينت عبد الفتاح طوقان، وهي شقيقة الشاعر الفلسطيني المعروف إبراهيم طوقان. ولدت في مدينة نابلس عام ١٩١٩، وأنهت دراستها الابتدائية والإعدادية في هذه المدينة نفسها، ثم أكملت دراستها الثانوية، في منزلها، برعاية شقيقها الذي كان يدّرسها الشعر واللغة العربية. وقد تأثرت بشكل خاص بالمتنبي وأمير الشعراء أحمد شوقي، وبشعر أخيها إبراهيم طوقان.

وقـــد أثّرت مرحلة النضال الفلسطيني في شعرها أيضاً، الذي يتميز بالحس الوطني وروح المقاومة وتفضيل الوطني والعربي على الأجنبي، حتى لو كان هذا الأجنبي زميلاً لها في الشعر، ويظهر هذا من خلال قصيدة من الشعر الحر نظمتها واصفة الانطباع الذي تركه لقاؤها بالشاعر الإيطالي «سالفاتور كوازيمودو» في أحد مؤتمرات الشعر العالمي بمدينة استوكهولم، حيث تقول فيهـــا:

«أي صدفة
صدفة كالحلم حلوة
جمعتنا ها هُنا
في هذه الأرض القصيّة
نحن روحان غريبان هُنا

ألّفت ما بيننا

ربّة الفنّ وقد طافَتْ بنا

فإذا الروحانِ غنوة

سبحت في لحن (موزارتٍ) ودنياه الغنيّة

إنّهُ ابن بلادي لن أضيع

قَلْبَــــهْ

إنّهُ ابن بلادي لن أبيع

حُبّــــهْ

بكنوز الأرض

بالأنجم زهواً

بالقمـــر»

ومن أجود ما قالت فدوى طوقان قصيدتها الموسومة «القصيدة الأولى»، وفيها تمثل الفتاة الشرقية التي لا تجد من اللائق أن تُبادر هي بالبوح في الحب، وتترك للشاب مهمة القيام بالخطوة الأولى، وفيها تقول فدوى رداً على سؤال صديق لها «**أتحْبُبينَني؟**»:

لا... لاتَســـسَلني لـــــن أبــــوح بــــه

ســـــيظلّ حبـــــك ســـــرّ أغـــــواري

أعطيــــه مـــــن ذاتــــي وأمنحــــه

- مــــا عـــشتُ – عـــاطفتي وإيثـــاري

أســـــقيهِ مـــــن عطـــــري، أوسِّـــــدُهُ

صـــــــدري، أناغيـــــــه بأســـــــفاري

وبعد أن يعترف لها الحبيب بحبه لا تجد شاعرتنا حرجاً في مبادلته اعترافاً باعتراف، فتقول له مثلاً في إحدى قصائدها: «ألا ليتني يا هوايَ الحبيب عرفتكَ من قبل»:

«وتحضنُ ديوان شعري يداكْ

وتقرأُ لي قصيدة حُبّ

كتبتُ سخافاتها في سواكْ

حماقة شيء توهَّمتُهُ

وحين انجلى الوهمُ أبغضْتُهُ

وأبغضْتُ تلك القصيدة!

* * *

وأنتَ تظلُّ تؤكد لي

أنّ أجمل شِعري تلك القصيدة

فألعنُ نفسي

وألعنُ طيشي القديمَ وغلطةَ أمسِ

وألعنُ تلك القصيدة

وأمضي أُتفِّهُ أبياتها

وأكشفُ زيف انفعالاتها

وألوانها الباهتات البليدة

ولكن سُدى

وتظلّ تعيدُ وتقرأُ لي أنتَ تلك القصيدة!

* * *

وفي منتهى حنقي يا حبيبي

وفورةِ غيظي أهبُّ إليكْ

وأسْعى لديوان شعري

فأنزعُهُ من يديْك

أهم بتمزيق تلك القصيدة

وتضحكُ من حنقي يا حبيبي

وثورة نفسي

وتمضي بمكرٍ لذيذٍ بريء

تؤكّد لي أن أجمل شعري

وألطف شعري، تلك القصيدة!»

* * *

٢ – سلوى السعيد (١٩٤٥)

شاعرة فلسطينية اسمها الكامل سلوى سعيد مصطفى الصغير، وهي من مواليد مدينة جنين عام ١٩٤٥. بعد إتمام دراستها الثانوية ارتحلت إلى ولاية كاليفورنيا الأمريكية حيث درست علم النفس في جامعتها، ثم عادت إلى الوطن ودرست

الفلسفة وعلم الاجتماع في جامعة بيروت، وعملت بعدئذ في سلك التدريس لمدة عشر سنوات، ثم عينت كرئيسة لقسم (الأسرة والمجتمع) في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الأردنية لمدة خمسة عشر عاماً، وهي عضو في رابطة الكتّاب الأردنيين.

من دواوينها الشعرية:

- أغاريد للحب والمنفى ١٩٨٦.
- صرخات على جدار الصمت ١٩٨٧.
- اشتعالات امرأة كنعانية ١٩٨٨.
- نوارس بلا أجنحة ١٩٩٢.

ولها عدة إسهامات أدبية وإذاعية خارج نطاق الشعر.

- مختارات من شعرها

اخترنا القصيدة التالية، بعنوان «ليت أنا» كنموذج لشعر سلوى سعيد في الغزل والبوح:

«أخضرَ العينين،

من أين تسرّبتَ

إلى جدول عمري؟

بعدما قلنا

سلاماً قد كَبُرنا، ومضينا

انثنى قلبي

وناداك حبيبي

فالتقينا!

فَرِح الحب وغنّى

رفَعَ الكون أياديه

وهنّا، وتمنّى

وتنادَتْ فاتنات الحي:

آه، ليت أنا!

* * *

أي شيء

ضجّ في قلبي، فَذَابا

يُشعل النار، ويجتاحُ حنيني

وإلى دنياكَ

يَنْثال اقترابا

لا تلوموني فقد عفْتُ العتابا

لا تقولوا وسِّدي قلْبكِ يَغْفُو

لا تقولوا هَرِمَ القلبُ وشابا

كل قول في حبيبي

لن يُجابا

زرع الشوقَ هنا في أضلعي

فتَّح الشوقُ

مواويلَ عتابا.

* * *

٣ – أنيسة درويش

شاعرة فلسطينية، من مواليد قرية «المالحة» قضاء القدس، سنة ١٩٤٠.

كانت ذروة عطائها في تسعينيات القرن العشرين حيث أصدرت عشرة دواوين بين ١٩٩٢ و١٩٩٩، وكلها تقريباً من الشعر الرومانسي كما يظهر من عناوينها (صفعات وقُبَل، ستر الليل، وأهونُ عليك، الندى الجبلي يعرق، من منكم حبيبي؟.. على خد الشعر، رقصة الجليد...) ونختار لها هنا مقاطع من قصيدتين:

١ - لسْتَ أخي

كل مرة كنت معك
ووشوشَت أصابعي أصابعك
وأرعَشتْ رسائلي مسامِعَك
أي مَلَكْ
قلها بربّك
كي أدوخ وأتبعَكْ
وأكون لك،
لن أمنعك
ما كان لي دوماً قرار
القرار كان لك
نورتُ كلَّ موانئي
توَّهت أنت مواجعكْ

* * *

٢ - قرابين

في الحبّ ضيّعني الدليل
وأنتَ ظل المُستحيل
تمدُ لي حبل الوريد،
فأعتلِي خشب الصليب
وأنتَ مسمار الحديد
تُدُمي أصابع مذبحي
من الوريد إلى الوريد.

* * *

٤ – حنـان عـوّاد

شاعرة فلسطينية، ولدت في فلسطين المحتلة، أواسط القرن الماضي، ودرست فيها، وعاشت أغلب سني حياتها في أراضيها. نالت شهادة البكالوريوس في الأدب العربي، وتمّ بعد ذلك تعيينها مُدّرسة في (كلية العلوم) ببلدة (أبو ديس) الفلسطينية.

لها ثلاث دراسات أدبية نثرية: أولاها عن القاصة الفلسطينية سميرة عزام، والثانية عن الأديبة السورية غادة السمان، والثالثة عن أثر المرأة في الشعر الفلسطيني.

أما دواوينها الشعرية فأهمها:

- الفارس يُزَفُّ إلى الوطن – ١٩٨٧.
- اختَرْتُ الخطر – ١٩٨٨.
- من دمي أكتب - ١٩٨٩.

وقد اخترنا للشاعرة حنان عواد هاتين القصيدتين:

١ - **لأني منك**

لأني منك
أختصر المسافة فيك
أمضي واثقاً..
لا تخرج الكلمات دون صدى
لأني منك
جئت إليك
أنقش في جدار الخوف غُربَتنا
وأمضي لا أرى أحداً.
متى تتوحّد الأنهار والأسرار؟
متى تتحرك الأشجار؟
متى يتمدد الإعصار؟
متى ترمي زعانفها القذائف والمدافع
في لهيب النار؟
متى تستيقظ الأخبار؟
متى يأتي الهوى مددا؟
حملتك في دمي دهرا
من الكلمات
وباسمك أنقشُ الخطوات
وباسمك تنتهي أو تبتدي الآيات
وأقُسمُ أنّ لي عمرا

- إذا ما طال –
أبلغ فرحتي الكبرى.
* * *

٢ - انتماء

«أحبُّ انتسابي إليك
أحبُّ دمي حين يمضي ويمضي
ويخترق الصعب والمعجزات
ويكبرُ بين يديك
أحب انتسابي إليك

* * *

أنا منك أبدأ عمري
وأبدأ أغنيتي أو نشيدي
ومنكَ إليك...
أخاف عليك..
أحبُّ انتسابي إليك
ويحملني الشوق
في شفتي كلام
يعانق نبض الحياة..
وهمسَ الشفاه لديك
ويطربني العشق في مقلتيّ
دموع يعانقها الحزن
في مقلتيك».

خامساً – كلثوم عرابي

شاعرة فلسطينية مجيدة سواء أنظمت الشعر العمودي أم شعر التفعيلة أم الشعر الحر، تجلّت مواهبها أيضاً في مجال الصحافة، وهذا ما أهلّها للعمل عدة سنوات في الإذاعة اللبنانية.

نشرت – على حد علمنا الشخصي المتواضع – ثلاثة دواوين:

- «مشرّدة» وتحكي عن حالها كلاجئة فلسطينية.
- «الضوء والتراب».
- «النابالم جعل قمح القدس مُرّاً».

وقد اخترنا النصين التاليين كنموذج عن شعرها، سواء من حيث الشكل، أم من حيث المضمون:

١ - قصيدة بعنوان «**لماذا؟**»

يا رفيقي ليتني أعرف ما سرٌّ طريقي؟
ليتني أعرفُ من يغرقُ في الصمت العميق؟
ويخوض البحر يحكيه حكايات غريق
أأنا ذاك الغريق أم كلانا يا رفيقي؟

* * *

نعبرُ الأيام ليلاً ونُحيِّيها نهارا
ونُغنِّيها الأماني ونناجيها جهارا
شوقنا للخلد لا يفنى كأحلام العذارى
عندما الأيام تفنى ما تُرانا يا رفيقي؟

* * *

هل أنا فكرة دهر ومضت ثم تلاشت؟

هل أنا دمعة فجر سقطت يوماً وذابت؟
هل أنا نبضة قلب عزفت لحناً وغابت؟
أما أن نقطة سرٍّ، أم كلانا يا رفيقي؟

* * *

٢ - قصيدة بعنوان «**البعض قبعات ملونة**»

عادَ الذي أحبه وليته ما عاد
عادَ من بلاد عاد
يلوك حفنة الرمادْ
هناك عاف الناس والبلاد
وقال إنه هناك ياما عانق البقر
وفي زرائب النساء قد أمضَّه الضجر
وقال إنه لو طال مكثه هناك لانتحرْ
وقالَ لي
يودّ لو يريح رأسه على يدي
لو ينام كلَّ عمره على يدي
لأنني في نفسه إخضرار الموعدِ

* * *

نظرت في عينيه مرّتين
سألته عن انطفاء النجمتين
لكنه ما قالْ
سوى كلام ملؤه ابتذال
ليته ما عاد.

٧ - شاعرات من الكويت

١ – الشيخة الدكتورة سعاد الصباح (١٩٤٢ -)

ابنة الشيخ محمد الصباح، وزوجة الشيخ المرحوم عبد الله مبارك الصباح، وهكذا هي تنتمي من حيث نسبها ومن حيث زواجها إلى أسرة الصباح الحاكمة في إمارة الكويت.

تحمل شهادة البكالوريوس في الاقتصاد من جامعة القاهرة عام ١٩٧٣، والدكتوراة في التخصص نفسه من جامعة «سارة جيلفورد» الأمريكية عام ١٩٨١.

تُسهم في رئاسة وعضوية عدة مؤسسات وجمعيات كويتية وعربية ودولية، وهناك جائزة أدبية سنوية باسمها، وأخرى علمية باسم زوجها الشيخ المرحوم عبد الله مبارك الصباح، وهاتان الجائزتان مفتوحتان لعموم مواطنات ومواطني البلاد العربية والإسلامية، ولها دار نشر باسمها.

أصدرت عدة كتب في تخصصها الرئيس وهو «الاقتصاد والتنمية»، ونشرت من نظمها عدة دواوين شعرية نذكر منها:

- أمنية – ١٩٨٦.
- فتافيت امرأة – ١٩٨٦.
- في البدء كانت الأنثى – ١٩٨٨.
- حوار الورد والبنادق – ١٩٨٩.
- برقيات عاجلة إلى وطني

وكنموذج عن إبداعات الدكتورة الصباح اخترنا القصائد الخمس التالية:

١ – كويتيـــة

يا صديقي:

في الكويتيات شيء من طباع البحر

فادرس – قبل أن تدخل في البحر – طباعي.

يا صديقي:

لا يَغرَنَّكْ هدوئي فَلَقَدْ

يُولد الإعصارُ من تحت قناعي!

إنني مثل البحيرات صفاءً

وأنا النار بعصفي واندلاعي

يا صديقي:

إنّ عصر النفط ما لوّثني

لا ولا زعزع بالله اقتناعي.

* * *

٢ – منـــاجاة

يا حبيبي لو فرشتُ الأرض من أجلكَ زهرا

وملأتُ الجو أضواءً وألواناً وعطرا

ومدَدْتُ الهدب في غابة أحلامكَ جِسْرا

ونسْجت الأمنيات البيضَ للأشواق وكرا

هانئاً يقطرُ طيباً.. دافئاً ينبض سحرا

لبدا الكون لنا من نفحة الفردوس قصرا

نحن فيه وحدنا للحب أحراراً وأسْرى
ياحبيب كَمْ ترامت لهفتي برّاً وبحرْا
كم زرعتُ الأرضَ شوقاً وسقيتُ النبتَ خَمْرا
وسمعتُ الريح تحكي آية في الصدْرِ حَرّى
أنا لو فجرّتُ دمعي ما عَدَتْ في الكون صحْرا
أنا لولا حبّك الملهم ما حرَّرتُ سطرا
يا حبيبي إنّ قلبي ليس يعصي لكَ أمرا
كلّما هيّأت لي تضحية هيّأتُ عشرا
لو طلبتَ الشمس والزهرة والأنجم طُرّا
لترامت حول أقدامك بالفرحة سَكرْى
مُرْ تجدني أجعلُ الليل إذا ما شئتَ فَجرْا
والخريفَ الجهْمَ نيساناً وألواناً وبُشرى.

* * *

٣ – المجنــونة

إنني مجنونة جداً
وأنتم عقلاء
وأنا هاربةٌ من جنّة العقلِ
وأنتم حكماءْ
أشهرُ الصيف لكم
فاتركوا لي انقلابات الشتاء.
أنا في حالة حُبّ
ليس لي منها شفاء

وأنا مقهورة في جسدي
كملايين النساء
وأنا مشدودة الأعصاب
لو تنفخ في داخل أذنـي
لتطايْرتُ دخاناً في الهواء.

* * *

٤ - قصيدة «**قطة**»

أنا في حالة عشق يا حبيبي
نَعمةٌ كبرى بأن أفتح عينـيّ صباحاً
فأرى في جانبي من أناديه حبيبي
نعمةٌ أن أشرب القهوة مابين ذراعيك
وأن أسكن طول الليل في بُستان طيبِ
نعمةٌ أن تشعر الأنثى بإنسان يغطيها
ويحميها ويعطيها مفاتيح الغيوب
أنا في كل لغات الأرض أهواكَ
فهل عندك اسمٌ آخرُ
غير حبيبي؟

* * *

٥ - وهناك قصيدة لها بعنوان «**فرحة العيد**»، من الشعر العمودي، ويظهر فيها تأثير الشاعر نزار قباني واضحاً، سواء من حيث الشكل أم من حيث الموضوع، وهي تعبر عن فرحة الأنثى واضطرابها عند اقتراب موعد لقاء الحبيب:

عيـــدي غـــداً، وأميـــري لـــيس ينـــساه

مـــا أســـعد العيـــد باللّقيـــا وأحـــلاهُ

هـــل تـــشرقُ الـــشمس إلا مـــن مطالعـــه

أو يَجْمـــــلُ العيـــــد إلا عنـــــد مـــــرآه

وأي لـــــونٍ مـــــن الألـــــوان يُـــــسعدُهُ

فكـــلٌّ لـــون لـــه فـــي الوجـــد معنـــاه

وأي قـــــرطٍ علـــــى أذنـــــيّ يـــــؤثرهُ

وأيّ عطـــــرٍ علـــــى خَـــــدَّيّ يهـــــواهُ

لا تكتمـــي الحـــقّ يـــا مـــرآةُ واعترفـــي

بـــــأيّ شـــــوق ســـــتلقاني ذراعـــــاهُ

وأي دفـءٍ يثيـــــر النـــــارَ فـــــي شـــــفتي

وأيُّ نـــــارٍ إذا مـــــا قبَّلـــــتْ فـــــاهُ

ولا يكتملُ الحديث عن شعر الدكتورة سعاد الصبّاح إلا إذا عرفنا أنها من أشدّ المدافعات عن حقوق المرأة ومكانتها في المجتمع العربي – الإسلامي – ويظهر هذا بوضوح في قصيدتها «فيتو على نون النسوة» حيث تقول:

يقولون إن الكتابة إثم عظيم

فلا تكتبي
وإن الصلاة أمام الحروف حرام
فلا تقربي
وإنّ مدار القصائد سمّ
فإياك أن تشربي!
وها أنذا قد شربت كثيراً
فلم أتسمّم بحبر الدواة على مكتبي
فما غضبَ الله يوماً عليّ
ولا استاء منّي النبي!
* * *
يقولون إن الكلام امتياز الرجال
فلا تنطقي
وإن التغزّل فنّ الرجال
فلا تعشقي
وها أنذا قد عشقت كثيراً
وقاوْمتُ كل البحار ولم أغرقِ!
* * *
يقولون إن الإنوثة ضعفٌ
وخيرُ النساءِ هي المرأة الراضية
وأحلى النساء هي المرأة الجارية
وإنّ التي تكتبُ الشعر ليست سوى غانية!
وأضحك من كل ما قيل عني

وأرفضُ أفكار عصر التنكْ
وأبقى أغني على قمتي العالية
وأعرف أن الرعود ستمضي
وأن الزوابع تمضي
وأن الخفافيش تمضي
وأنّ الأنوثة هي الباقية.

* * *

٨ - شاعرات من البحرين

١ – حمدة خميس (١٩٤٨ - ....)

شاعرة مجيدة من البحرين، وهي عضو مؤسس في «أسرة الأدباء والكتاب في البحرين».

أتمت دراساتها الأساسية في البحرين، وبعدئذ ارتحلتْ إلى بغداد لإتمام دراساتها الجامعية. وتخصصت في العلوم السياسية.

وبعد عودتها إلى بلدها قبلت وظيفة أرضية في (الخطوط الجوية البريطانية).

أصدرت عدداً من الدواوين الشعرية وأهمها ثلاثة:

- اعتذار للطفولة (١٩٧٨).
- ترانيم.
- مسارات (١٩٩٣).

وهي تنشر قصائدها الجديدة أولاً بأول في أمهات الصحف الخليجية واللبنانية. وكنموذج عن شعرها اخترنا لها هاتين القصيدتين:

١ - وقت للحب

أيها الحب
أيها اللهبُ السّري في كيمياء الخليقة
أدرْ نخبك وانتشلنا

* * *

أيها الحب
يا قصيدة الكائنات الجميلة
إملأ شعاب الأرض
وانسرب في الأصابع والصدور والأجساد
لهباً حميماً
يستعر بالطمأنينة والجذل

* * *

أيها الحب
سوف أعتلي قمم الأشجار الشوامخ
واضرب على صدري
بقبضتين من التوق والاحتراق
وادع المتعبين إلى مائدتك.

* * *

٢ - توسّل

خذوا ما تشاؤون مني

سخاء الأمومة

وطيب الرغيف

دفء الذراعين

ولوز الجسد

واتركوا لي قليلاً من الصمت

لنافذة الروح

وشيئاً من العزلة المشتهاة

لكي أتقـد.

* * *

٢ - ثريا العريض (١٩٤٨ -):

ابنة أديب معروف هو إبراهيم العريض، وهي من مواليد سنة ١٩٤٨ في البحرين.

بعد إنهاء دراساتها الابتدائية والإعدادية والثانوية في بلدها البحرين انتسبت إلى الجامعة الأمريكية في بيروت وحصلت منها على ماجستير في الإدارة التربوية، ثم تابعت دراسة مرحلة الدكتوراة في جامعة (نورث كارولاينا) الأمريكية. وبعد عودتها إلى البحرين عملت في (إدارة التخطيط على المدى الطويل) في شركة «آرامكو» السعودية.

تكتب الدكتورة ثريا العريض شعرها بالعربية والإنكليزية، كما تمت ترجمة بعض قصائدها العربية إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية.

وهاهو نص قصيدة لها بعنوان «طفلة البارحة»

زمانك أطلال الورد
والزرقة الحالمة
والفجر ذاكرة الورد
واللون والرائحة
في النسغ أنت
تنبض والبعد بالسهد
يملؤني اصطخابات صمت،
أتذكُرني؟
أنا طفلة البارحة!
والعمرُ أنت
بك الليل يبدأ
يا وجه أمي
تُرخي جدائل شعري
تُلملم عنها الهموم
ترصعُّها بالنجوم
تهدهدني لأنام.

* * *

٣ - فتحية عجلان (١٩٥٣ -   )

هي فتحية بنت عبد الله عجلان، وهي من مواليد المحرّق في البحرين عام ١٩٥٣.

بعد حصولها على الشهادة الثانوية / الفرع الأدبي، تعرّفت بالشاعر البحراني المعروف علي الشرقاوي الذي دعمها في بداية مسيرتها الأدبية. تنظم القريض (أي الشعر الفصيح) والنبطي (الشعر الخليجي الشعبي)، ولها – على حد علمنا الشخصي المتواضع – مجموعتان شعريتان: أشـــرعة العشق (١٩٨٤)، جئت فغادرت دمي.

وهاهو نص قصيدة لها بعنوان «الانتظار»

ما بين ضلوعي والجلدْ
خبأت عيونك
ورحلتُ بلاداً لا تحمل اسماً
لا أشخاص ولا أشجار
وفتحتُ ضلوعي
أخرجتكَ ليلاً
سامرْتُ عيونك
راقصتُ ثيابك بالأفراح
قبّلت أصابع كفّك بالودّ.
الأرض هنا قاحلة
لكنّ حبي يروي قلبكْ

يجعله بستان عصافير
وخلقتُ جسوراً وبحورا
نعبرها بالأشواق
مابين ضلوعي كان الطفل النائم حُبّكْ
كان الورد الزاهر حُبّكْ
كان العشب الحالم قلبُكْ
أين عيونك؟
أعرفها في كل العالم
كانت تُعلن شيئاً
كانت تُعلن
كانت....!

* * *

٩ - شاعرات من الإمارات

١ – ظَبْية خميس (١٩٥٨ -)

واحدة من أشهر شاعرات دولة الإمارات العربية المتحدة في العصر الحاضر. اسمها الكامل ظبية خميس السلماني، وهي من مواليد مدينة دبي عام ١٩٥٨.

تحمل بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة إنديانا الأمريكية، وأتمت دراساتها العليا في جامعتي إكستر ولندن البريطانيتين في عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٧، ثم درست في الجامعة الأمريكية بالقاهرة بين ١٩٩٢ و ١٩٩٤.

نشرت حوالي عشرة دواوين بين ١٩٨١ و ٢٠٠٠، وكلها من نوع الشعر الحديث أو قصائد النثر، وأهم هذه الدواوين: خطوة فوق الأرض، أنا المرأة الأرض كل الضلوع، صبابات المهرة العمانية، قصائد حب، السلطان يرجم امرأة، حبلى بالبحر، انتحاره هادئ جداً، موت عائلة...

وها هي بعض قصائدها:

١ – حُمّى:

ارتعش أيها الجسد

انفض العرق وتوحدْ

ارتعشْ لا خوفـــاً

لا مَرَضاً، لا حزناً

ارتعشْ بغضاً وحبّاً.

* * *

٢ – رغبـــة:

هذه الليلة أريد أن أرقص

بشهوة اللبوة

أسكر كقطة

وأعطي جسدي كامرأة

لا كفكـــرة.

* * *

٣ - مفقودة كوردة:

كفصول العام أتيت

صيفاً سكنتني

خريفاً بالحزن طاردتني

شتاء بمواعيد الخصب وعدتني

وها أنت يجيء الربيع ولا تأتي معه!

* * *

٤ – مفقود:

هل أنت أيها الحب مستحيل

كفرح أطفال المدن الحزينة

موت العصافير في طرق المدينة

والقبلة المسروقة التي تضيع

ولا يبحث عنها شاعر؟

أيها الحب،

العالمُ بحاجة إليك

وأنـــا كذلك.

* * *

١٠ - شاعرات من ليبيا

١ – صبرية العويتي / ليبيا (١٩٥١ - ١٩٨٣)

من مواليد دمشق ١٩٥١، وهي ابنة أسرة ليبية هاجرت إلى سورية هرباً من الخضوع لمفاسد الاحتلال الإيطالي الذي دام ثلاثين سنة (١٩١١–١٩٤١). أنهت دراستها الأساسية في مدارس دمشق، ثم عاشت فترة من حياتها في سورية. وبعدها عادت مع أفراد عائلتها في مطلع الستينيات إلى وطنها الأم.

حصلت على درجة الليسانس في القانون من جامعة قاريونس في بنغازي عام ١٩٧٨، وهذا ما أهلّها للعمل كمستشارة قانونية في بلدية طرابلس.

نشرت عدداً من قصائدها في دوريات مشرقية وليبية، وجميع هذه القصائد من الشعر العمودي، وكان إنتاجها يبشر بمستقبل شعري واعد لولا أن اختطفها الموت - وهي في ميعة الصبا - عام ١٩٨٣.

يتسم شعرها بالحيوية والتــدفق، وقد اخترنا لها هذه القصيدة:

عــودة :

قالــــتْ نـــدمتُ ولـــؤم الــــنفس يكفينـــــي

لا القلــــبُ نـــاسٍ ولا الأيـــــام تتـــسيني

إنــــي هجرتــــكَ والآهـــاتُ فـــي كبـــدي

أي التمائم من ذا السُقم يشفيني؟!

أي القصائد للغفران أَذْبحها

في معبد الصفْح من روحي وتكويني

أي الورود بلون الحب أزرعه

من روعة الأمس أم مِن رقة الحين؟

عَرَفْتُها ذلةً ما كنتُ أقصدها

أو هفوة خالها الواشون تُرديني

لو كان شوقي لكَ التعداد مبلغه

لفُقتُ بالعدِّ ما فوقَ الملايينِ

فاسمع كوامنه في النفس مُضرمةً

في لُجة القلب، في عمق الشرايينِ

في الروح يهتف باسم أنت مُسطِرهُ

كالمسكِ كالطيبِ في كل الأحايين

دعني أُعيد بقايا من قصائدنا

فما سقيتك مما كنت تسقيني

فَما شممتُ وروداً غيرها عَطراً

يُـــصغى إليـــه، وأصـــغي إذ تتـــادينى

ومـــا عـــساك ضـــياء الـــنفس تمـــسكه

عينـــاكَ تقـــسمُ أنْ بـــالروح تفـــديني

فـــاتركْ يـــدي لهـــواكَ كـــي تُلملمـــهُ

لبيّـــت ألـــف نـــداء.. لـــو تتـــاديني

* * *

٢ - زاهية محمد علي (١٩٦٤ – ١٩٨٦):

شاعرة ليبية ماتت في ريعان الشباب حيث ولدت في مدينة المرج، على مقربة من بنغازي عام ١٩٦٤. وتوفيت بحادث سيارة على الطريق المؤدية إلى مدينة سِرْت، على الساحل الليبي.

بعد إنهاء دراستها الأساسية في مدينة المرج، انتسبت زاهية إلى كلية الآداب في جامعة قاريونس (بنغازي)، ونالت الإجازة (الليسانس) في قسم الإعلام سنة ١٩٨٥.

واستلمت بعد تخرجها رئاسة (وكالة الأنباء الليبية) إلى أن عاجلتها المنية بحادث سيارة بعد سنة واحدة فقط من تخرجها واستلام وظيفتها الإعلامية.

نظمت زاهية الشعر منذ انتسابها إلى الجامعة، ونشرت بعض قصائدها في الدوريات الليبية، وبعد وفاتها المفاجئة تم جمع أغلب قصائدها في ديوان واحد بعنوان «الرحيل إلى مرافئ

الحلم»، وصدر عن دار الجماهيرية للنشر في طرابلس الغرب عام ١٩٨٩.

وشعر زاهية من نوع الشعر الحرّ الذي لا يتقيد بقافية أو حتى بتفعيلة، ولكنه يعتمد على الصور الشعرية الرمزية في غالب الأحيان، كما يظهر من قصيدتيها التاليتين:

١ - موعد بدء الختام :

هي الوحدة الآن تغتالني
ويسحقني هذا السكون البليد
تتفتح ذاكرتي الآن
للقـــاء قديم
وتمضي مختارة
مواعيد أحزانها.
كان شتاءً طويلاً
انهالتْ دموع السماء
وامتزحت بحنيني
هوى النجم القتيل
وبقي نجمٌ وحيداً

* * *

من يغمد سكينه في جراحي؟
من يمنحني راحة الموت فأهوي
كبنفسجة ذابلة.

إن ركاماً من الحزن يغتالني
فأطوي أمام الرياح شراعي
وأحفر في سفْر الجنون
موعد بدء الختام!
على بعد خطوة واحدة من حبيبي
استدار الرصاص إليه،
يُعذبني وجهه، وتلك العيون الحبيبة
حين تجيء في هدأة الليل
فَيُوقظ فيّ طائر المساء الجميل
شهوة للرحيل
ورغبة في البكاء،
يجذبني الحلم المستحيل
فتعشوشب الذاكرة
وتنهض في القلب غابات
وتصبو السنابل
للركض بين الحقول!

* * *

حينما ألغت الأرض مواعيدها
وأغلقت صدرها دون اللقاء
غطّى الرماد الفصولْ
قبل الوصولْ

* * *

وردة للفقير المقاتل
الذي لامس الشمس
ونما الموجُ بين كفيه
واستحال الجرحُ... رصاص!

* * *

وردة للفقير القتيل
الذي استنهض العِشقَ فينا
ولم يستكنْ لأوجاعه، ولم يَنْحن
واقفاً صلبوه، ولم ينحن.

* * *

٢ - قصيدة عن البوح والموعد الآتي:

لغـــةٌ... لُغـــةٌ
لغةٌ وحروفٌ ساكنة
لا تعرف كيف تُترجم هذا الوهج المتدفق
يَسْكنني الفقراء
تَسْكنني أنت
ويبحثُ عنك الفقراء
وكل المقهورين ينادونَكْ

* * *

تَعبٌ أنت ومرهق
وأَعرفُ أن الليل كئيب

لكن الزهرة تفتح كفيّها
تدعو عند الفجرْ
وأنت تنام
سويعات ثم تقوم
وتدعو كالزهرْ
كما قلبي المسكون بكل الفقراء
كما البحر حين يقذف وعداً
فتتلقّفه السُحُبْ
وتُرْسِلُ أولى بشائرها

* * *

أغفو ثم أَعِبُّ
في الحلم
رائحة الأرض المُشبعة
بالوعد والحب.

كلٌّ لغات العالم ترتبك
وهذي حروف لا تتسع لحجم الأمل
لا تعرف كيف تُترجم
هذا الوهجَ المتدفّق كالحمم!

* * *

أنتظر متلهفة فتعلمني كيف تبدأ
الأرض دورتها

وأعرف فيك
مواسم ترحل نحو مواسم أخصب
ومد أخضر
يا لغة الأرض
يا لغة العُشّاق
والفقــراء.

* * *

١١ - شاعرات من تونس

١ - زُبيدة بشير (١٩٣٨):

شاعرة تونسية من شواعر الرعيل الأول، ولدت في قرية (سيدي يوسف) يوم الثامن من شباط ١٩٣٨.

في عام ١٩٥٧ بدأت تعمل مذيعةً ومقدمة برامج في الإذاعة التونسية، وقد تدّرجت بعد ذلك في المناصب الثقافية والإعلامية.

نَظَمتْ أول قصائدها وهي في سن السادسة عشرة ومالت إلى أسلوب شعر التفعيلة كما يظهر من قصيدتها هذه التي تحمل عنوان «فراق» حيث تقول:

لَمْ نجدْ بدّاً من الصبر على مُرّ الفراق
فافترقنا،
أتُرى من أجل هذا

قد خُلقنا؟
كم تحامقنا
فلم نحفل
بما قد كان
ولا ما قد يكونْ
فاحترقنا
إذ عَبَرنا بالهوى حدّ الجنونْ
وأخيراً كان لابد لهذا أن يكونْ!
* * *
كان لابدّ من السير كلانا
في الطريق
ثم يَسعى ليرى في إلفه
وجه الطريق
وكأنا لم يكن يجمعنا حب عميقْ
وليال لم نَزل منها سكارى لا نفيق!
* * *
آه كم أغرقنا فيض الخيال
فاندفعنا خلف وهم كاذب
صعب المنال
كل ما فيه محال
وانتظار للمحال!
* * *

أي سُخف هذه الدنيا وأحلام الهوى
أصحيح أن ماضينا بما فيه انطوى؟
وشبابي ما ارتوى منهُ
ولا قلبي ارتوى
ليتني أنسى ولكن
أي شيء فيك يُنسى
نُبْلُ إحساسك
أم طيبة قلبك؟
أم سجاياك التي جَلّتْ عن الوصف
وما ألقى بِقربك

* * *

شـــاعري
لابأس من هذا سنبقى أصدقاء
دون أن يجمعنا درب اللقاء
نحن روحان غريبان
كان لابد من الفرقة يوماً
فافترقنا
أتُرى من أجل هذا
قد خُلقنا؟

* * *

٢ - رقية بشير (١٩٤٩):

هي رقية بنت عبد السلام بشير، من مواليد مدينة المنستير التونسية. بعد إتمام دراستها الأساسية التحقت بمدرسة ترشيح المعلمين، وبعد حصولها على شهادة أهلية الترشيح التحقت بدار المعلمين في مدينة تونس العاصمة فنالت الإجازة في تدريس اللغة العربية وآدابها.

عملت في التدريس بمرحلتيه الابتدائية والثانوية. وقُبلت عضواً في اتحاد الكتاب التونسيين.

اشتركت في العديد من اللقاءات الشعرية في تونس و«المربد» في العراق.

نشرت ثلاثة دواوين شعرية: (لم الحزن؟ ١٩٩٦)، (عبير الروح ١٩٩٧)، (ظلال أرجوانية ١٩٩٩).

يصفها «معجم البابطين» بأنها «شاعرة وجدانية اهتمت بعالمها الداخلي الحقيقي والمتخيل، كتبت الشعر العمودي في الأغراض المألوفة من وصف وحنين ومدح وشعر مناسبات، كما سطرت قصيدة لأحمد شوقي.

نزعت بشعرها إلى الدفاع عن قضايا المرأة، ورفض أية نظرة دونية تجاهها.

لغتها عذبة رقيقة ومعانيها واضحة. وكنموذج عن شعرها في البوح والغزل نورد لها هذه القصيدة:

اعتراف

برغم الفراق فإن خيالك

يبقى معي، وهو دوماً بقربي

فكلّ النداءات صوتك أنت

وفي كل وجه مُحيّاك يُسبي

وحيث اتجهتُ مثلتَ أمامي

كأنَّ الزمان رماك بدربي

أراني أسيرةَ حُبّك دوماً

فرغم التجنّي علقت بقلبي

فلا الفكر يقوى على رد سيْلٍ

ولا القلب يسلو هواكَ فحسبي

أراني كلوحٍ به اليمُّ يلهو

إليكَ انسيابي بروحي ولبّي

فأينَ ليالي الشقاء الطوال

وأين دموع الجفاء بقلبي؟

وأين اليمينُ التي لم تَصُنها؟

بـــــوهم رددتَ جميلـــــــي وحــــــــدبي

بــــسيفٍ طعنـــــتَ فـــــؤادي فأمــــسى

طـــــريح الـــــشكوك، وضَـــيَّعتَ دربـــــي

أتــــــوق إليـــــكَ ولـــــــيس بمُلكـــــــي

فلـــــيس خلـــــيٌّ الجنـــــان كَـــــصَبِّ

ولـــــو أنَّ لـــــي قـــــدرةً لرضـــــيتُ

بمــــوت الـــشعور، وحجّــــرت قلبـــــي

فمــــوتُ الـــــشعورَ يـــــسيرُ ولـــــيس

كــــذلِّ شــــعوري وعـــــصيان لبـــــي

أعـــــيشُ ممزقـــــةً دون حـــــولٍ،

ودون اتــــزانٍ، فمــــا هـــو ذنبـــــي؟

تُرانـــــي أحطـــــمُ قيــــدي وأنـــــسى

حنينـــــي إليــــك لأحيْـــــا كـــــدأبي

ســـأحيْا وأحيـــا، ولـــو ظـــلّ قلبـــــي

يحــــنُّ إليـــكَ لحطَّمـــــتُ قلبـــــي!

* * *

١٢- شاعرات من الجزائر

١ - مبروكة بوساحة (١٩٤٣):

شاعرة جزائرية من مواليد مدينة تيهرْتْ (تيارتْ) في منطقة الغرب، سنة ١٩٤٣. كانت من أفراد الدورة الأولى من الصحفيين والمذيعين الذين تخرجوا من القاهرة سنة ١٩٦٣. عند عودتها إلى الجزائر المستقلة باشرت عملها في الإذاعة الجزائرية ومقدمة برامج بالعربية. وأثناء عملها في الإذاعة تعرفت بالشاعر الجزائري المعروف محمد الأخضر السائحي وقَرأَتْ عليه بعض أبيات الشعر التي نظمتها فصوبّها لها وشجّعها على المتابعة والنشر، وهذا ما تمّ فعلاً، حيث أصدرت ديوانها الشعري الأول بعنوان «براعم» سنة ١٩٦٥.

ولم نعثر على قصيدة حبّ في شعر مبروكة الذي وصل إلينا، ولكننا عثرنا على هذه القطعة الجميلة لها في وصف يتيمة محرومة من المأوى، وهي بعنوان «رأيتها»:

رأيتهـــا تحـــت لفْـــحِ البـــرد راعـــشةً
محنية الرأس مـــن حـــزن ومـــن ألـــم
علـــى رصـــيف تنـــاهي فـــي تآكلـــه

ممـــا يعـــاني مـــن الأهـــوال والقـــدم
والليـــل يزحـــف أمواجـــاً وأشـــرعة
كالبحر لكـــن علـــى داجٍ مـــن الظُلـــم
ويرســـم المـــوت أشـــكالاً ملونـــة
بـــالجوع بـــالبردِ أو بـــالطول بالـــسأم
تكوّمـــت مثلـــه يـــا ويلهـــا جـــسداً
على التـــراب ترامـــى غيـــر منـــتظم
تـــئن مـــن فـــرط أوجـــاع مُكتّمـــةٍ
والحزن مهما تـــوارى غيـــر مُكْتَـــتمِ
قـــرأتُ فـــي وجههـــا يُتمـــاً يُحبِّبهـــا
واليـــتم يعطـــي اليتـــامى أنبـــل القـــيم
فثوبها كـــان ذا مـــاض وإن عـــصفت
به العواصف مـــن فقـــرٍ ومـــن ســـقَم
ووجههـــا الآن أمـــسى غيـــر منـــتظم
فـــضاع إحـــساسُها بالـــضرّ والألـــم
حيَّيتهـــا وانتظـــرتُ الـــردّ فانتفـــضت
من شدة الخوف وانكّبت علـــى قـــدمي
وأجهـــشتْ ببكـــاءٍ ظـــلّ متـــصلاً

بكـــاء منقطـــع فـــي النـــاس منفـــصم

فكنـــتُ ألمـــسُ أعمـــاقي يمزقهـــا

ذاك النشيجُ وأحسستُ اللّظـــى بـــدمي

ورحـــتُ أســـألها والحـــزن يـــأكلني

والروح والقلب والأحشاء فـــي ضَـــرَمِ

وقلتُ من أنتِ يا أختـــي فمـــا نَطَقَـــتْ

مـــن حزنهـــا بإشـــارات ولا كلـــم

لكنهـــا عرفـــت أنـــي مواســـية

والفقـــر يجمـــع كـــالقُربى وكـــالرحم

وحـــدّقت فـــيّ وافتـــرت مُغمغمـــةً

تقولُ يا ليتني مـــا جئـــتُ مـــن عَـــدَمِ

* * *

٢ - الوزّانة بّخّوش:

ولدت في منطقة الأوراس (الشرق الجزائري) ولها ديوان واحد تذكرنا فيه بأمجاد الأندلس، إذ أنه بعنوان «أنغام قرطبة».

وقد اخترنا لها القصيدة التالية بعنوان «ربيع سلمى»:

سلمى تعانق صدر الزمان

تعانق فجر الأمان

وتبقى حزينة،
لقد فجرّت من جديد
عيون المدينة،
وكلّ الطقوس القديمة
لذاكَ سباها الزمان
وخطَّ عليها بلون البنفسج
وأجهضها ألف مرة
كعصفورة من رماد
كقطعة خبز تقوم للجائعين
لكل زبون
فمنها سرير لكل الفنادق
ومنها رصاص لكل البنادق
ومنها السلام
ومنها سلالم هذا الزمان
الذي حوّلوه لصرخة طفل
لموت الزنابق في كل كف
وسلمى تغادر هذا الزمان
الذي غدروه بطعنة خنجر
وهم قيدوه بقيد عصّي، عصيّ
وسلمى تودّع هذا المكان
الذي أجهضوه
وخطوّا عليه بلون البنفسج

وسلمى تودعنا للحياة
للون الزهور...
لإشراقة الشمس فوق الصقيع
لدفء الربيع
وعطر القرنفل.

* * *

١٣- شاعرات من المغرب

١ - مليكة العاصمي (١٩٤٦):

شاعرة مغربية من مواليد مدينة مراكش سنة ١٩٤٦. بعد تخرجها من الجامعة عملت في البدء مديرةً لمدرسة ثانوية، ثم أستاذة في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط.

عملت في الصحافة أيضاً (جريدة ومجلة الاختيار) وفي السياسة (نائبة رئيس بلدية مراكش).

أهم دواوينها الشعرية اثنان: (كتابات خارج أسوار العالم – ١٩٨٧)، (أصوات حنجرة ميتة – ١٩٨٩).

وهذا نموذج من شعرها في قصيدتها الموسومة «وثيقة لم توقع»، وهي من نوع الشعر الحر:

وطال الانتظـــار
لم تحدث المفاجأة

سور الحديقة استطال
يا ليلتي
لو أن طابعاً قد استدار على شفاهي
كنتُ غيّرت المسير
وكنتُ قد كتبت
حَرْفي الأخير في العذاب
لو أنني طبعت كالرسائل.. البطائق
لو أنني وقّعت كالوثائق
لو أن لمسة خفيفة مدّورة
من طابع مدّورٍ قد مسحت شفاهي
لكنتُ قد أمضيتُ تحتها تعهداً
ألا تمسّها لا رفَّة الهواء
ولا ارتعاشة العصافير
التي تنفض ريشها مع الصباح
لكنتُ متُّ ألف مرة
من قبل أن توثقني قيود راشقي القصب
لكنتُ كسرت الحجالَ والأفكارَ والذهب
وصحتُ في سمع الزمان
بالحبّ والعذاب
لكنتُ قطعّتُ الحبال
أقمتُ ألفَ سور ألف حائط محال

أمام أنفي وأمام كل منفذ يربطني بخط الاستواء
لكنتُ قد شهقتُ شهقةً ثم همدت
أطوي سعادتي معي
وأركبُ الزوارق البعيدة
تحملني أجنحة الخيول والنسور
إلى شواطئ الجبال
إلى شواطئ النور وغابات الظلال.. إلى الضلال.

* * *

٢ - حبيبة الصوفي (١٩٥٣ -):

حبيبة شاعرة مغربية من مواليد مدينة مراكش عام ١٩٥٣. بعد إتمام دراستها الابتدائية والثانوية حصلت على ليسانس في الآداب، ودبلوم الكفاءة العليا في التربية وعلم النفس. لها إبداعات أدبية وشعرية عديدة أهمها هي الدواوين الثلاثة التالية (دمعة الجيل الحزين ١٩٩٧، مرايا تعكس امرأة ١٩٩٨، آدم الذي ١٩٩٨...).

- وقد اخترنا لها القصيدة التالية بعنوان «**إنك أوحدَ**»:

أنتَ نهرٌ من الخيال تمرّدْ
بفؤادي، فمالَ قلبي وعربَد

أنتَ يومي الذي أُعذّب فيه

وغدي أنت والمضيُّ المجدَّدْ

التقينا مع السعادة نحيا

رقصتْ أضلعي وقلبي زغرد

ولثمنا الورود نبغي شذاها

ورآنا الهزارُ نشدو فَقَلّدْ

وأمرنا الغصون ترقص سكرى

وعلى الورد إذا أشرنا تورّدْ

وأشرنا على الهناء فلبّى

وعلى الطير أن يُغني فغرّد

ونسيم العشِّي رتّل شدوي

وأنا أنت في النسائم شُرّد

والندى يلثم الأقاحي بأمري

ورنا الوردُ، والعبيرُ تنهّدْ

لا تلُمني فأنت سحر وجودي

بعثَ الله سحرهُ لِمُسهّدْ

التقينا، ففي الخلائق زهدي

وشعار الفؤاد (إنّك أوحد).

* * *

١٤- شاعرات من موريتانيا

أولاً - السيدة بنت أحمد (١٩٧١):

شاعرة موريتانية، ولدت في «ارشيد» عم ١٩٧١. وبعد إتمامها الدراسة الإعدادية والثانوية انتسبت إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة «نواكشوط»، ونالت شهادة البكالوريوس منها عام ١٩٩١. تصدر صحيفة أدبية بعنوان «الشموع»، وهي شاعرة ناشطة في ميدان نشر المقالات وإلقاء المحاضرات.

تستخدم الشعر العمودي في قصائدها، كما يظهر من قصيدتها التالية التي تحمل عنوان «**فتاة حالمة**»:

لـــيس فــي الكـــون طِلَّـــسمٌ وظـــلامُ

فلمـــــاذا بعـــــضُ العيـــــون تنـــــام

هـــــذه نـــــشوة الربيــــع أطلّـــــتْ

بـــــــسمات تزفّهـــــــا الأيـــــــامْ

فابتـــسمْ حـــين تعتريـــك المآســـي

خيـــر مـــا فـــي حياتنـــا الابتـــسامُ

أنـــا طاعنـــتُ الأســـى بقـــصدي

فأذابـــــت مَخـــــاوِفي الأســـــقام

وتواريـــتُ فـــي متاهـــات خـــوفي

وشـــــــعور تحفـــــــه الأنغـــــــام

فعرفـــــتُ الـــــدموع حـــــين توالـــــت

بعـــــضها صـــــادقٌ وبعـــــضٌ زكـــــام

وعرفـــــتُ الرفـــــاق حـــــين تـــــآخوا

بعـــــضهم صـــــادق وبعـــــض لئـــــام

وعرفتُ الأعمـــال مـــن كـــل صـــنف

يَسْعَدُ المـــولى حـــين يـــشقى الغُـــلام

وعرفـــــتُ الغنـــــي يجمـــــع كنـــــزاً

بينمـــا الـــبعض لـــم يَـــزُرْهُ الطعـــام

هكـــــذا ســـــنّةُ الحيـــــاة ســـــفينٌ

لـــــيس للـــــراكبين فيـــــه زمـــــامُ

وطريـــقٌ بـــين الأســـى والأغـــاني

فيـــه للـــشوك والـــورود خـــصام

كـــم نثـــرتْ الـــدموع خوفـــاً وشـــوقاً

فـــــسقتني بكأســـــها الأوهـــــام

غير أني خرجُت مـــن عمـــق بحـــري

ومعـــــي عقـــــد لؤلـــــؤ لا يُـــــرام

* * *

٢ - خديجة عبد الحي (١٩٦٥):

شاعرة موريتانية من مواليد بلدة «المذْرَذُرَة» عام ١٩٦٥.

درست التعليم الابتدائي على يد والدها، ثم انتسبت للتعليم النظامي فحصلت على الشهادة الإعدادية في عام ١٩٨١، ثم على الشهادة الثانوية/ الفرع الأدبي عام ١٩٨٤، ثم على شهادة «التبريز» من (المدرسة العليا لتكوين الأساتذة) في نواكشوط عام ١٩٨٨.

بعد بداياتها الأولى في نظم الشعر حصلت في عام ١٩٨٩ على الجائزة الأولى للشعر النسوي في موريتانيا!

مارست الشعر العمودي الموزون، والشعر الحر، ولقد اخترنا لها هذا النصّ نموذجاً عن شعرها:

١ - نجوى الأصيل:

حلم تملْمــل بالأصــيل ولــم تَــزُل

أصداؤه لحنــاً تمــوّج واضْــمحل

وصـــدى التمـــاس حـــائر متـــردد

في قمقـــم الإهمـــال يـــئِنّ بالملَـــلْ

حرزٌ كأوكـــار الـــسحالي تحتمـــي

في ظلّ عفريت كنحس قـــد أطـــلّ

يرمـــي الهـــدايا ضـــاحكاً وكأنمّـــا

قطع من القلــق المركــز كالوحــل

لا درّ يُرجى مــن وهــاد أُترعــت

من نقع طير الشؤم تروي كالطلــل

تنفــي تراتيــل الوجــود بقبحهــا

وتذيب ملح الرفض في لجج الضحلْ

مافي الخطابــات الطويلــة ســلوة

خسئت خطابات الحديث المُرتجــل

جـــرحٌ مهدئـــة تزيـــد عناءنـــا

سهماً يقينا وحــدنا حــول المطــلْ

يتهجّــد الأشــباح فــي محرابهــا

مستغفرين بحمد عفريــت الــدجل

وخيوط نسجْ الوهم فــي أيــديهمو

خاطّوا الحجاب بها على وهج العقل

لتطلّ من خلــف الــستائر زمــرة

في الكهف لا يدرون ماذا قد حصل

يلهون فــي أوديــة درجــوا بهــا

واســتعذبوا فيهــا أفــانين الزجــل

* * *

١٥ - شاعرات من بلاد عربية أخرى

١ - زكية مال الله - قطر:

شاعرة قطرية من مواليد مدينة الدوحة عام ١٩٥٩. بعد إتمام دراستها الأساسية شدت رحالها إلى مصر وحصلت من جامعة القاهرة على شهادة بكالوريوس في الصيدلة عام ١٩٨٠، ثم على الماجستير عام ١٩٨٥، ثم الدكتوراة عام ١٩٩٠.

لكن الصيدلة ودراسة العقاقير لم تُنْسها هوايتها الأولى في الكتابة الأدبية وقرض الشعر وأصدرت عدة دواوين شعرية: (معبد الأشواق- ١٩٨٥، ألوان من الحب – ١٩٨٧، من أجلكَ أغني – ١٩٨٩، في عينيك يورق البنفسج – ١٩٩٠، أسفار الذات).

وها هي مقتطفات من قصيدة لها بعنوان «**اعترافات**»:

أعرفُ أنّي
مخلوق من طين الأرض الَّلازب
تمضغني أفواه البؤس
تلفظني أكوام شقاء
قد كنتُ لأولد في رحم الأوراد
وما رضعتْ فوُهي أثداء
أضرمْتُ لأعوامي المصلوبة
أعوادَ ربيعي

واحترقَتْ تلك الأعواد
وما انْسَرَبَتْ قطرات الماء
أعرف أني
تحملني ذرات الريح
تنثرني أنسامُ الفجْر
أجهض في ليل الغرباء
بأنّي كنتُ وما كنتَ
وَبكُلّي أوغلتُ ولذْتُ
ولعلّي ما كنتُ خُلقْتُ.

* * *

٢ - آمال الشامي - اليمن (١٩٥٦ – ٢٠٠٠):

هي آمال بنت محمد علي الشامي، من مواليد مدينة صنعاء عام ١٩٥٦. بعد إتمام دراستها الابتدائية والإعدادية والثانوية حاولت أن تكتب بعض التمثيليات الإذاعية، والانتساب إلى جامعة صنعاء، ولكن ظروفاً نفسية معينة سببت لها نوعاً من حالة إحباط حادة جعلتها تُحرق مكتبتها الخاصة بها وجميع أوراقها العلمية والشخصية! ثم لم تمهلها الحياة كثيراً بعدئذ حيث توفيت في العام ٢٠٠٠.

يصفُها معجم البابطين بأنها: «شاعرة ذاتية تنوعت كتابتها على مستوى الشكل الشعري بين الموزون المقفّى والكتابة على الشعر التفعيلي باستخدام السطر الشعري الذي يطول ويقصر

تبعاً للمعنى والدفقة الشعرية. تنوعت موضوعاتها بين التعبير عن المشاعر والحب والذكريات، ورصد صور الحب في التراث، وتصوير آلامه، وذكر همومها الشخصية، ونقد الأحوال الاجتماعية للمجتمع، وخاصة أوضاع المرأة فيه».

وكنموذج عن شعرها نورد لها فيما يلي قصيدتها:

معنى الحب

جميــــل أن أرى قلبـــي ... يُغنــي واضـــحَ المعنــى

فلــولا الحــب للفنّـــا ... ن يهدي الشوقَ مـا غنّـى

تعــالوا واســمعوا قلبــي ... فقــد صــاغ الهــوى لّحنْــا

ومــن يــدري فقــد يبقــى ... هوانــا الحلــوُ مــا دُمنــا

ونسمو بالــذي فــي الــرو ... ح فــوق مواكــب المَغْنــى

* * *

سألتُ العلــم معنــى الحــبِّ ... قــال الحــبُّ كــي تَرْضــى

ســألتُ كــذلك التاريـــ ... ــخَ قــال يعــالجُ المرضــى

ســألتُ الــوردَ والأزهــا ... رَ والأقمـــارَ والأرضـــا

فقالوا: لــيس غيــرُ الحــبِّ ... ســيفاً يهــزمُ البغـــضا!

* * *

أحـــــبُّ لأننــــــي أدري بحبــي مــا هــي الــدنيا

علـــومُ الحـــبِّ آخُـــذها مـــن الأمـــوات والأحيـــا

وأجمل ما يُرى فــي الحــبِّ لـــون الكـــون ورديـــا

أحــبُّ فـــلا بغيــر الحــب أشـــعر أننــــي أحيـــا

* * *

٣ - ميهرفان خاتون:

ميهرفان خاتون، هي شاعرة كردية عاشت في أرض العراق، أوائل القرن التاسع عشر للميلاد. كانت تقطن مع عائلتها في بلدة «برواري» التابعة لمنطقة «العمادية» في لواء الموصل، وقد رآها صدفة حاكم البلدة المُعيّن من قبل السلطات العثمانية، وكان أميراً معروفاً في كل المنطقة. وكان أن وقعت «ميهرفان» موقعاً حسناً في قلب الأمير فطلب يدها، ووافقت أسرتها على الطلب، ولكنّ الفتاة لم توافق لأنها كانت تحبّ ابن عمها منذ نعومة أظفارها، وقد تعاهدا على أن يكون كل منهما للآخر.

وعندما حاولت والدتها أن تضغط عليها كي تقبل الارتباط بالأمير الحاكم، ردّت عليها ميهرفان بهذه الكلمات التي أصبحت «قصيدة حب» يحفظها الشباب والصبايا الأكراد عن ظهر قلب.

قالت «ميهرفان» لأمها في وصف ما تعانيه:

ماذا أقول، ماذا أوضح، ومن يعلم بحالي؟
سوف أُظهر المكنونات الخفية
آه من هذا الألم الموجع؟
آه من العشق والغرام
الذي جعلني نائحة باكية؟
من يحمي جروحي وآلامي
وفي قلبي مائة آه والألم؟
إنه ألم عضال
ذلك الذي محا عقلي وإحساسي!
أصبحت وحيدة في هذه الدنيا
من رأى هذا في حياته؟!
لم يَبْق لي صبر ولا استقرار
وأصبح قلبي قطعاً متناثرة
وروحي شعلة من اللهيب الذائب
أصبحتُ عظماً ودماً (فحسب)!
إن القلب واحد لا يتعدّد
ولا يحيد يميناً أو يساراً
(إنه) شيء لا يُباع ولا يُشرى
وليس أمره بيد الشيوخ ورجال الدين
إن نفذ إلى قلبين لا يمكن فصلهما!

إنّ العشق آية يتلوها الإنسان

ولا يفهم معانيها الذاتية

ليس في دنيا الغرام.

وضيع ورفيع

وليس فيها صعلوك وسلطان

الحب شعلة (قَبَسٌ) من النور الإلهي

وهو روح.

* * *

فهرس القسم الثاني

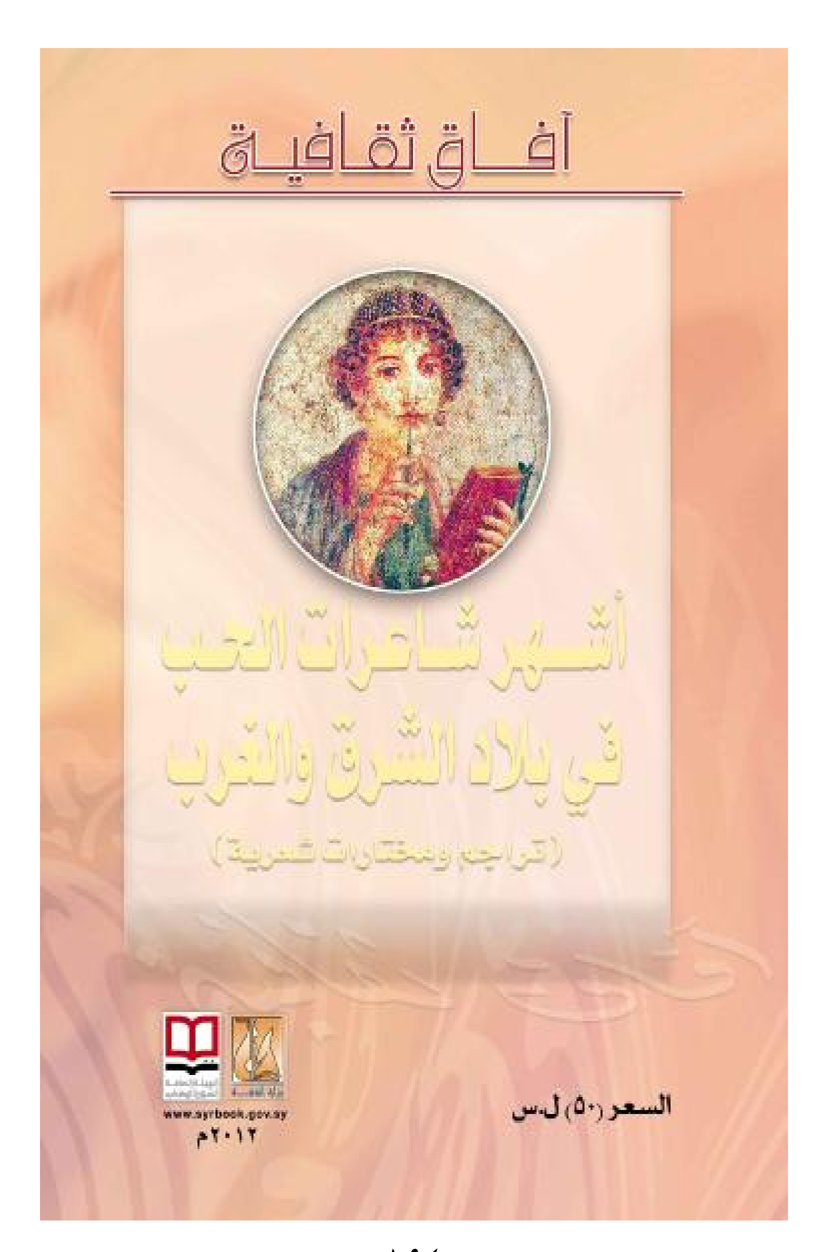
الصفحة

الصفحة

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م

عدد الطبع ١٥٠٠ نسخة


آفـاق ثقـافيـة
أشهر شاعرات الحب
في بلاد الشرق والغرب
(تراجم ومختارات شعرية)
www.syrbook.gov.sy
٢٠١٢م
السعر (٥٠) ل.س